مؤلفات الأستاذ الدكتور

تمام حسان



مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن

عالم الكتب

مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن

• حسان، تمام .

• مفاهيم ومواقف فى اللغة والقرآن

• تمام حسان

• ط 1 . – القاهرة : عالم الكتب ، 2010

• 454 ص ، 24 سم

• تدمك : 6-737-232-977 • رقم الإيداع : 2009/16866

1- القرآن – مباحث عامة

أ- العنوان 229

عالم الكتب

• الإدارة :

16 شارع جواد حسنى - القاهرة

تليفون : 23924626

فاكس : 0020223939027

• المكتبة :

38 ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون: 23926401 - 2395953

ص . ب 66 محمد فريد

الرمز البريدى : 11518

www.alamalkotob.com -- info@alamalkotob.com

مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن

أ.د/ تمّام حسّان

عالم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست

أولا : المقدمة

١ - اللغة واللهجات

٢ - الفصحى والعامية

٣- قواعد العدول والرد

٤ - اكتساب السليقة بالممارسة

٥ - اكتساب السليقة بالتعليم

٦ - الموقع النحوى المجرد والموقع فى بنية الجملة

٧- عناصر معجمية فى التركيب النحوى

اللغة واللهجات

يحلو للكثير من طلاب العربية أن يتحدثوا عن الفصحى واصفين إياها بأنها لغة قريش، ولكن إمعان النظر فى نسبة الفصحى إلى قريش فقط ربما يجر إلى بعض التعارض بين هذه النسبة وبين كثير من المسلمات فى حقل الدراسات العربية والإسلامية، مثل:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ إذا لم يقل بلسان قرشى مبين.

بـ ـ اشتمال النصوص الأدبية القديمة على شعر ونثر كثير لايتمشى مع لهجة قريش. يشهد بذلك الكثير من شواهد النحو وما تواتر من القراءات والأحاديث.

جـ ـ أخذ النحاة عن عدد من القبائل المنسوبة إلى الفصاحة وهى كما يقول الفارابى فى كتابه الحروف[1]: "قيس وتميم وأسد وطيىء ثم هذيل وبعض كنانة، ولسنا نرى قريشًا بين هذه القبائل.

د ـ مخاطبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوفود القبائل بلغات القبائل نفسها، وفى هذا إشارة إلى فصاحة لغات هذه القبائل، وعدم هجنتها.

هـ ـ تعدد القراءات القرآنية وتعارض أكثرها مع اللهجة القرشية.

و ـ معرفتنا ببعض الظواهر التى التزمت بها لهجة قريش مما لا يوجد باطراد فى اللغة العربية الفصحى وذلك كتسهيل الهمزة.

---

(١) ص ١٤٧. وقد ذكر الفارابى هذه القبائل إلا كنانة فقد رواها السيوطى عنه ولكنها لاذكر لها فى كتاب الحروف.

فإذا لم تكن الفصحى لغة قريش فماذا تكون إذًا؟

يغلب على الظن أن الأوضاع اللغوية العربية فى الجاهلية وصدر الإسلام لم تكن تختلف كثيرًا عما نراه اليوم. فكما أن كل بيئة عربية لها لهجتها الدارجة فى يومنا هذا كان لكل قبيلة عربية لهجتها القبلية فى الجاهلية وصدر الإسلام. وكما أن اللغة الفصحى تختلف بعض الاختلاف من بيئة عربية معاصرة إلى بيئة أخرى بحسب العادات النطقية الدارجة كانت الفصحى فى العصرين الجاهلى والإسلامى تختلف من قبيلة إلى أخرى بحسب العادات النطقية السائدة فى اللهجة القبلية، ومن هنا سمعنا عن الكشكشة والعجعجة والطمطمانية والاستنطاء... إلخ فى كلام القبائل باللغة الفصحى.

وكما أن أبناء كل بيئة عربية واحدة يتخاطبون فيما بيهم بلهجتهم الدارجة ولا يستعملون الفصحى إلا فى مناسبات معينة كالمراسلة والخطابة والصلاة والشعر كان العرب فى العصرين الجاهلى والإسلامى يفعلون ذلك تمامًا.

غير أن هؤلاء العرب الأقدمين كانوا إذا تكلموا هذه اللغة الفصحى تكلموها عن سليقة لا عن تعلم لأنهم كانوا يتوارثونها جنبًا إلى جنب مع اللهجات القبلية وإن اختلفت صورتها على ألسنتهم.

ولقد كان النقاء الذى يوصف به هذا التراث اللغوى يسمى الفصاحة كما كانت اللغة التى تتسم بهذا النقاء توصف بالفصحى مما يوحى بشئ من الموازنة بينها وبين اللهجات القبلية التى سبقت الإشارة إليها. وسنرى فيما بعد أن الفصاحة كانت عاملًا مهمًا فى تحديد أهم مصدر من مصادر النحو العربى وهو "السماع"(١) إذ كانت فصاحة المسموع شرطًا لا يمكن التساهل فى أمر المحافظة عليه.

ومهما يكن من أمر فإن الأقدمين فهموا بالفصاحة النقاء اللغوى الذى لم تصبه

(١) ص ١٣ وما بعدها، وانظر أيضًا ص ٧١.

عجمة، ورأوا أن هذا النقاء يأتى من عزلة القبيلة وعدم مخالطتها لسائر الأمم الأعجمية المحيطة بشبه الجزيرة كالهند والفرس والروم والقبط والحبشة.

ولكن الفصيح من الكلام لم يكن نوعًا واحدًا من أنواع النصوص فلقد كان هناك الشعر العربى بأشكاله المختلفة من قصيد إلى رجز وكان هناك النثر العربى خطابةً ومخاطبةً وسجعاً كما كان هناك القرآن الكريم والحديث الشريف، وكان لكل واحد من هذه الأنواع بنية خاصة ومفردات خاصة تشيع فيه وأسلوب معين يتجه به إلى سامعيه وشجاعة معينة فى استعمال الرخص النحوية [1] والصرفية التى تتحدى الاستعمال المطرد.

وكان الشعر أكثر هذه الأنواع تحللًا من تقاليد الاطراد كما تشهد بذلك الشواهد الشعرية الكثيرة فى كتب النحو وهى شواهد أتعبت النحاة تخريجًا وتأويلاً فإذا لم يستطع النحاة للشاهد تخريجًا أو تأويلًا قبلوه تحت عنوان (الضرورة الشعرية) وهل يقبل فى الكلام العادى الفصيح أن يتقدم المعطوف على المعطوف عليه كما فى قول الشاعر:

ألا يانخلة فى ذات عرق ... عليك ورحمة الله السلام

أو أن يتقدم المستثنى كقول الكميت:

ومالى إلا آل أحمد شيعة ... ومالى إلا مذهب الحق مذهب

أو تتحكم القافية فى الإعراب كما فى قوله:

كأن أذنيه إذا تشوفا ... قادمة أو قلمًا محرفا

أو تسقط صلة الموصول كما فى قوله:

نحن الألى فاجمع جمو ... عك ثم وجههم إلينا

ومغزى هذا أن للشعر لغته الحفية بالترخص فى قرائن المعنى وبالضرورات

---

(١) انظر ص ١٥.

الشعرية. وهذه نقطة مهمة سنعود إليها عند الكلام عن السماع [1] الذى هو مصدر من مصادر النحو العربى.

ويلى الشعر فى الترخص القرآن الذى تعدد ترخصه فى بنية الكلمة كأن يقول: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ بدلًا من "طور سيناء" ويقول: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ بدلًا من "إلياس" أو يقول: "جبريل وميكال" بدلًا من ميكائيل، أو يقول "أمن لايهدى إلا أن يهدى" بدلًا من يهتدى إلا أن يهدى، وكذلك "تأخذهم وهم يخصمون" بدلًا من يختصمون، أو "ومن أوفى بما عاهد عليه الله" (بضم الهاء فى عليه) بدلًا من كسرها.

وكذلك تعدد ترخص القرآن فى العلامة الإعرابية نحو: ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ و﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ و﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ و ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

وترخص القرآن فى قرائن أخرى كالمطابقة فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ و ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ ﴾ و ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾، وكالتضام فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ و﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ وهلم جرا.

ويلى الشعر والقرآن فى شجاعة الترخص الحديث النبوى وكلام العرب. وعلى كل فهذه الأنواع المذكورة كلها من لغة الأدب وليست من لغة الكلام اليومى، وهذه نقطة مهمة أخرى سنعود إليها عند القول فى السماع [2].

لقد حرص العرب على الرواية والمشافهة كما لم يحرصوا على شئ غيرهما، ذلك بأن العرب كانت أمة غير قارئة ولاكاتبة، وعرفوا ذلك فى أنفسهم حتى أصبحت النسبة إلى الأمة (أمى) تعنى الجهل بالقراءة والكتابة، وعرفوا ذلك فى أنفسهم ـ فى شأن المشافهة ـ والرواية فكذلك رووا تاريخ الأقدمين من الأمم وأيام العرب

---

(١) انظر كتاب اللغة العربية معناها ص ٢٣٣ ومابعدها.

(٢) انظر ص ١٤، ١٥، ١٦، ١٧.

والشعر وسجع الكهان حتى إذا ما ظهر الإسلام رأينا المشافهة تصبح عنصرًا مهمًا جدًا حتى لقد عرفوا رواية. القرآن الذى كتب فى حياة النبى - صلى الله عليه وسلم - ووجدنا التواتر فى الرواية شرطًا فى صحة القراءة.

فالقراءة باطلة إن لم ترتفع سلسلة روايتها إلى النبى - صلى الله عليه وسلم -، بل إن تفسير القرآن فى الكثير من الحالات يصير محددًا إذا حفظت فيه رواية عن النبى أو أحد أصحابه ومن ثم لا يصبح عرضة لاختلاف آراء المفسرين ولا لاجتهادهم.

أما الحديث فقد كانت العناية بالمشافهة فى روايته سببًا فى نشأة علمين من علوم نقده هما: علم المتن وعلم السند أو الرجال، إذ تكفل علم المتن بالنقد الداخلى للنص وعنى علم الرجال بالسند أى بالرواية والمشافهة وأدّى تقسيم الأحاديث بالرواية والمشافهة فى بعض الحالات إلى اختلاف العبارة باختلاف السند وطريق التحمل فكان مما أباحه نقاد الحديث جواز الرواية بالمعنى فحسب الحديث أن ينقل المعنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فإن حفظ النص أيضًا فتلك هى الحسنى وإلا اعتمد الناس على معنى الحديث وأشاروا إلى أنه مروى بعبارة غير عبارة النبى، وذلك بإضافة قولهم: "أو كما قال" بعد انتهاء الحديث.

ولم يكن هنالك مفر من هذا الحرص على الحديث مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامى لايتقدمه من مصادر التشريع إلا القرآن. وكذلك حفظ الشعر الجاهلى وكلام العرب فى الصدور وتناقله الناس بالمشافهة والرواية جيلًا عن جيل، وعرف نظام رواية الشعر أمرًا آخر هو أن يكون للشاعر راوية يروى شعره للناس فيأخذ الناس شعر الشاعر عنه، وأن يختص قوم بحفظ الشعر الذى رواه الشعراء من قبائل مختلفة ليكونوا قُوَّمًا على ديوان أمجاد العرب حفاظًا لمآثرهم ومفاخرهم مقربين عند ذوى السلطان متكسبين بهذه الرواية.

وإذا كان الناس يسعون إلى التغلب ويبحثون عن التفوق فلابد أن يبحثوا عن دعامة لتفوقهم الدينى فى رواية شعر يرفعهم، فإذا لم يجدوا حديثًا وضعوا الحديث وإذا لم يجدوا شعرًا صنعوا الشعر.

وهكذا جعل الوضاعون يضعون الأحاديث لمساندة الفرق والأحزاب السياسية، وبدأ الصانعون يصنعون الشعر لنصرة القبائل أو لمجرد التكسب بهذا الشعر الذى تفردوا بروايته، وكلما أوغل الوضاعون والصناعون فى الوضع والصنعة اجتهد النقاد فى إحكام مناهجهم النقدية التى تفضح هذا الوضع وتلك الصنعة. أما القرآن فقد قيض الله له المصحف العثمانى الذى حفظه بأسلات الأقلام من فلتات الألسن ولا سيما أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ جمع المسلمين عليه وألغى ما عداه من المصاحف الخاصة التى كانت فى حوزة القراء فكان ذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ . وسنرى أثر الصنعة فى جهود النحاة فيما بعد[1].

هكذا كانت النصوص اللغوية العربية متفقة فى العرف ولكنها مختلفة الطابع بين الضبط والترخص، وكان من الطبيعى لظروف نشأة المجتمع الإسلامى أن تدعو الحاجات الاجتماعية إلى نهضة تتحقق فى ظلها الحضارة وينمو بها الفكر. وكانت اللغة (بضبطها والترخص فيها) هى الأداة التى يمكن بواسطتها الوصول إلى هذه النهضة بواسطة تناولها بالبحث العلمى.

وللعلم جملة من الخصائص يمكن أن نوضحها فيما يلى[2]:

خصائص العلم

الموضوعية	الشمول	التماسك	الاقتصاد

أول خصائص العلم هى الموضوعية ومعناها أن يكون سلوك الظواهر هو الموجه للتفكير فى العلم دون أن يكون للنزعات الفردية والميول الذاتية أى وزن فى النتائج. ومما يتناسب مع هذه الخاصة من خواص العلم أن التفكير العلمى يخضع

(١) انظر ص ١٦، ١٧.

(٢) انظر كتاب "الأصول" للمؤلف "الصناعات والمعارف" ص ١١.

لمبدأ الحتمية وهى افتراض أنه لو تكررت الظروف التى حدثت فيها الظاهرة. (ويقابل الحتمية فى النحو القياس الاستعمالى). لتكررت الظاهرة نفسها حتمًا، ويترتب على ذلك أننا نستطيع الوصول إلى الضبط العلمى وذلك بتكرار التجربة؛ لاختيار صدق النتيجة، فإذا تكررت النتيجة وصلنا إلى فكرة الضبط.

والخاصية الثانية للعلم هى الشمول ومعناه أن البحث العلمى فى حقل من حقول المعرفة لايقنع بالنظرة الجزئية إلى الظواهر فى هذا الحقل وإنما يشمل البحث سلوك هذه الظواهر جميعًا. ومن مظاهر ذلك اعتماد البحث العلمى على الاستقراء الناقص بإخضاع نموذج من الظواهر للبحث ثم الاعتقاد بصدق النتائج على الأمثلة الأخرى التى لم تخضع للبحث فى هذا الحقل. ويتمثل الشمول أيضًا فى تجريد الثوابت فى كل علم وهى أفكار مجردة كلية تدخل تحتها مفردات الظواهر كما يدخل الأفراد تحت اسم الجنس على نحو ما سنرى فيما بعد [1].

والخاصية الثالثة للعلم التماسك أى التكامل بين أفكار المادة العلمية الواحدة. ومن مظاهر هذا التماسك أن العلم يعتمد على التقسيم مع مراعاة العلاقة العضوية بين كل قسم والقسم الآخر بحيث تعتبر الأقسام أبعاضًا يتكون منها كل مترابط ذو علاقات داخلية محكمة. ومما يتصل بذلك أيضًا أن التماسك يبدو فى مظهر عدم التناقض بين فكرة أخرى فى نطاق الجهد العلمى الواحد.

والرابعة من خصائص العلم هى الاقتصاد، ذلك بأن مفردات الظواهر لاحصر لها فلو حاول الناس أن يحصوا المفردات لأنفقوا الأعمار والأعصار فى هذه المحاولة دون جدوى ومن ثم كان لابد من الاقتصاد فى الجهد بواسطة تبويب المفردات والاستغناء عن ملايين المفردات بالأبواب القليلة العدد ويترتب على ذلك أن نسمى هذه الأبواب بأسماء خاصة تعرف باسم المصطلحات العلمية.

أما المظهر الأخير من مظاهر الاقتصاد فهو ما يعرف باسم القوانين العلمية أو القواعد المطردة، فبدلًا من أن نقول: هذا الفاعل مرفوع والفاعل الآخر مرفوع

---

(١) ص ٢٥.

وذلك الفاعل مرفوع فنصرف كلامنا فى كل مرة إلى فاعل ما فى جملة معينة يكفى لمعرفتنا بهذه الحقائق الثلاث السابقة أن نذكر قاعدة رفع الفاعل فنقول: الفاعل مرفوع.

والحق إننا حين نسمع لفظ "علم" ترد هذه الخصائص على أفكارنا، ولاسيما الموضوعية والتنبؤ بحدوثها عند تكرار الظروف التى حدثت فيها، فنعلم من كل ذلك أننا أمام علم مضبوط exact Science أما إذا تحققت الموضوعية دون إمكان اختبار صدق النتائج فالعلم غير مضبوط.

ولقد كان العرب يطلقون على العلم المضبوط اسم "صناعة" فكان النحو عندهم صناعة لما فيه من إمكان اختبار القواعد بالشواهد، ثم بتوليد جمل جديدة صحيحة بحكم تركيبها بصدق هذه القواعد. أما فقه اللغة فلم يكن صناعة على نحو ما سنرى فيما بعد (١).

ولقد ذكرنا من قبل أن العلم العربى حملته الأجيال عن طريق الرواية والمشافهة فلما بدأت العرب تعنى بدراسة لغتها وجد الدارسون نصوص هذه اللغة محفوظة على ألسنة الرواة، بل وجدوا الرواة شديدى الحرص على بعض التصنيفات الاجتماعية لهذه النصوص بنسبة كل نص إلى قائلة ونسبة قائله إلى قبيلته، وإلى لهجة هذه القبيلة، وذلك أمر يمكن فى العادة أن يتم خارج الدراسة المنظمة كما يبدو من حال هؤلاء الرواة. فلما نظر الدارسون فى هذه النصوص اتجهوا بها اتجاهين علميين، أحدهما يسعى إلى إنشاء علم مضبوط يتمثل فى قواعد لغوية مطردة، والثانى يسعى إلى استخراج علم غير مضبوط يدور حول المفردات ومعانيها وتاريخ استعمالها.

أما الاتجاه الأول فقد عرف بالعربية أو بصناعة النحو، وأما الاتجاه الثانى فقد عرف حينًا باسم اللغة وحينًا باسم المتن، ثم حينًا ثالثًا باسم فقه اللغة، وبهذا الاسم الأخير يعرفه الناس فى وقتنا الحاضر وإن أطلق هذا الاسم فى بعض الأحيان ـ خطأ ـ على علم اللغة Linguistique.

---

(١) ص ٤٨ وما بعدها.

وكان على أصحاب الصناعة النحوية أن يجردوا ثوابتها كما كان على أصحاب اللغة أن يقنعوا بمتغيرات اللغة وهى الألفاظ المفردة. فما المقصود بالثوابت؟

إذا نظرنا إلى علم الحساب مثلًا وجدناه من العلوم المضبوطة لأننا يمكن أن نتحقق من نتائجه فنعرف صدق الجمع بطرح إحدى الكميتين المجموعتين من مجموعهما فنحصل على الكمية الأخرى، ونعرف صدق الطرح بإضافة الناتج إلى الكمية الصغرى فنحصل على الكمية الكبرى، ونعرف صدق عملية الضرب بقسمة الناتج على إحدى الكميتين فنحصل على الأخرى، وصدق عملية القسمة بضرب المقسوم عليه فى الناتج فنحصل على المقسوم.

كل ذلك يدل على فكرة الضبط فى علم الحساب، فإذا نظرنا إلى هذه العمليات البسيطة الأربع وجدنا الجمع لا يتحقق إلا بفكرة الزيادة (+)، وأن الطرح لا يتحقق إلا بفكرة النقص (-)، و، الضرب لا يتحقق إلا بفكرة التكرار (×)، وأن القسمة لا تتحقق إلا بفكرة التقسيم (÷) وأن المعادلة بين تركيب المسألة وبين نتيجتها لا تتحقق إلا بفكرة المساواة (=) ومعنى هذا أن هذه المفهومات المتمثلة فى هذه الرموز الدالة عليها مفهومات ثابتة لا تتغير بتغير المسائل المفردة؛ لأن كل واحد منها لا تتحقق العملية الحسابية إلا به، فلا جمع إلا مع (+) ولا طرح إلا مع (-) ولا ضرب إلا مع (×) ولا قسمة إلا مع (÷) ولا يمكن تصور المعادلة إلا مع (=).

أما الأرقام الدالة على الأعداد فهى متغيرات فى المسائل إذ إن كل عدد من الملايين من الأعداد صالح لأن يجمع أو يطرح أو يضرب أو يقسم عليه غيره.

وفى المنطق الحديث أنواع من الحساب منها حساب القضايا الذى ثوابته أيضًا وهى السلب (-) والفصل () والربط (٠) والتضمن (<)، أما القضايا المفردة فهى من المتغيرات على الرغم من الرمز إليها بالحروف الهجائية مثل حرف (ق) أو (ل) مثلًا. فإذا قلنا (ق < ل) فمعنى ذلك أن القضية (ق) تتضمن القضية (ل). فقد تكون (ق) ضربت زيدًا، فتكون (ل) ضُرِب زيد، وقد تكون (ق) قرأت الدرس

فتكون (ل) أنا أعرف القراءة، وهلم جرا. وعلينا الآن أن ننظر فيما نقصده بثوابت اللغة التي كانت مجالًا لدراسة القواعد النحوية والصرفية والصوتية... إلخ.

المعروف أن الإنسان يجرد الكليات من المفردات بواسطة ما بين المفردات من جهات الاتفاق وجهات الاختلاف، فالرضيع يبدأ إدراك ما حوله بتمييز وجه أمه ولكنه لا يجرد صورة كلية للشجرة إلا بعد رؤية أنواع كثيرة من الأشجار. وهكذا تصبح المفردات سلمًا إلى التجريد والتقسيم لمدركات الإنسان.

ولولا التجريد لكان على الإنسان أن يقف عاجزًا عن الإحاطة بملايين من مفردات الظواهر. وحين تناول النحاة العرب اللغة الفصحى لدراسة قواعدها كان عليهم أن يحددوا المدركات الآتية:

أ ـ طائفة من الأجناس المجردة كالحرف الاسم والفعل... إلخ.

بـ ـ طائفة من العلاقات الوفاقية كالمخرج والصفة والاشتقاق والجمود والإعراب والبناء والإفراد والتثنية والجمع والتكلم والخطاب الغيبة... إلخ.

جـ ـ طائفة من العلاقات الخلافية التى ربطوا بها أمن اللبس فى اللغة وسموها الفروق.

ثم أطلقوا على الطائفتين الأوليين اسم الأصول وعرفت فيها بعد تحت عنوان الأصول الثابتة، مع ما توحى به كلمة الثابتة من أن هذه الأصول هى ثوابت اللغة. وهكذا سمعناهم يردون الفروع إلى هذه الأصول الثابتة، فيقولون مثلًا: إن فى (ينبنى) صوتًا ينطق كما تنطق الميم ولكن أصله النون، وإن (قال) أصلها قول، وإن المنادى فى قولنا (يامحمد) أصله الإعراب والأصل فى المبتدأ التقديم وفى الخبر التأخير وفى الموصول أن تكون له صلة، ولكن هذا لم يصل إليه النحاة دفعة واحدة؛ لأن الجهود الأولى التى قام بها النحاة لم تكن جهودًا نحوية خالصة كما سنرى فيما يلى:

نشأة النحو العربى

تضافرت العوامل الدينية والقومية والسياسية على دفع العرب إلى التفكير فى طريقة للمحافظة على لغتهم وضبطها فى الاستعمال والفهم. فأما أهم العوامل الأولى فقد جاء الإسلام وله كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكان هذا الكتاب فى وقت ما مصدرًا من مصادر التشريع ونصًا معجزًا من نصوص الأدب ودستورًا لمعايير السلوك الفردى والجماعى فى الحياة اليومية والقومية والسياسية والدينية.

وقد وعد الله بحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل الذى طرأ على كتب الديانات السابقة، فكان أول ما قامت به الدولة الإسلامية فى سبيل حفظ القرآن من التحريف أن أقام عثمان بن عفان مصحفه وأبطل ما عداه، ولكن المصحف العثمانى نفسه لم يكن يفرق بين الحروف المتشابهة بالإعجام ولا بين الكلمات بالإعراب، ومن هنا كان الباب ما يزال مفتوحًا أمام الخطأ وإن أوصد أمام التحريف.

وهكذا ظهر الخطأ بظهور الموالى فى الساحة العربية بكثرة غالبة فى المجتمع حتى تأثر بهم بعض العرب فضعفت على ألسنتهم الفصاحة التى عهدت لهم من قبل. فأخطأ العربى فى قراءة القرآن وفى فهمه كما نعرف عن الأعرابى الذى سمع رجلًا يقرأ: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ بكسر اللام فى الرسول ففهم الأعرابى خطأ أن الله قد برئ من رسوله.

والواقع أن كسر اللام قراءة معتمدة يخرِّجها معربو القرآن إما على القسم وإما على الجوار بالترخص فى الحركة لوضوح المعنى لأن الله لا يمكن أن يبرأ من رسوله. ومهما يكن الأمر فإن الأعرابى لم تدله سليقته على إمكان الترخص فصرف المعنى عن وجهه الصحيح. ومثل ذلك ما سمعه عمر من جماعة من الناس من قولهم: "نحن قوم متعلمين"، وما يروى أن الدؤلى سمعه من ابنته حين أرادت التعجب من حسن السماء... إلخ.

وسواء أكانت هذه الروايات صحيحة أم لم تكن فإن دلالتها التى لا يمكن

دحضها أن اللحن قد تطرق إلى البيئة العربية منذ وقت مبكر مما اعتبر تحديًا لكتاب الله الكريم فكان لا بد من التفكير فى أمر النحو.

وأما أهم العوامل القومية فذلك أن العرب ألفوا أنفسهم أصحاب دولة وسلطان وبلاد تدين لهذه الدولة كانت لها حضارات وحياة ثقافية لا نظير لها عند العرب أنفسهم، إذ وقف العرب وجهًا لوجه مع ثقافات الفرس والروم والهند والمصريين والسريان المغلوبة موقف التلميذ من أستاذه فلم يكن أمامهم من بد إلا أن ينشئوا للإسلام ثقافة وأن يبدأوا ذلك بدراسة اللغة التى جاء بها القرآن. وهكذا التقى العامل الدينى والعامل القومى عند القرآن ولغة القرآن.

وأما أهم العوامل السياسية فيتمثل فى أن أبناء الأمم المغلوبة وإن اعترفوا بالغلبة العسكرية للعرب لم ينسوا تفوقهم الثقافى من جهة ولم يقنعوا بالعيش على هامش المجتمع الإسلامى الجديد من جهة أخرى فلم يكن أمامهم من بد إلا أن يتلقفوا راية الثقافة الإسلامية من أيدى العرب، وأن يسعو للوصول إلى هذه الغاية بواسطة إتقان اللغة العربية ذاتها. وهكذا سعى الموالى إلى تعلم اللغة الفصحى، فأنشأوا حافزًا آخر لدراسة النحو العربى.

وبدأت القصة كما تبدأ كل الأمور بسيطة ساذجة أقرب إلى الجانب العملى منها إلى الجانب النظرى. كان أبو الأسود الدؤلى قاضيًا بالبصرة فى خلافة على بن أبى طالب وكان على البصرة وال هو زياد بن أبيه الذى انحاز بعد الفتنة الكبرى وبعد مقتل على إلى معاوية وسماه معاوية زياد بن أبى سفيان. وكان أبو الأسود من قراء القرآن يحرص أشد الحرص كما يحرص القراء الآخرون على ضبط النص القرآنى ويغار لهذا السبب ولكل الأسباب المتقدمة على اللغة التى نزل بها القرآن.

وسواء أكان السبب المباشر لعمل أبى الأسود لحن ابنته أم لحن سواها، وسواء أجاء الأمر من على أم من زياد أم كان دافعه إلى ذلك ذاتيًا صرفًا (وفى ذلك تتضارب الروايات) فقد بدأ أبو الأسود بضبط النص القرآنى بالشكل لا أكثر ولا أقل.

جاء برجل من عبد القيس يحسن الكتابة وأعطاه حبرًا أحمر وقلمًا ومعه نص القرآن مكتوبًا بالحبر الأسود وطلب إليه أنه إذا رآه يفتح فمه وضع الرجل النقطة بين يدى الحرف (أى أمامة). ولا يمكن لعمل مثل هذا أن يعد من قبيل الدراسة النحوية، ولكن عبارة (فتح الفم) أعطت الحركة اسم (الفتحة)، وعبارة (كسر الفم) جعلت الحركة تسمى (الكسرة)، وكان ضم الفم سببًا فى تسمية الحركة (الضمة). ولعل الوصول إلى هذه المصطلحات الثلاثة كان بالنسبة للدراسات النحوية كاكتشاف النار بالنسبة لتقدم الحياة الإنسانية. فسرعان ما أصبحت هذه المصطلحات الثلاثة النواة الأولى فى دراسة النحو وظلت كذلك مع تقدم الدراسة ونشأة فكرة العامل وبناء النحو العربى كله على فكرة الإعراب وما زالت كذلك إلى اليوم.

ولقد أسلمت الفتحة والكسرة والضمة أبا الأسود وزملاءه من القراء أمثال عنبسة الفيل، ونصر بن عاصم، وميمون الأقرن، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ويحيى بن يعمر إلى التفكير فى تغير أواخر الكلمات فقط، وبذلك أصبحت هذه المشكلة الأولى، بل المشكلة الكبرى فى النحو معروفة الطابع محددة الحدود تنتظر من يتصدى لها بالدرس العميق ومن ينشئ لها النظرية العلمية الدقيقة. أى أنها كانت تنتظر من يحولها من ملاحظة المتغيرات إلى تجريد الثوابت، أو بعبارة أخرى من يحولها من علم غير مضبوط - كما كانت لدى أبى الأسود - إلى علم مضبوط ذى قواعد مطردة - كما أصبحت فيما بعد -.

ومعنى ذلك أن أبا الأسود بجهوده التى بذلها كان سببًا فى نشأة النحو، ولكنه لم ينشئ النحو. فلقد كان أبو الأسود قارئًا ولكنه لم يكن نحويًا. وإذا كان أبو الأسود قد اشتهر بنقط الإعراب فإن نقطًا آخر قد تم فى ذلك الوقت يفرق به بين الحروف المتشابهة وذلك هو نقط لبيان وظيفة الإعجام دون وظيفة الإعراب.

مصادر النحو العربى

كان أبو الأسود وزملاؤه من ذوى السليقة فلا جرم أنهم بنوا تأملاتهم على

الملاحظة الذاتية، أى أنهم كانوا ينظرون فيما يقولون ويبنون أحكامهم على هذا النظر. فلم نسمع أن واحدًا منهم رحل إلى البادية أو سأل أعرابيًا عن حرف من الحروف أو استشهد على ما يقول بشعر جاهلى أو إسلامى.

ذلك بأن أبا الأسود وأصحابه كانوا إما أعرابًا أقحاحًا وإما موالى نشأوا فى البيئة العربية واكتسبوا اللغة العربية سليقة كما يكتسبها العرب الأقحاح. ولم تكتمل أداة النحو فى أيدى الدؤلى وأصحابه ومن ثم لم نسمع فيما يروى عنهم أنهم طعنوا على أصحاب السليقة بواسطة القاعدة ولم يتتبعوا شاعرًا ولا ناثرًا بالتغليط أو التصويب.

وكان الطعن على العرب من نصيب أحد أتباعهم من الموالى بل رئيس الجيل الذى تلا جيلهم وهو عبد الله بن أبى إسحق الحضرمى. كان عبد الله مولى لآل الحضرمى من العرب الجنوبيين الذين نزلوا البصرة، وكان بحكم نشأته فيهم فصيحًا ذا سليقة سليمة، ونظر عبد الله فى لغة القرآن فاستطاع أن يحيط بثوابت العربية وأصولها الثابتة من الأقسام المجردة كالاسم والفعل والحرف والمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول... إلخ ومن العلاقات بين المبانى كالإعراب والبناء والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والتكلم والخطاب والغيبة... إلخ وبه وبتلاميذه بدأت فكرة السماع واستحكمت شبكة القياس واستعملت العلل حتى قيل إن عبد الله كان أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل [1].

فما المقصود بالسماع والقياس والتعليل والتأويل؟ ذلك ما سنراه فيما يلى:

أ. السماع

قلنا إن أبا الأسود لم يكن يعرف الاعتماد على كلام غيره ولم يستشهد بشعر جاهلى أو إسلامى على ما يقول. ومعنى هذا أن أبا الأسود لم يكن يعترف بفكرة السماع كما عرفها النحاة من بعده ولكنه ربما دار فى نفسه أن النص القرآنى نموذج رائع لصحة اللغة وجمالها فى نفس الوقت، وربما فكر أيضًا تفكيرًا غير محدد فى أن

---

(١) طبقات النحويين واللغويين الزبيدى ص ٣١.

كلام العرب يجب أن ينتحى، وربما كانت فكرة الانتحاء هذه سببًا فى تسمية النحو باسمه الذى يعرف به.

فلما خلف من بعده عبد الله بن أبى إسحق أنشأ هو وتلاميذه فكرة السماع فكان قوامها الكلام العربى الفصيح أيًا كانت صورته، فشمل ذلك عنده الشعر والنثر وإلى حد ما قراءات القرآن وأقل من ذلك الحديث. وارتضى الحضرمى وتلاميذه عددًا من قبائل العرب أشرنا إليهم فيما سبق وهم قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين برَغْم أن هذه القبائل كانت متوحدة فى وسط الجزيرة فلم تخالط الأمم الأخرى فلم تفسد ألسنتها فبقيت على فصاحتها والفصاحة شرط المسموع كما رأينا.

ومعنى هذا أن النحاة:

أ ـ اختاروا اللغة الأدبية دون لغة الكلام كما اعتمدوا على المروى.

ب ـ اختاروا عددًا من القبائل فى وقت واحد (أى عددًا من اللهجات).

جـ ـ اختاروا فترة من الوقت طويلة واعتبروها فترة واحدة على الرغم من أن مؤرخى الأدب قسموها إلى أكثر من عصر واحد.

د ـ أدى اعتمادهم على المروى إلى اصطناع منهج المحدِّثين فى التوثيق.

وكل واحدة من هذه النقاط تتطلب نظرًا فاحصًا من وجهة المنهج: أما بالنسبة للنقطة الأولى فإذا كانت الدراسة الصوتية مقدمة لا بد منها لدراسة النحو للغة حية ما فإنه أولى بالمادة المسموعة أن تكون حية بنت عصرها وليست مروية من عصر سابق لاحتمال أن يكون راويها من قبيلة غير قبيلة قائلها مما يذهب بصلاحية نطقها، وربما أثر فى طابع تركيبها اللغوى.

وهكذا اعتمد النحاة على المروى من كلام العرب فلم نعرف لهم اتصالًا مباشرًا بلغة الكلام الحية إلا ما كان من مشافهة القبائل أثناء الرحلة ومناقشة الوافدين على الحلقات الدراسية فى البصرة. فأما ماسمع عن طريق المشافهة فقد قيده أصحاب الرحلة فحين عادوا إليه لاستخراج النحو منه لم يجدوا بين أيديهم إلا نصًا مكتوبًا

بالكتابة العادية فلربما خلا من الإعجام والإعراب فأصبح بدونهما كالنص المروى من حيث عدم الضبط الصوتى، وأما ما كان من مناقشة الوافدين فإن ذلك كان لتوثيق القاعدة لا لإنشائها.

ولقد قدمنا أن للشعر لغة تتسم بالضرائر وبالترخص فى مبانى القرائن اللفظية وهى بهذا لا تعد نموذجًا عاديًا للغة العربية الفصحى، فإذا كان المقصود بإنشاء النحو تلخيص السليقة العربية فى جملتها فإن لغة الشعر بما نسبناه إليها من ميل إلى الترخص تقصر دون تمثيل اللغة الفصحى تمثيلًا كاملًا أو مقبولًا حتى لو ارتضينا أن تكون لغة الدرس هى لغة الأدب لا لغة الكلام. لهذا وجدنا لغة الشعر تصيب النحو بالخلاف وتلجئه فى الكثير إلى حيل التخريج والتأويل وفى حالات أخرى إلى الاعتراف بالضرائر والرخص فى الاستعمال الشعرى.

وأما بالنسبة للنقطة الثانية فقد سبق أن أشرنا إلى أن كل قبيلة عربية كان لها لهجتها الخاصة التى تنعكس عاداتها النطقية على اللغة الفصحى حينما ينطقها أبناء هذه القبيلة، ومن هنا رأينا الاختلاف بين القبائل فى نطق الفصحى وفى طرق صياغتها وعلامات إعرابها، فالحجازيون مثلًا ينصبون خبر ما ولكن التميميين يرفعونه، وبهراء تكسر حرف المضارعة ولكن بقية القبائل تفتحه، وقضاعة تجعل الياء الساكنة فى الوقف جيمًا وغيرها لايفعل ذلك، وهكذا مما لا سبيل إلى حصره فى هذه العجالة. ومن الواضح أن هذا الاختلاف فى الصياغة يتطلب أن تختص كل لهجة لقبيلة بعينها بدراسة نحوية خاصة على نحو ما يفعل طلاب علم اللغة الحديث بدراسة اللهجات فى أيامنا هذه.

ولكن أنى للنحاة القدماء أن يعرفوا منهجًا جد فى أيامنا هذه؟

إن النحاة لم يفطنوا إلى البعد الاجتماعى فى الدراسة النحوية ولكن الذى خفف من هذا العيب فى منجهم أنهم درسوا النحو لخدمة القرآن من خلال لغة أدبية مروية لا من خلال لغة يومية منطوقة، فكان من شأن هذه اللغة المروية أن تضيق الفروق بين اللهجات فيها إلى حد كبير .

وأما بالنسبة للنقطة الثالثة فاستخرج النحاة قواعدهم باستقراء لغة امرئ القيس كما استنبطوها من شعر ابن هرمة، وبين أحد الشاعرين والآخر قرابة أربعة قرون. والمعروف أن فترة زمنية طويلة كهذه الفترة لا بد أن تكون قد شهدت تطورًا فى اللغة وتراكيبها ومفرداتها، فتلك فترة ظهر فيها الإسلام فكان بكتابه الكريم ثورة عظيمة فى تاريخ اللغة العربية أبطل منها ما أبطل وأحيى فيها ما أحيى. وكان نقاد الأدب أكثر استعدادًا من النحاة للاعتراف بهذه الحقيقة فقسموا هذه الفترة إلى عصر جاهلى وآخر إسلامى فأموى...

ومرة أخرى نجد عنصر الرواية واعتماد النحاة على المروى من الكلام يخفف من الخلافات بين أشكال اللغة فى هذا العصر وذلك لأن الراوية الذى يروى لامرئ القيس هو نفسه الذى يروى شعر ابن هرمة، فأكبر الظن أن يصطبغ هذا الشعر وذلك على لسان الراوية الواحد بعادات نطقية واحدة مما يدعو إلى عدم المبالغة فى تقدير الخطر المترتب على تسامح النحاة فى هذا البعد التاريخى من أبعاد منهج الدراسة النحوية.

وأما بالنسبة للنقطة الأخيرة من نقاط السماع فإن الاعتداد بالنصوص المروية ألجأ النحاة إلى اصطناع منهج المحدِّثين فى نقد النصوص وتوثيق نسبة الكلام إلى قائلة. ولقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا المنهج - إن صح الأخذ به فى الأحاديث النبوية التى تنبنى عليها أحكام فقهية فى العبادات والمعاملات وأمور دينية أخرى تتصل بالعقائد والآداب ونحوها فإن النصوص المستعملة فى استنباط القواعد لم تكن تتطلب كل هذا التزمت لو كانت اللغة المدروسة لغة كلامية حية.

فلما لم تكن هذه اللغة بنت وقتها وإنما كانت مروية عن عصور سابقة اضطر النحاة إلى توثيق الرواية والنص كما يفعل رجال الحديث بالحديث. ولقد سبقت الإشارة إلى موقف النحاة من القراءات القرآنية والحديث وسبق القول بأن موقف النحاة من هذين النوعين من النصوص موقف يحتمل الكثير من النقاش.

(ب) القياس

كان هذا موقف النحاة من المصدر الأول من مصادر النحو العربى فماذا كان موقفهم من القياس؟

قلنا إن ابن أبى إسحق كان أول من مد القياس أى أن أبا الأسود وأصحابه لم يجعلوا لأنفسهم عناية نظرية بالقياس أى أنهم كانوا يطبقون القياس الاستعمالى أى الانتحاء ولا يفكرون فى القياس النحوى.

فالقياس مصطلح شامل يدل على مفهومات متعددة. فمنه القياس الاستعمالى، والقياس النحوى، والقياس المنطقى، بجانبه الطبيعى والصورى.

فالقياس الاستعمالى هو الصوغ القياسى analagic creation وهو الذى نستطيع بواسطته فى الطفولة أن نكتسب اللغة حيث نقيس ما نستعمله على ما نسمعه ومن طريقه نستطيع أن نولد الكلمات الجديدة على غرار القديمة وأن نحمل المعنى الجديد على المعنى القديم، وهذا القياس الاستعمالى أيضًا هو الذى يسعى المعلم فى قاعة الدرس إلى استعماله بالنسبة للتلاميذ إذا يطلب إليهم أن يقلدوا التراكيب المعروضة عليهم وأن يكتسبوا الأساليب بواسطة القياس على ما يحفظون أو يقرأون.

وهو نفسه أيضًا منهج المجامع اللغوية المعنية بصياغة الجديد من المصطلحات وألفاظ الحضارة قياسًا على طرق الصياغة العربية بل هو أيضًا الذى عناه ابن جنى فى الخصائص بعنوانه الذى يقول : "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"؟

والنوع الثانى من أنواع القياس هو القياس النحوى وهو المقابل النظرى للقياس الاستعمالى ويعرفونه بأنه "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه"، فإذا كان ما يرمى إليه القياس الاستعمالى هو الصوغ العملى فإن ما يرمى إليه القياس النحوى هو الحَمْل النظرى.

وهذا الحمل إما أن يكون مبنيًا على علة أو غير مبنى على علة، فإن لم يكن مبنيًا على علة فهو ما يسمونه قياس الشبه وهو أقرب أنواع القياس النحوى إلى القياس الاستعمالى وإن لم يكن منه تمامًا، ومثاله إعراب المضارع لشبهه باسم الفاعل. أما إذا كان مبنيًا على علة فإما أن تكون العلة مناسبة أو غير مناسبة.

فإذا كانت العلة مناسبة سمى القياس قياس العلة ويلزم حينئذ أن يكوّن هناك أصل وفرع وعلة وحكم، فإذا كانت العلة غير مناسبة سمى قياس الطرد. مثال قياس العلة قياس رفع نائب الفاعل قياسا على الفاعل بعلة الإسناد فى كل منهما، ومثال قياس الطرد أنّ ليس مبنية بسبب اطراد البناء فى كل فعل غير منصرف، وان الأفضل من هذه العلة إن يقال إنها مبنية لأن الأصل فى الأفعال البناء فهذا يشكلّ علة مناسبة. وينبغى أن نلاحظ هنا أن ما سبق من نوعى القياس لا يَمُتّ بسبب إلى أقيسة المنطق اليونانى.

الفصحى والعامية
بين الاغتراب وصور الخطاب
واللهجات العامية

من المهم أن أبدأ مقالى هذا بالقول: إن محاربة العامية والسعى إلى تركها نهائيا غفلة وجهل. وكل من يرى أن العامية عدو للعربية الفصحى لا يعلم شيئا عن حتمية وجودها وعن موقعها بالنسبة للعربية الفصحى، ومن ثم يدعو إلى القضاء على العامية. وهذا أمر لا يخضع للتخطيط ولا يمكن أن يحدث إلا من خلال تطور اجتماعى لا تحكمه قاعدة ولا يخضع لإرادة خاصة مهما كانت محكمة التخطيط، أن تكون إرادة لمجتمع لا لمجمع.

إن كل لغة فى هذا العالم مهما ضاقت الرقعة الجغرافية لا ستعمالها معرضة لتعدد لهجاتها باختلاف صور مفرداتها وتراكيبها وطرق استعمالها بحسب التداوليات والمواقف الداعية إلى هذا الاستعمال، ثم بحسب طوائف المجتمع ومشاغل طوائفه، إذ تتخذ كل طائفة نظاما صوتيا خاصا بلهجتها وآخر معجميا يسمّى وسائل عيشها ثم نظاما تركيبيا تمتاز به تراكيب جملها عن غيرها من لهجات الطوائف الأخرى. وعندما كنا طلاب بعثة فى بريطانيا عرفنا أن هناك لهجة تسمى "كوكنى" يستعملها أهل لندن وتقف صامدة أمام اللغة الإنجليزية القومية دون أن يعترض أحد على استعمالها، بل إن أستاذنا الشهير "فيرث" كان يسوق بعض الشواهد من تلك اللهجة، وما زلت أذكر بعضها فكان واحد منها يقول:

Aien gen a ge؏ wan fo be؏

وهو يعنى: I am going to get one for bert

أى أنا ذاهب لأحضر كأسا من أجل برتراند، وكان القائل بين أصحابه فى أحد المشارب. فالأستاذ الإنجليزى لم يجد مانعا من استعمال شواهد من العامية تشير إلى ظاهرة لغوية معينة مثل وقوع اللحن من وجهة نظر اللغة القومية بشواهد من العامية تتميز بورود الهمزة (وهى ليست من أصوات اللغة الإنجليزية) فى موقع لا تسمح هذه اللغة القومية بوقوعها فيه، على غرار ما يحدث فى نطق الأصوات العامية والدالة على (القاف والجيم والظاء مثلا) على ألسنة المتكلمين باللغة العربية الفصحى.

لم يضحك الأستاذ لهذه المفارقة أو يسخر منها، وإنما ساقها ليدل بها على أن من طبيعة المجتمعات أن تختلف لهجاتها وإن اتحدت لغاتها ولا بأس فى أن يكون بعض اللهجات أحسن حظا من البعض الآخر من حيث القيمة الاجتماعية وهذا ما جرى عليه شأن الظاهرة اللغوية خلال التاريخ.

فمن المألوف أن يعاب على المعلم أن يلقى الدرس على تلاميذه بلهجة عامية وأنه إذا عاد إلى بيته فكلم زوجته المثقفة باللغة الفصحى سخرت منه واتهمته بالانحراف عن السلوك السليم لأنه خالف العرف الذى ارتضاه المجتمع، وأجمعت عليه الأجيال من أن لكل مقام مقال. والمقصود بنسبة المقال إلى المقام أن هذه النسبة نتيجة اتفاق مضمر من أفراد المجتمع. ولو سألت أحد المتكلمن عن سبب اختياره تفاصيل القول الذى قاله دون غيره من طرق التعبير لكان جوابه " :إن الناس من حولى يتكلمون بهذه الطريقة ويد يرون شئون حياتهم بواسطة هذه الوسيلة. وهكذا يفهموننى وأفهمهم"

ولئن سألت هذا الشخص: لماذا اخترت هذه اللهجة العامية لتكون وسيلة

لقضاء حاجاتك؟ لأجابك بقوله: لأن هذه هى لغة المجتمع الذى أنا واحد من أفراده.

وليس من الغريب أن يتفق الأصل ويتعدد الفرع فيختلف العطاء والله سبحانه وتعالى يقول فى سورة الرعد (٤) ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾

فلا عجب أن تتفق الفصحى والعامية فى أصل العروبة ثم تختلفان فى التخصص فالفصحى لغة الفكر والعامية لغة الحياة الاجتماعية، ولكل منهما مفهوم النص ومفهوم الخطاب.

إن تطور الدراسات اللغوية يهدى إلى وضع العلاقة بين الفصحى والعامية بين مفاهيم الخطاب وعوالم الخطاب فى كتاب ترجمته تحت عنوان "النص والخطاب والإجراء" وهو من تأليف روبرت دى بوجراند عنوانه: " Text Discourse and Process" يقول المؤلف (ص ٧٢): "والصفة المميزة للنص هى وقوعه فى الاتصال حيث ينتجه طرف واحد فى بعض الحدود الزمانية ويمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تعد خطابا، أى تواليا للوقائع الاستعمالية يمكن العودة إليه فى وقت لاحق. أما جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة فى جماعة أو مجتمع فإنها يمكن أن تسمى عالم الخطاب". فالعلاقات المشتركة بين النصوص الفصيحة يمكن تبعا لذلك أن تسمى "الخطاب الفصيح" كما يمكن للنصوص العامية أن تسمى "الخطاب العامى" ولكل من النوعين وظيفته ومجال استعماله فلا يلغى أحدهما الآخر. وعندما ضربنا المثل للمعلم الذى أخطأ فى حجرة الدرس وفى المنزل فى الكلام مع زوجته لم ننكر عليه حقه فى استعمال نوعى الخطاب، ولكننا أنكرنا عليه أن يستعمل كلا منهما فى غير مجال استعماله المناسب. وهكذا لا يجوز

لخطيب الجمعة إذا خطب فى اجتماع سياسى أن يخاطب جمهور الحاضرين بقوله: "اتقوا الله عباد الله"، ولا لمن يعزى اهل الميت أن يقول: "كل عام وأنتم بخير" كما عيب على المعلم أن يتكلم إلى تلاميذه بالعامية وإلى زوجته بالفصحى.

بهذا نعلم ضرورة الحفاظ على العامية كما نحافظ على الفصحى تمامًا.

عندما ذكرنا اللهجة العامية خطر فى صحبتها مفهوم اللغة العامة ذات اللهجات المتعددة، ومفهوم العرف العام والعرف الخاص، ومفهوم الأمة والطائفة، وكذلك اختلاف نوعين من الاهتمامات الثقافية والحياتية تبعا لاختلاف المفاهيم المذكورة ومما يترتب على ذلك اختلاف لغة الأمة عن لغة الطائفة فى نواح تجعل من الصعب أن تؤدى إحداهما وظيفة الأخرى دون الإحساس بالفشل ومن هنا كان لا بد من نسبة كل من اللغة واللهجة إلى ظروف استعمال خاصة تحول بين أد أء كل منهما وظيفة الأخرى. فاللغة تحمل مشاغل الأمة وما أكثرها ومن هذه المشاغل والهموم التعليم والاقتصاد والعلم والعلاقات الداخلية والخارجية والحكم والعرف والعادات والتقاليد والأسماء لكل الموجودات من الأشخاص والأحداث والأفكار ويخضع استعمال كل ذلك لقواعد تركيبية وأساليب فنية تجعل التفاهم بهذه اللغة أمرا ذا نتائج ناجحة وإذا كان ذلك مطلبا بالنسبة للهجة فإن الفرق بين اللغة واللهجة لا بد أن يكون مناسبا وموازيا لما بين اللغة واللهجة من الاختلاف فى أعداد كل من مستعملى هذه ومستعملى تلك فى الداخل والخارج، وما يترب على اختلاف اهتمام الفريقين ماديا ومعنويا.

ومن المسلمات فى علم اللغة المعاصر أن اللهجتين تحتسبان من لغة واحدة إذا كان المتكلم بإحداهما يفهم ما يقال بالآخرى حتى مع وجود تباين محدود بينهما فى مجالات تركيب الجملة ومعانى مفردات بعض الألفاظ.

وإذا نظرنا إلى اللغة العربية ولهجاتها أدركنا صدق هذه المقولة، وساغ فى نظرنا أن ينتدب معلم من بلد عربى للعمل فى تعليم أبناء بلد عربى آخر تختلف لهجته عن لهجة البلد الأول مع افتراض أن من عادات المعلمين أن يلقوا الدروس باللهجة الدارجة فى مجتمعاتهم الأصلية، مع ما يترتب على ذلك من وجود فجوات فى انتفاع التلاميذ بمعنى ما يقوله المعلم. إذا أردت دليلا على ذلك فتأمل ما يلى: لهجة كل فرد منا مكتسبة منذ الطفولة ولذلك يندر أن يجهل أحد منا لهجته الأصلية، ولكن كلا منا يحصل على معرفة اللغة العربية الفصحى بالتعلم الذى يستمر طول العمر. فإذا سمعت رفيقًا لك فى استعمال لهجتك فالطبيعى ألا يغيب عن فهمك معنى لفظ مما تسمعه، أما عند قراءتك نصًا فصيحًا أو سماعه فأنت تستكمل معناه من الاستعانة بالمعاجم ومن سؤال الغير عما خفى عليك من المعنى. ذلك أن اللغة الفصحى جاءتك عن طريق التعلم لا عن طريق الاكتساب. وليس معنى ذلك أن ننظر إليها نظرتنا إلى اللهجات العامية.

قلنا إن اللهجة رباط بين أفراد طائفة، أما اللغة الفصحى فهى رباط بين العرب جميعًا وبينهم وبين المسلمين رأسيًا بواسطة التراث وأفقيًا بواسطة العلاقات الحاضرة. وسيتوقف فهم اللغة العربية فهمًا تامًا على الانتفاع بالأمور التالية:

* معرفة المعانى الوظيفية (أى معانى الحروف والأدوات والعلاقات)، لأن ذلك ضرورى لفهم مواقع المفردات فى سياق الكلام.
* معرفة المعانى المعجمية والمقابلات بين الكلمات، لأن الجهل بذلك يؤدى إلى اللغو.
* معرفة الحقول المعجمية فى اللغة وتجارب البيئة ونواحى الاتفاق والاختلاف المتصلة بذلك.
* معرفة المصطلحات إن كان المقام خطابًا علميًا أو فنيًا.
* معرفة الفروق بين الأساليب المختلفة وارتباط ذلك بسياق النص وسياق الموقف.

* معرفة التراكيب المسكوكة (التى تجرى مجرى الأمثال) التى لا تتغير فيها رتبة ولا تضام مع اختلاف الاستعمال.
* معرفة العادات والتقاليد السائدة فى مواقع الاتصال

تلك هى مطالب الاتصال بواسطة اللغة العربية. دعنا الآن نلق نظرة على مدى رعايتها فى التعليم:

١- بالنسبة لمعرفة المعانى الوظيفية يحضرنى شيوع الخطأ فى فهم معانى الحروف ومعانى الصيغ الصرفية ونحو ذلك من قبيل ما يراه كثير من المفسرين أن لفظى طه ويس أسماء أعلام يقصد بها النبى ﷺ. ولكن الأوضح فيهما أنهما من فواتح السور على غرار (حم، طس). ومثله أيضًا الخلط فى المعنى بين موتة (بفتح الميم وسكون الواو) وميتة (بكسر الميم)، فالأول منهما اسم مرة والثانى اسم هيئة. فالإنسان يموت موتة واحدة ولكنه يتمنى أن تكون مثل مِيتة الأبطال. ولقد تعودنا فى السنوات الأخيرة أن تسمع فى خطب زعماء الثورة لحنا صرفيًا فى نطق كلمات مثل بدء (بكسر الباء) ونفق (بضم النون والفاء)، وهلم جرا.

٢- الأعراف جمع عرف ومن معانيها العادات والتقاليد الاجتماعية ومنها عرف الديك وعرف الحصان ولكن لها معنى آخر مستعملاً فى سورة الأعراف من سور القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَٰهُمْ ﴾، والمقصود بالأعراف هنا زوائد البناء فى قمة الحجاب الذى بين الجنة والنار وهو كالذى نراه فى أسوار القلاع والحصون. وتقول الآية الكريمة إن الرجال الذين على الأعراف يميزون أهل الجنة من أهل النار بسيماهم. فيخاطبون أهل الجنة حينًا وأهل النار حينًا آخر، وأنهم يطمعون فى دخول الجنة ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف، ٤٦]. ولست أجد لهذا المعنى الأخير جمهورًا.

٣- معجم اللغة مركب مما يسمى الحقول المعجمية، فهناك على سبيل المثال حقل

مكون من ألفاظ القرابة وآخر مكون من ألفاظ الألوان وحقل لألفاظ من يعقل وآخر لألفاظ الوحوش، وهلم جرا. وتتمثل قيمة هذا التوزيع فى دراسة علم البيان وما يشتمل عليه من النظر إلى وجه الشبه وإسناد اللفظ إلى من هو له أو إلى غير من هو له وفى دراسة الأساليب النحوية وصلاحيات الألفاظ للتضام ونحو ذلك. إذا تأمل المرء الأساليب العربية الحاضرة لم يجد لها حرصًا واضحًا على رعاية هذه الأصول وبخاصة فى الأساليب البيانية كما فى الكتاية والاستعارة. ومن الصعب ضرب أمثلة لذلك فى هذه العجالة. ولعل فى مألوف أساليب البيان ما يغنى عن التمثيل.

٤- أما من حيث استعمال المصطلحات فى النشاط الاجتماعى وفى التعليم فهناك أيضًا ما يدعو إلى الأسف إذ يشيع فى الكلام العادى أن يستعمل المتكلمون ألفاظا من قبيل "البتاع" و"البتاعة" فى كثير من وقائع التخاطب إما لعدم معرفة المصطلح وإما لعدم تذكره. وفى حقل التعليم نجد من يريدون فى إصرار أن يشتمل التعريف على ذكر المعنى اللغوى فى سياق التعريف جنبًا إلى جنب مع المعنى الاصطلاحى "لغة كذا واصطلاحا كذا" مما يضيف إلى التعريف حملاً لا ضرورة له.

٥- أما من جهة الأساليب المستعملة فى الخطاب العربي فى الوقت الحاضر فإن الطابع الغالب عليها هو طابع الأسلوب الصحفى الإعلامى فلا هو الأسلوب التراثى المغرم بالتزويق ولا هو بالأسلوب الذى يتسم بالمساواة، وإنما تتفاوت المعايير فيه بين الصحة والخطأ وبين الجمال والقبح وبين الفصيح والعامى فلا تجد له انتسابا إلى جانب من ذلك دون الآخر. هذا هو الغالب فى وصف الأسلوب الحاضر.

٦- يحدث عند مراقبة الأداء اللغوى أن تسمع أحيانًا عبارات مسكوكة، أى مركبة بطريقة تتحدى قواعد النحو أحيانًا ويغلب عليها طابع النحت أحيانًا أخرى

فلا تستطيع أن تنسبها إلى قاعدة ما. مثل هذه الألفاظ يوجد فى العربية الفصحى منذ العصور الأولى مثل البسملة والتعوذ والتهليل وقصار الأمثال والأقوال نحو سبحان الله وما شاء الله فى العامية المعاصرة "كله على الله" ويستاهل وعُقْبَى لك، والملاحظ أن عدد المسكوكات فى العربية المعاصرة أكبر من عددها فى التراث.

٧- من شروط الاتصال اللغوى التى سجلها العلم الحديث رعاية نوعين من أنواع السياق: سياق الموقف وسياق النص. ولقد رعاهما العلماء فى الماضى دون أن يضبطوهما بالدراسة التى تكشف عن أصول استعمالهما ويمكن معرفة ذلك من عنايتهم بأسباب نزول القرآن إذ بدا لهم أن سبب النزول هو سياق الموقف أما سياق النص فقد كان موضع عناية الشعراء والأدباء والفصحاء. وأما فى وقتنا الحاضر فإن رعاية ذلك على الرغم من شهرة السياقين بالدرس لا يبدو منه أن الخطاب الحاضر يصل إلى مستوى عناية التراثيين بهما.

* * *

بهذا نصل إلى الكلام عن اللغة الأجنبية. والمفروض أن اللغة الأجنبية ينظر إليها من خلال الازدواج اللغوى لدى الفرد. أى أن اللغة الأجنبية هنا واحدة من اثنتين وأن الثانية هى اللغة الأصلية. ومن ثم يصبح من المطلوب أن يكون صاحب اللغتين مزدوج العناية بهما وأن ما ذكر من المطالب فى حال الأولى ينبغى أن يتحقق للثانية، وبخاصة فيما يقع من الترجمة من إحداهما للأخرى. فلنعد إذن إلى ما سبق أن رصدناه من أمور مهمة لفهم اللغة لنرى ضرورة أن يتحقق ذلك للغة الأجنبية.

١- من الواضح أن المترجم إذا لم يكن له قدرة على تمييز أصوات اللغة الأجنبية بعضها من بعض فإنه لابد من أن يقع فى ورطة الخلط بين الصوتين وبين المعنى المراد. وهكذا يخلط بين Pin و bin كما أن من لا يدرك الفرق بين f و v سيخلط بين fan و van ومن الواضح أيضًا أن المعانى الصرفية لا تقل خطرًا عن المعانى

الصوتية. فالذى يقوم بالترجمة إلى العربية وهو لا يفرق بين معانى صيغة "فعيل" لا يدرك الفرق بين معنى الفاعلية فى "قدير" بمعنى قادر و"قتيل" بمعنى مقتول. ولا بين هذين وبين معنى المصدرية فى "زئير" و"خرير". فإن كان يترجم إلى الإنجليزية فقد يخفى عليه الفرق بين er فى singer ومثلها فى finger. أضف إلى ذلك أن المعانى النحوية من الأهمية بما يزيد عما نسبناه إلى الأصوات والصرف. فإذا لم يعرف المتكلم الفرق بين الاستفهام المحض أو الاستفهام الإنكارى مثلاً عندما يصلح تركيب الجملة لكل منهما كما فى قولنا: بارك الله فيك، وأين كنت، أو معنى الدعاء كما فى قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة، ١١٠] أو بين ذلك وبين الاستفهام التقريري نحو ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف، ١٧٢] فإن الإنسان سيقع فريسة للغموض ويظهر ضحية الغموض عندما يحول نقل أحد هذه المعانى من إحدى اللغتين إلى الأخرى.

٢- والأمر الثانى الذى ينبغى أن يتحقق لصاحب اللغتين هو معرفة شيئين لا غنى عنهما هما المعانى المعجمية للكلمات المفردة فى كل من اللغتين والمقابلة بين الكلمة من هذه اللغة والكلمة المقابلة لها من تلك. وينبغى لصاحب اللغتين أن يضع فى الاعتبار أن هذه المقابلة ليست أمرًا مطردًا ولا مضبوطًا، إذ يحدث فى كثير من الأحيان أن تشتمل إحدى اللغتين على كلمة لا مقابل لها فى الأخرى. وحين نقول ينبغى لصاحب اللغتين أن يعرف معنى المقابلات لا نعنى أن هذه المعرفة كافية بمفردها للوصول إلى ترجمة جيدة لنص ما، فغاية ما تكون الفائدة التى يمكن الوصول إليها بواسطة المقابلة هو الترجمة الحرفية التى نرفضها فى العادة لعدم كفايتها ولما فيها من عيوب تتراوح بين مخالفة القواعد النحوية ومخالفة الأساليب الاستعمالية، ومنذا الذى يقبل ترجمة حرفية لمركب إضافى مثل chairman أو home fleet بعبارة مثل رجل الكرسى أو أسطول المقر؟ أو مركب إسنادى مثل to pay A visit بعبارة أن تدفع زيارة؟

٣- ولكن يحدث أحيانًا أن تشتمل إحدى اللغتين على كلمة لا مقابل لها فى اللغة الأخرى، فعندئذ تلجأ اللغة الأخرى عند الترجمة إلى التعبير عن معنى هذه الكلمة بعبارة مركبة إما تركيبًا مزجيًا وإما وصفيًا أو إضافيًا أو إسناديًا، ومن الكلمات العربية التى لا مقابل لها من المفردات الإنجليزية مثل النؤى والأثافى والظعينة والبحيرة والسائبة والوصيلة والعقيرة... إلخ، فلو أن مترجمًا من العربية إلى الإنجليزية صادف إحدى هذه الكلمات لكان عليه أن يحتال للتعبير عنها بعبارات مركبة تجعل الشرح بديلاً من المقابلة الممتنعة.

٤- عندما يكون صاحب اللغتين فى موقف الترجمة من إحداهما للأخرى يجد المرء نفسه وجهًا لوجه مع المصطلحات وما يلزم من ترجمتها، وعلى المرء فى هذه الحالة أن يكون ملمًا بالمعنى الاصطلاحى فى اللغتين كلتيهما، لأن العرف هنا عرف خاص مشترك بين اللغتين أو هكذا ينبغى أن يكون. فالترجمة فى مجال الاصطلاح لا تقابل لفظًا بلفظ كما يحدث فى ترجمة المعنى المعجمى الذى من شأنه أن يقبل التوسع والمجاز والترادف ولازم المعنى والظلال العاطفية بل يحقق عرفًا مشتركًا بين اللغتين ويبدو دليل الشركة بين العرف فى اللغتين فى جواز مبدأ التعريب.

٥- وينبغى لصاحب اللغتين عندما يبدأ المزاوجة بالترجمة بين إحداهما والأخرى أن يسأل نفسه عن طبيعة ما ينبغى أن يكون طابع أسلوب النص المترجم، ذلك بأن نوع الأسلوب يحمل دلالة معينة على نوع النص. وقديمًا حذرنا الجاحظ من أن إعراب الفكاهات السوقية والنكت العامية عند روايتها يذهب بطلاقتها ويجعلها باردة لا تضحك، وأنك إذا ذهبت بكلام الخاصة عند رواية مذهبك بكلام العامة فأغفلت ما فيه من إعراب وأسلوب فإن ذلك يستر ما فيه من معنى شريف ويسقط به عن المنزلة التى كانت له ومن المعروف أنه إذا كان الصدق الأدبى مطلوبًا لأسلوب الأديب فإن الدقة العلمية لا غنى عنها لأسلوب العالم.

٦- وينبغى لصاحب اللغتين عند الترجمة من إحداهما للأخرى أن يكون على معرفة بأن الألفاظ المسكوكة تجرى مجرى الأمثال Idioms فى تناولها فلا يتوقف معناها على معانى مفرداتها الداخلة فى تركيبها، وأن يكون على وعى بذلك بالنسبة إلى كلتا اللغتين، فلا يجوز فى ترجمة "أهلاً وسهلاً" مثلا أن نتجاهل الرتبة بين اللفظين وأن نجعلها سهلا وأهلا. ولا أن ننسب معنى مختلفًا لإحدى العبارتين عن الأخرى فى "السلام عليكم" و"عليكم السلام" فاختلاف الرتبة هذا لا يغير المعنى.

٧- من مشكلات الترجمة اختلاف العادات والتقاليد من مجتمع إلى مجتمع آخر، أى من لغة إلى لغة أخرى. فكثيرًا ما يكون اختلاف اللغتين مصحوبًا باختلاف رؤية العالم وما يكون معه من اختلاف العرف والعادات والتقاليد، ومما يترتب على هذا الاختلاف أنه يجب على من يباشر الترجمة من لغة لأخرى ألا يعتمد على نقل معنى المقال فحسب وإنما يزاوج بين المقال والمقام عند الترجمة، ولقد سبق أن أشرنا إلى عدم جدوى الاكتفاء بدلالة المقال دون المقام فى ترجمة عبارة مثل: "لماذا تأخرت؟" لئلا يتحول المعنى إلى مجرد الاستفهام. وهنا نعود مرة أخرى إلى الكلام عن ترجمة الأعمال الأدبية، فهذه الأعمال ليست مجرد نصوص جميلة يمكن عزلها عن محيطها كعزل النغمة الموسيقية عن ظروف إبداعها دون أن يؤثر ذلك على إمكان تأثيرها، إن الأدب هو صدى الحياة الاجتماعية فى مجتمع ما، وهو مثل الصدى يتوقف وجوده على مثير ويختلف فى طبيعته عن ذلك المثير.

قد يتساءل المرء بعد ذلك: كيف نتفاضل الترجمات، وما الذى يجعل ترجمة ما تستحق الوصف بالجودة أو الرداءة؟ والجواب أن العناصر التى تستحق أن تقوم عليها المفاضلة يمكن تلخيصها فى النقط التالية:

* مدى قرب الترجمة أو بعدها عن حرفية النص، ولعل هذا أن يكون أقل الأمور أهمية كما نرى.

* مدى تمثيل الترجمة للمعنى الكلى الذى عبر عنه النص المترجم، والمعول هنا على المعنى الكلى.
* مدى وفاء الترجمة بظلال المعانى إذا كانت الترجمة لنص أدبى، والمقصود مدى نقل الترجمة لمزاج النص ومذاقه الذى كان له فى لغته الأصلية أو نطاق ثقافتها القومية.
* مدى احتفاظ النص (إن كان شعريًا) بتأثيره الموسيقى الذى كان له فى الأصل.

ومعنى ذلك أن تفضيل ترجمة على أخرى ليس أمرًا بسيطًا، لأن الأسس التى تقوم عليها المفاضلة متعددة ولكل أساس منها اتجاه معيارى يصعب اعتباره متسمًا بسمة الضبط القياسى التام، ومن ثم ينبغى أن يكون استعماله مرتبطًا بهذا الفهم مبنيًا على الاتساع (أى على الترخص) فى الحكم.

قواعد العدول:

١ - إذا تحركت الواو أو الياء والفتح ما قبلها قلبت ألفًا نحو قال وباع.

٢- إذا وقعت الواو أو الياء متطرفة إثر ألف زائدة قلبت همزة نحو كساء وبناء.

٣- إذا وقعت الواو لاما لفُعْلى وصفًا قلبت ياء نحو دنيا وعليا.

٤- تنقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله نحو إقامة ومدين (يخصمون).

٥- إذا كسر ما قبل الألف قلبت ياء وإذا ضم ما قبلها قلبت واوًا نحو مصابيح.

٦- إذا وقعت تاء الافتعال بعد حرف مطبق قلبت طاء نحو مصطفى.

٧- إذا سكن أول المثلين وحرك ثانيهما وجب إدغامها نحو ردّ ومدّ.

٨- تدغم لام التعريف فى كل حرف شمسى يتلوها نحو الصلاة.

٩- إذا التقت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء نحو سيد وميت.

١٠ - إذا وقعت الواو أو الياء عينا لاسم فاعل أعلت فى فعله قلبت همزة نحو قائل وبائع.

١١ - تحذف ألف أفعل فى مضارعه واسمى فاعله ومفعوله نحو يكرم ـ مكرِم ـ مكرَم.

١٢ - تحذف فاء المثال من مضارعه وأمره ومصدره نحو تعِد ـ عِدْ ـ عدة.

اكتساب السليقة بالممارسة

من المعروف أن الدراسات اللغوية فى جملتها وفى مختلف العصور كانت أكثر عناية بتحليل الفهم منها بإنتاج الكلام أى أنها ظلت تدور حول نشاط السامع أكثر مما تدور حول نشاط المتكلم. والمعروف أن المتكلم والسامع هما قطبا الاتصال اللغوى، وبينهما واسطة لغوية تسمى "الرسالة" يصدرها المتكلم ويستقبلها السامع. وللمتكلم مقدرة على إنتاج الكلام تعرف فى الدراسات الحديثة باسم Compretence، كما تعرف فى التراث العربى باسم السليقة، والمعنى فى كلتا الحالتين اكتساب المتكلم قدرة على إنتاج الكلام المطابق لشروط أدائية معينة، وعرف اجتماعى يحافظ على هذه الشروط، فاكتساب المهارات الأدائية هو السليقة، وهو شرط من شروط إنتاج الكلام.

ولم نجد فى تراث الدراسات النحوية العربية إلا إشارات عابرة إلى عمل المتكلم مثل إشارتهم إلى بدل الغلط وبدل النسيان وإرادة التوكيد إلخ.. غير أن أحد أعلام الدرس اللغوى العربى اتجه إلى الدور الذى يقوم به المتكلم اتجاهًا مباشرًا، وحاول التنظير لهذا الدور. ذلك هو عبد القاهر الجرجانى الذى قرر فى كتابه "دلائل الإعجاز" أن إنتاج الكلام يبدأ ينظم المعانى النحوية فى النفس على صورة تحمل بعض الشبه بوصف العلاقات الإعرابية الذى يكون عند إرادة الفهم.

ولقد اصطنع عبد القاهر لخطوات إنتاج الكلام مراحل أربعا هى: النظم والبناء والترتيب والتعليق.

وفيما يلى نصوص مأخوذة من دلائل الإعجاز تكشف عن تصوره لعملية إنتاج الكلام:

١ - يقول عبد القاهر (ص ٣٥): [طبعة المنار]

"ولا جهة لاستعمال هذه الخصال (يقصد البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة) غير أن يأتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذى هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية".

٢- ثم يقول (ص ٣٥ أيضًا):

"وإذا كان هذا كذلك فينبغى أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التى يكون بها الكلم (أى مجموع مفرات الجملة) إخبارًا وأمرًا ونهيًا واستخبارًا وتعجبًا وتؤدِّىَ فى الجملة معنى من المعانى التى لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة (لاحظ فكرة التضام) وبناء لفظة إلى لفظة".

٣- ويقول (ص ٤٤):

"اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك أن لا نظم فى الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس. وإذا كان ذلك كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله. وإذا نظرنا فى ذلك أُعلمنا ألاّ محصول لها غير أن تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرًا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسمًا على أن يكون الثانى صفة أو حالاً أو تمييزًا، أو تتوخى فى كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيًا أو استفهامًا أو تمنيًا، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد فى فعلين أن نجعل أحدهما شرطا فى الآخر فتجىء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التى ضُمِّنَتْ معنى ذلك الحرف".

٤- ويقول (ص ٦٤):

"واعلم أنه ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نَهَجْتَ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رُسِمَتْ لك فلا تخل بشىء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم (يقصد المتكلم) بنظمه غير أنه ينظر فى وجوه كل باب وفروقه".

هنا يبدو من كلام عبد القاهر أن المعانى التى يجرى نظمها فى النفس هى تلك المعانى المقررة فى متون النحو كالابتداء والإخبار والفعلية والفاعلية وهلم جرا ويؤيد ذلك ما سنراه بعد قليل من تطبيق نظريته على سورة فاتحة الكتاب. ولقد اتهم بعض الباحثين المحدثين عبد القاهر بأنه فى كلامه عن النظم تعلق اهتمامه بالمفردات حتى إنه لم يتناول بالتحليل نصًا كاملاً. ويؤيد هذا الادعاء بأمرين:

أ ـ أن مفهوم النظم يقتضى مفردات متعددة منظومة.

ب ـ أننا سنجد البرهان بعد قليل على أن عبد القاهر تناول بالتحليل نصوصًا كاملة.

ومن الواضح أن هؤلاء الذين يوجهون هذا الاتهام لعبد القاهر لم يحسنوا قراءة دلائل الإعجاز ولم يروا قول عبد القاهر التالى:

٥- يقول عبد القاهر (ص ٣١٤):

"ومما ينبغى أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذُكر أنه لا يُتَصَوَّرَ أن يتعلق الفكر بمعانى الكلم أفرادًا ومجردة من معانى النحو. فلا يقوم فى وهم ولا يصح فى عقل أن يتفكر متفكر فى معنى فعل من غير أن يريد إعماله فى اسم، ولا أن يفكر فى معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعلٍ فيه، وجَعْلَه فاعلا أو مفعولاً أو يريد منه حكى سوى ذلك من الأحكام".

٦- ثم يقول (ص ٣٤٧):

"ذلك أن النظم كما بيّنا هو توخى معانى النحو وأحكامه وفروقه ووجوه العمل بقوانينه وأصوله، وليست معانى النحو معانى الألفاظ فيُصَوَّر أن يكون لها تفسير".

٧- ثم يتناول بالتحليل نصًا كاملاً هو سورة فاتحة الكتاب فيقول (ص ٣٤٧):

"وجملة القول أن النظم هو أن الحمد من قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ مبتدأ، و﴿ لِلَّهِ ﴾ خبر و﴿ رَبِّ ﴾ صفة لاسم الله تعالى مضاف إلى ﴿ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾، و﴿ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ مضاف إليه و﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ صفتان كالرَّبّ و﴿ مَـٰلِكِ ﴾ من قوله: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ صفة أيضًا ومضاف إلى ﴿ يَوْمِ ﴾ و﴿ يَوْمِ ﴾ مضاف إلى ﴿ ٱلدِّينِ ﴾ و﴿ إِيَّاكَ ﴾ ضمير اسم الله تعالى مما هو ضمير يقع موقع الاسم إذا كان منصوبًا. معنى ذلك أنك لو ذكرت اسم الله مكانه لقلت: "الله نعبد" ثم إن ﴿ نَعْبُدُ ﴾ هو المقتضى لمعنى النصب فيه، وكذا حكم ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، ثم إن جملة ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ معطوف بالواو على جملة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾. و﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ مفعول و﴿ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ صفة للصراط و﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ بدلاً من ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ و﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ صلة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ و﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ صفة للذين و﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ معطوف على ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾.

ثم يشير إلى أن تحليله هذا لمعانى النحو يجعل النظم من عمل المتكلم فيقول (ص ٣٤٩):

٨-"هذا وأمر النظم ليس شيئًا غير توخى معانى النحو فيما بين الكلم، وأنك (أى أيها المتكلم) ترتب المعانى أولاً فى نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ فى نطقك، وأنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعانى (أى معانى النحو) لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب فى غاية الظهور والقوة".

ولا ينبغى أن يفهم من كلام عبد القاهر المذكور تحت رقم ٤ سابقًا أن كل متكلم

لابدّ أن يتعلم النحو ليستطيع نظم معانيه فى النفس. وذلك أن النحو الذى يقصده عبد القاهر جزء من السليقة لا من المتون النحوية، وإذا كان ثمة شبه بين تحليل عبد القاهر لعملية النظم وبين عمليات الإعراب التى هى جزء من الفهم فقرر عبد القاهر أنه كان بحاجة إلى مصطلحات جاهزة لم يجدها إلا فى متون النحو. بهذا يمكن أن نقول: إن نشاط المتكلم "تفعيل" ونشاط السامع "تحليل"، أى أن المتكلم ينتقل من المعنى إلى إنشاء العبارة وأن السامع ينتقل من العبارة المسموعة إلى استنباط المعنى.

أما فى الدرس الحديث فقد لقى إنتاج الكلام عناية فى فروع متعددة من البحث مثل النحو التحويلى وعلم النفس اللغوى كما عنى الاجتماع اللغوى بالازدواجية اللغوية ومواقف الاتصال وعنيت الأنثربولوجيا بأثر الحياة الشعبية فى الأداء اللغوى. وأخيرًا جاءت دراسات علم النص لتتناول النشاط الاتصالى من طرفيه طرف الإنتاج وطرف الاستقبال ويطول الكلام لو فصلنا القول فى اهتمام كل فرع من هذه الفروع بإنتاج الكلام على حدة، ذلك أننا نودّ أن نلقى نظرة على الموقف فى حدود بيئتنا العربية قديمًا وحديثًا لأن ذلك ألصق بموضوع هذا البحث وأولى باهتماماته.

كان العرب الفصحاء يكتسبون المهارات الأدائية فى استعمال اللغة دون أن يعلموا صرفها ولا نحوها وإنما كانوا يصلون إلى ذلك بالممارسة، وكانوا يسمون القدرة على صحة الأداء "السليقة"، ويرون كما رأى ذلك النحاة من بعدهم أن السليقة جزء من الطبع لا يوصل إليه بالاجتهاد فى الطلب. فلما نشأت الدولة الإسلامية ودخلت شعوب تحت لوائها لم تكن تتكلم العربية وخالط العرب أبناء هذه الشعوب وصاهروهم ضعفت السليقة فلو كانت طبعًا فيهم ما ضعفت. عندئذ كان لابد من العناية بالنص القرآنى الذى استجدّ اللحن فى قراءته حتى من أولى الأمر من أمثال الحجاج بن يوسف. فلما فشا اللحن رأى أحد القراء الأعلام وهو

أبو الأسود الدؤلى أن يضبط النص مكتوبًا فكان قوله: "إذا فتحت فمى " و"إذا ضممت فمى" إلخ سببًا فى نشأة مصطلحات "الفتحة" و"الضمة" و"الكسرة" وإذا بالغ البعض فى الاعتداد بعمل أبى الأسود هنا ليجعله عملا نحويًا فإن الصحيح أن عبد الله أبى اسحق هو النحوى الأول لأنه هو الذى "بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل". وكان فى الوقت نفسه قارئًا فورث القراء عنه أن من شروط صحة القراءة أن توافق العربية ولو بوجه". والمقصود بلفظ العربية فى أدب التراث هو الأداء النحوى كما قصد بلفظ اللغة موضوع فقه اللغة.

ماذا فعل النحاة رحمهم الله من أجل المحافظة على نظام اللغة العربية؟ المعروف أن الكلام المضبوط الذى ينبنى على التقعيد (ويسمونه صناعة) يقوم على الاستقراء الناقص بأن يختار أهل النظر من بيانات موضوع البحث نموذجًا محدود المساحة يسمونه "العَيِّنة" وقد سماه النحاة "المسموع". ثم ينظرون فى بنية هذا المسموع بغية الكشف عن المشابه والفروق الموصلة إلى التقعيد ولقد نظر النحاة فى المسموع فراعهم منه أنه يتأبى على الاطراد إذا أخذ كما هو. رأوا مثلاً أن فعل الأمر من الثلاثى قد يشتمل على ثلاثة حروف مثل "اضرب" أو اثنين مثل "قُل" أو على حرف واحد مثل "ق"، كما رأوا أن المبتدأ يكون معرفة حينًا نحو "الله أكبر" ونكرة حينًا آخر نحو "وقليل ما هم" إلخ، فلو قنعوا بذلك ما وصلوا إلى إنشاء صناعة النحو ولظل تناولهم للدرس فى نطاق فقه اللغة بحيث يكون تناولهم منصبًا على المفردات لا على القواعد. كان لابد لهم أن يحتالوا وأن يلجأوا إلى تجريد أصول مطردة يربطون بها الأمثلة المنطوقة فأنشأوا للمفردات "أصل الوضع" وللقواعد "أصل القاعدة" وللقياس على المستعمل "أصل القياس" وجعلوا ما خالف الأصل من المفردات معدولا به عن الأصل، وهكذا وصلوا إلى الاطراد من خلال تجريد الأصول.

ولقد ربطوا العدول عن أصل الوضع كما سبق بقواعد تدور حول العلاقات

الصوتية مثل: إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء "نحو "رَيَّان"، وربطوا العدول عن أصل القاعدة بأمن اللبس بمعنى أنه لا يعدل عن القاعدة إلا إذا أُمِن اللبس، وربطوا أصل القياس بالاستعمال فلا يقاس إلا على المستعمل ويمتنع القياس على الأصول المجردة ذهنيًا.

كيف كان وصول النحاة إلى أصل الوضع؟ إذا ضربنا مثلاً بالفعل "قال" وجدناهم سلكوا فى سبيل ذلك طريقين: الأول مقارنة مشتقات المادة إذا وجدوا الواو تتحقق فى كلمات مثل "قَوْل" و"أقوال" و"قوّال" إلخ، والثانى أن القاف تضم فى المضارع والأمر فكان ذلك فى اجتهادهم دليلاً على أن الألف فى قال أصلها الواو وأن الأصل هو "قَ وَ لَ" ولم تنطق به العرب. وكيف وصلوا إلى أصل القاعدة وفرعها؟ وصلوا إلى ذلك اعتمادًا على القلة والكثرة فى مجال التراكيب. فالتركيب الأكثر ورودًا ينم عن أصل القاعدة والتركيب الأقل ورودًا يعد فرعًا على القاعدة على شرط أمن اللبس. فإذا أردنا أن نضرب المثل بأصل القاعدة وفرعها فلن نجد أخصر من عبارات ألفية ابن مالك التى تشير دائمًا إلى الأصل ثم تستثنى منه الفرع بشرط أمن اللبس. انظر أقوال ابن مالك فيما يلى:

ولا يكـــون اســـم زمـــان خـــبرًا   عـــن جـــثة - وإن يفـــد فأخـــبرا

فالقاعدة الأصلية منع الإخبار باسم الزمان عن المبتدأ الدال على أمر مادى. والقاعدة الفرعية نقول: إذا أمن اللبس فلا مانع. ومثل ذلك ما يلى من أبيات الألفية:

ولا يجـــوز الابـــتدا بالنكـــرة   مـــا لم تفـــد - كعـــند زيـــد نمـــرة

والأصـــل فى الأخـــبار أن تؤخـــرا   وجـــوزوا الـــتقديم إذ لا ضـــررا

وحـــذف مـــا يعلـــم جائـــز كـــما   نقـــول زيـــد بعـــد مـــن عـــند كـــما

وفى جـــواب كـــيف زيـــد قـــل دنـــف   فـــزيد اســـتغنى عـــنه إذا عـــرف

وجائز رفعك معطوفًا على   منصوب إن بعد أن تستكملا

وربما استغنى عنها إن بدا   ما ناطق أراده معتمدا

وشاع فى ذا الباب اسقاط الخبر   إذا المراد مع سقوط ظهر

والحذف فى نعم الفتاة استحسنوا   لأن قصد الجنس فيه بيّن

وقد يجاء بخلاف الأصل   وقد يجى المفعول قبل الفعل

وتاء تأنيث تلى الماضى إذا   كان لأنثى كأبت هند الأذى

وقد يبيح الفصل ترك التاء فى   نحو أتى القاضى بنت الواقف

وأخّر المفعول إن لبس حُذر   أو أُضمر الفاعل غير منحصر

وما بإلا أو بإنما انحصر   أخّر وقد يسبق إن قصد ظهر

فى باب ظن وأرى المنع اشتهر   ولا أرى منعًا إذا القصد ظهر

نقلا وفى أنّ وأنْ يطرد   مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

وقد يثوب عنه ما عليه دل   كجد كل الجد وافرح الجذل

وحذف عامل المؤكد متنع   وفى سواه لدليل متسع

هذا إذا نويت معنى مِنْ وإنْ   لم تنو فهو طبق ما به قُرن

وما من المنعوت والنعت عُقل   يجوز حذفه وفى النعت يقلّ

وربما أُسقطت الهمزة إن   كان خفا المعنى بحذفها أُمن

والفاء قد تحذف مع ما عطفت   والواو إذ لا لبس وهى انفردت

فى هذه الأبيات نجد التعبير عن مفهوم أمن اللبس يبدو فى ألفاظ مثل الإفادة والعلم والمعرفة وإرادة المعنى وظهور المراد والقصد وحذار اللبس والدلالة ونية المعنى وعدم خفائه وهلم جرا. وهكذا يكون وضوح المعنى عاملاً فعالاً فى جواز العدول عن قاعدة أصلية إلى قاعدة فرعية. ليس ذلك فقط. إذ يكون طلب الخفة فى

النطق عن تجاور الأصوات سببًا فى كسر قاعدة أصلية أو أصل من أصول الوضع بواسطة قاعدة موقعية وأقصد بالقواعد الموقعية تلك التى ترتبط بموقع معين من السياق اللفظى كارتباط الوقف بتمام المعنى وارتباط التوصل بالهمزة عند البدء بالساكن والتخلص من التقاء الساكنين عند تواليهما وحذف بعض الأمثال عند توالى الأمثال وهلم جرا. كل ذلك إما أن يكون عدولاً عن أصل أو عن قاعدة أصلية وهو يعود إلى مبدأ طلب الخفة الذى لا يقل أهمية عن مبدا أمن اللبس الذى قال فيه ابن مالك: "وإن بشكل خفيف لبس يجتنب".

هذا هو النظام الذى استخرجه النحاة من المسموع من كلام العرب وهو يعد هيكلاً نظريًا تتشابك فيه العلاقات النحوية. ولقد قال النحاة عن فائدة هذا النحو: إنه يكسبنا أن نتكلم كما كانت العرب تتكلم. غير أننا إذا وضعنا هذه العبارة فى ضوء ما سبقت الإشارة إليه من انتهاء السليقة فى حواضر الدولة الإسلامية أدركنا أن استعمال لفظ "يكسبنا" فى هذا الصدد يحمل الكثير من المبالغة، لأن حذق النحو لا يكسبنا فإن طلبه يمثل نقلاً للمعرفة لا اكتسابًا للمهارات. ذلك أن الاكتساب يؤدى إلى أن يتكلم المرء دون وعى بقواعد النحو، وذلك ما كان من شأن فصحاء العرب أصحاب السليقة.

إن اهتمام مؤتمرنا هذا يتجه إلى "التدريس الفعال لمهارات اللغة العربية" ولنا أن نفهم من إيراد المهارات بصيغة الجمع أحد معنيين: الأول تعدد المهارات بتعدد فروع الدرس اللغوى فتقول إن هناك مهارة فى النحو وأخرى فى فقه اللغة وثالثة فى النقد الأدبى وهلم جرا. والثانى أن نحصر المهارات فى نطاق الجانب النحوى فنفرق بين مهارة التكلم ومهارة الفهم ومهارة التحليل الأكاديمى للنص وهلم جرا. وقد اخترت لنفسى هنا أن يكون فهم لفظ "المهارات" بالمعنى الثانى دون الأول طلبًا للاختصار.

ينحصر الفرق بين المشاهد واللاعب فى ملعب كرة القدم فى أن المشاهد على رغم

معرفته التامة بأصول اللعب لا يحسن اللعب كما يحسنه اللاعب، فلو قيل له انزل إلى الحلبة وباشر اللعب لاعتذر بأنه لم يمارس ذلك من قبل فلا يستطيع المشاركة فى المباراة. ويولد الطفل فيكون لصيقًا بأمه يتغذى بلبنها ويستمتع بحنانها ويسمع حديثها إلى من حولها كما يسمع مناغاتها له، ويظل هكذا موضعًا لرعايتها حتى إذا قضى فى صحبتها ثلاث سنوات أو نحوها اكتسب لغتها دون أن يعرف لهذه اللغة صرفًا أو نحوًا، وبذا يكون قد اكتسب المهارة دون أن يستوعب المعرفة، وبهذين المثلين يتضح الفرق بين اكتساب السليقة بالممارسة وبين مجرد استيعاب مسائل النحو.

وكالطفل الذى لزم صحبة أمه وكاللاعب الذى تمرن حتى وصل بالممارسة إلى مستوى المهارة كان العربى الفصيح ينشأ بين قوم فصحاء فيكتسب لغتهم كما نشأنا جميعًا بين أقوام يتكلمون لهجات عربية دارجة مختلفة فاكتسب كل منا لهجة بيئته بالسليقة فهو يتكلمها دون وعى بنحوها أو صرفها (والمعروف أن لكل لهجة نحوها وصرفها). أما موقف كل منا من اللغة العربية فهو موقف المرء من لغته الثانية التى يتعلمها ولا يكتسبها بهذه الطريقة على الرغم مما لهذه اللغة الفصحى من خطر فى حياتنا الاجتماعية. فللفصحى جانب من حياتنا لا يمكن أن تقوم الحياة مقامها فيها. فنحن نصلى بالفصحى ونكتب رسائلنا إلى ذوينا بها ونمارس الخطابة بها وتدعو إلى استعمالها فى قاعة الدرس وفى وسائل الإعلام فإذا رجعنا إلى حياتنا العملية فى السوق أو فى محيط الأسرة استعملنا اللهجة الدارجة. فالفصحى تقاسم الدارجة فى حياتنا ولكنها تعد لغة ثانية لأنها لم يتم اكتسابها بالسليقة لأن الوصول إلى الصواب فى استعمالها يتم بواسطة تعلم النحو.

من هنا يرد على الذهن سؤال عن طريقة يمكن من خلالها اكتساب المهارات الأدائية فى استعمال اللغة العربية بعد افتقاد السليقة كما عرفها العربى الأول. والجواب أن برامج التعليم العام فيما قبل المرحلة الجامعية تعترف بنوعين من تعليم

اللغة يخاطب كل منهم جانبًا من جوانب التنشئة: النوع الأول هو نقل المعرفة ويتمثل فى درس النحو، والنوع الثانى هو السعى إلى اكتساب المهارة ويتمثل فى دروس الممارسة وهى دروس المحفوظات والإنشاء والمطالعة الجهرية والمحادثة. فهذا النوع الأخير لا ينقل معرفة ما وإنما ينقل الفاعلية من جهود المعلم إلى جهد التلميذ الذى يتوقف اكتسابه للمهارة على مقدار ما يبذله من جهد فى هذا المجال.

هنا أجدنى مضطرًا إلى الاعتراف بأن النظام الجامعى فى التعليم ينظر شذرًا إلى هذا النوع الثانى من الدروس فلا يضعها فى خططه ولا يجعلها من جملة أعمال النشاط. فطالب التعليم الجامعى فيما يرى المخططون لبرامج التعليم الجامعى لا حاجة به إلى أن يشغل نفسه بهذا النشاط الذى يحول دون تهيئة فكره للوصول إلى التخصص فى مجال معرفى بعينه. أما دروس المحفوظات والمطالعة الجهرية والمحادثة والإنشاء فذلك أمر سبق له أن درسه فى مرحلة التعليم العام ولا يتناسب الآن مع مستوى التعليم الجامعى.

وإذا كان لنا أن نتسامح مع هذا الفهم فيما يتصل بخطة المقررات فى المرحلة الجامعية فلا مجال للتسامح بصدد إهمال هذا الجانب إهمالاً تامًا لأن الطالب الجامعى ما يزال بحاجة إلى هذا النوع من الممارسة والفاعلية للوصول إلى اكتساب مهارة لغوية لا شك فى أنه لم يصل إليها فى مرحلة التعليم العام، بدليل عموم الشكوى من مستوى الطلاب وقدراتهم اللغوية الهابطة على مستوى عالمنا العربى كله، وهكذا ينبغى لنا أن ننظر فى إمكان الانتفاع بالنشاط المؤدى إلى اكتساب المهارة فى الأداء اللغوى، وكيفية إدماج هذا النشاط فى خطة التعليم الجامعى.

دعنا أولا ننظر فى شأن العناية بالمحفوظات وسنرى عندئذ أنه ليس المقصود أن يكون للمحفوظات درس خاص، ولكن الانتفاع بالمحفوظات مجاله الامتحان

الشفوى إذ يرتبط نجاح الطالب فى هذا الامتحان بمقدار ما يحفظه من نصوص بعينها تحدد له من بداية العام الدراسى وتختلف فى كل مرحلة عنها فى المرحلة السابقة. وتشمل نصوصًا من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر من عصر بعينه فى كل مرحلة من مراحل التعليم الجامعى. فاكتساب المهارة هنا يرتبط بنشاط يتم خارج أوقات الدروس فيمكن احتسابه ضمن الأنشطة الثقافية الجامعية.

أما مهارة الكتابة والوصول إلى الكفاءة فيها فذلك يتم بواسطة تكليف الطلاب كتابة بحوث فى موضوعات من صلب خطة الدراسة كأن يطلب من أحدهم كتابة بحث عن أحد الشعراء الذين هم ضمن الخطة المقررة أو عن أحد علماء اللغة إلخ. وواضح أن هذا النشاط تعويض عما فات الطلاب من الانتفاع بدروس الإنشاء التى توقفت بعد التعليم العام. ويرتبط تقويم الأستاذ لطلابه بما يصلون إليه من الإتقان فى تحرير هذه البحوث، ويمكن تعويض النقص الذى خلّفه غياب المطالعة الجهرية والحوار بإنشاء جمعيات ضمن النشاط الثقافى للخطابة والمناظرة مع إعطاء الطلاب فرصة للنقد والتعليق على ما يقال. هذه الجمعيات تنشئها الكلية وتعين لها مشرفين من الأساتذة خارج ساعات الدروس.

هكذا يخرج الأمر فى نظرى عن مجرد نقل المعرفة ليدخل فى نطاق اكتساب المهارات.

ملخص

المهارات اللغوية متنوعة منها مهارة التكلم ومهارة الفهم ومهارة الإبداع الأدبى والاستمتاع بالإنتاج الأدبى الراقى. والذى يهم الدراسات اللغوية من ذلك هو مهارة التكلم ومهارة الفهم. والمعروف أن التكلم يبدأ بالمعنى وينتهى إلى المبنى ليجعل المتكلم ما يقوله رسالة موجهة إلى سامع يحل شفرتها فيفهم منها معنى العبارة أو الإشارة أو الإيماء أو حتى مفهوم المخالفة فى بعض الأحيان. والمعروف فى زماننا هذا أن علم النفس اللغوى يعنى بالجانب الذهنى لاكتساب هذه المهارات وأن علم الاجتماع اللغوى يعنى بالجانب العرفى والعملى من جوانب الأداء اللغوى بشقيه الكلامى والفهمى.

أما فى تراث الأمم المختلفة فقد كان المعتقد أن الوصول إلى المهارات يتم من خلال تعلم قواعد اللغة ومن هنا أصبح الأمل معقودًا على تحصيل هذه القواعد للوصول إلى اكتساب المهارات المذكورة، وأصبح درس النحو قمة الدروس اللغوية فى تربية النشء فكان له نصيب الأسد من ساعات جدول الدراسة.

والواقع أن النحو نوعان: نحو يَقَرُّ فى نفس المتكلم بواسطة الحدس فلا يرى له المتكلم أبوابًا ولا أقسامًا وإنما ينشىء كلامه بحسبه، ونوع يُستخرج من المسموع من الكلام فينشئ أقسامًا للكلم وأبوابًا للعلاقات وأنواعًا للجمل ثم يكون موضوعًا للتلقين والتعلم. كان العرب يسمون المهارة فى النوع الأول "السليقة" وكان الطفل يكتسب هذا النحو الحدسى بواسطة المخالطة والممارسة دون أن يعلم للكلم أقسامًا

ولا للعلاقات أبوابًا ولا للجمل أنواعًا، وهذا ما نجده فى حدسنا جميعًا بالنسبة لاكتساب المهارات فى لهجاتنا الدارجة اليوم. فلما انتهى عصر الفصاحة السليقية العربية كان لابد من إنشاء النوع الثانى من النحو على زعم أنه يجعل فى قدرة غير الفصحاء "أن يتكلموا كما تكلمت العرب" كما يقول ابن جنى وغيره، فكأنهم ربطوا مهارة التكلم بهذا النحو.

وواضح أن هذا النحو ينقد الكلام الذى قيل دون أن يعين على قوله فمثله كمثل منطق أرسطو ينقد الفكر ولا يعين على التفكير. أما المهارات فطريقها الممارسة والمخالطة إما فى إطار مجتمع فصيح كالذى كان وإما فى إطار دروس استعمال اللغة كالمطالعة الجهرية والمحفوظات والإنشاء والحوار وما ينشئه النشاط الدارسى من مناسبات تشتمل على استعمال اللغة، عندئذ يكون دور النحو هو النقد والتوجيه والتصويب ورد المتكلم إلى صحة الاستعمال.

وليس فى تراثنا العربى إلا القليل من العناية بعمل المتكلم كالإشارات التى نلحظها فى عبارات مثل "بدل الغلط" أى غلط المتكلم و"التأكيد للشاكّ" أى شك السامع وهلم جرا. أما العالم الوحيد الذى خصص دراسة كاملة لعمل المتكلم فهو عبد القاهر الجرجانى فى كتابه "دلائل الإعجاز" كان عبد القاهر يعرف الفرق بين النحو الحدسى والنحو التجريبي بدليل كونه يتكلم عن الكلام فيجعله "نظم المعانى فى النفس" فكونه فى النفس يجعله حدسًا أما كونه تجريدًا فيخيل فى الذهن وفى المنهج وفى معاناة التفكير لاستخراج القواعد. غير أن عبد القاهر كان معنيًّا بفكر عن الحدس فكان لابد له من استعمال مصطلحات النحاة مما جعل كلامه عن مهارة الكلام فى النهاية أشبه بالتحليل الإعرابى كما يبدو من تناوله للتطبيق على سورة فاتحة الكتاب معنى هذا أن الحدس وإن أدى إلى نَظْم الكلام المتصل فإنه لا يعى أسماء الأبواب ولا التبويب والنقد وإنما ينطلق فى ذلك من آلية غير واعية اكتسبها من المخالطة والممارسة.

والمعروف أن النظم الجامعية وخطط الدراسة بالجامعات تفترض دائمًا أن المطالعة الجهرية والإنشاء ونحوهما لا تناسب التعليم الجامعى ولكن نجد هذه الخطط تخصص ساعات لدروس النحو فتجعلها نقلاً للمعرفة لا يؤدى إلى كسب المهارة وإنما يعين على نقد الكلام وعلى الصواب والخطأ فى تراكيبه. وكم من عالم بالنحو يعرف أصوله وفروعه ويفلسف القول ويحصى مواطن الخلاف بين مدارسه وعلمائه فإذا أراد الكلام عما يعرفه من هذه الأمور ارتكب الأخطاء النحوية والصرفية، أما إذا كتب ما عز عليه الصواب فيه عند الكلام فإن زمن الكتابة يمهله لكى يصحح كلامه فيبدو عندئذ وكأنه صاحب مهارة مع أنه فى الحقيقة كان كاتبًا ـ فى الوقت نفسه بمعونة فسحة الزمن الذى أنفقه فى الكتابة.

على النظم الجامعية إذًا أن تحتال لإدماج الممارسة العملية للأداء اللغوى فى برامج العمل ولو فى ظل النشاط الثقافى وشروط النجاح فى الامتحان. فيمكن للمطالعة الجهرية والحوار أن يكون نطاق النشاط خارج خطة الدراسة وأن يكون أداء الطلاب فيهما تحت إشراف أحد الأساتذة أما المحفوظات فيمكن أن يكلف الطلاب بحفظ نصوص من عصر أدبى معين لكل فرقة حتى يمكن الحفظ من عصور مختلفة باختلاف الفرق على أن يمتحن الطلاب شفويًا فى الحفظ امتحانًا ينبنى عليه نجاح ورسوب. ومثل ذلك فى الإنشاء إذ يكلف الطلاب كتابة بحوث فى موضوعات ذات صلة بالمقررات على أن يكون تقدير النجاح والرسوب فى هذه البحوث جزءًا من الامتحان السنوى هكذا يمكن أن نصل إلى فاعلية الطلاب ودفعهم إلى ممارسة استعمال اللغة مما يؤدى إلى اكتساب المهارات لا مجرد الاعتماد على التلقين ونقل المعرفة.

اكتساب السليقة بالتعليم

المقصود بالدراسات اللغوية الحديثة أعم من أن يكون مقصورًا على الدراسة النظرية للتركيب اللغوى فإذا كان المعنى هو ضالة الدراسات اللغوية، فإن ذلك لا يتنافى مع كونه ذا علاقات أخرى متنوعة، بعضها غير لغوى، ذلك أن له علاقة بالإدراك ومظاهره كالتعرف والتذكر والفهم، وهذه العلاقات موضع اهتمام فرع من فروع الدراسات الجانبية كعلم اللغة النفسى مثلا. وهناك علاقة بين المعنى وموقف الاستعمال اللغوى (وما به من الظروف والأوضاع السائدة بجميع جوانبها) وهذا الجانب يتناوله فرع آخر من علم اللغة الحديث يسمى "علم اللغة الاجتماعى" وهو غير "علم الاجتماع اللغوى" الذى يعنى بتقسيم اللهجات الجغرافية والاجتماعية. ونصل أخيرًا إلى العلاقة بين المعنى واللفظ وهى العلاقة التى يدرسها "علم اللغة النظرى" الذى يتبادر إلى الذهن عند قولنا "الدراسات اللغوية الحديثة" ولقد نشأ منذ عشرات السنين فرع تطبيقى للدراسات اللغوية الحديثة مستعينًا بنتائج الدراسات السابقة كلها وجعل موضوع تداوله شاملا لعدد من الحقول المختلفة كما يلى:

١ - التخطيط اللغوى.

٢ - الترجمة الآلية.

٣- هندسة الاتصال.

٤ - علاج العيوب النطقية.

٥- تعليم اللغة.
٦- محاربة الأمية.
٧- تصميم النظم الكتابية.
٨- جغرافيا اللهجات.
٩- المعاجم.
١٠- التحليل النفسى.
١١- لغة الدعاية.
١٢- الإعلان التجارى.
١٣- الترجمة الحاسوبية.

ولقد حرص "تعليم اللغة" من بين ما سبق ذكره على أن ينتفع بكافة الدراسات اللغوية الحديثة كما سيتضح فى الفقرات التالية:

إن تعليم اللغة العربية الفصحى (بل تعليم أية لغة على الإطلاق) يقوم على أبعاد ثلاثة: المتعلم، والعلم، والجهد التعليمى. فأما المتعلم فأن التفكير فى شأنه ينبغى أن يشتمل على عدة أمور ترتبط فى جملتها بالدراسات اللغوية النفسية (أو علم اللغة النفسى). إذ ينبغى عند الإعداد لتعليمه أن نفكر فى أمور تتعلق بتكوينه النفسى. ومن ذلك ضرورة التفكير فى درجة إقباله على التعليم وعوامل هذا الإقبال، وهذا هو ما يسمونه "الحافز"، ثم التفكير فى معلوماته السابقة فى المادة المراد تعلمها وذلك لأن برنانج تعليمه السابق يحسن أن يكون نقطة الابتداء للبرنامج المقبل، وينبغى كذلك أن نراعى استعدادته الفردية وما يلقاه من معلومات خارج المدرسة من خلال الأسرة والدروس الخصوصية ووسائل الإعلام والنشاط الثقافى بعامة. ومما يتصل بذلك أيضًا أن نفكر فى نوعية المعلم الذى يؤتمن على تنمية تفكير هذا المتعلم وشحذ قدرته على الخلق وإنشاء العلاقات بين الأشياء، ثم أن نفكر فى الغاية التى من أجلها كان خضوع التلميذ للتعليم، أنعلمه ليكون مواطنًا عاديًا قادرًا على

المشاركة فى شئون الحياة الاجتماعية من خلال طائفة من المهارات اللغوية الأساسية، كالقدرة على الأداء (نطقًا وكتابة) وعلى الفهم (استماعًا وقراءة) أم نعلمه لغرض خاص يقتضى تأهيلاً معينًا، كأن نعده ليكون فى المستقبل معلمًا للغة العربية ذاتها مثلا.

وأما المعلم فإن عمله يتصل اتصالاً خاصًا بالدراسات التربوية البداغوجية من جهة وبعلم الاجتماع اللغوى من جهة أخرى، إذ إن الأمر يختلف فى تكوينه وتأهيله بحسب اعتبارات اجتماعية كطبيعة اللغة التى يتصدى لتعليمها: أهو معلم للغة القومية أم للغة أخرى أجنبية، وفى نطاق اللغة القومية أهى لغة المنشأ والأسرة (أو كما يسمونها لغة الأم) التى اكتسبها بالمعايشة منذ الطفولة الأولى بواسطة المحاكاة، أم هى لغة أخرى مشتركة لم يتكلمها فى البيت فى أيام طفولته وإن كان المجتمع يستعملها فى أغراضه العامة، فإذا كانت هذه اللغة العامة المشتركة أو الرسمية هى موضوع التعليم فما مقدار قوة العلاقة بينها وبين لغة المنشأ؟ أهى وثيقة كالتى تربط اللغة الفصحى باللهجات العربية أم هى غريبة عن لغة المنشأ كما يبدو الأمر فى العلاقة بين لغة الهوسا واللهجات المحلية فى غرب أفريقيا أو التى بين اللغة السواحلية ولهجات شرق أفريقيا. أو بين اللغة الإنجليزية وبين لهجات الهنود. فالمعلم فى كل حالة من هذه الحالات يفتقر إلى تأهيل خاص وإلى استعمال برنامج خاص، ويصطنع فى مباشرة التعليم طريقة خاصة. والأمر بالنسبة لمعلم اللغة العربية واضح من هذه الناحية فلله الحمد أن الفصحى هى لغتنا الثانية؛ هكذا كانت فى الجاهلية وهكذا ظلت فى تاريخ الإسلام إلى يومنا هذا. وينبغى أن نطبق على تعليمها وإعداد البرامج لها ما يتناسب من المناهج مع اللغة الثانية.

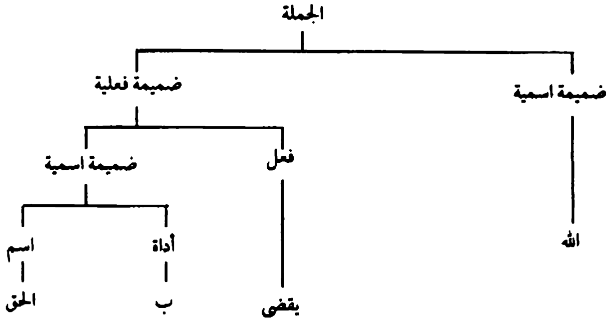
وأما الجهد التعليمى فهو الصق الأبعاد الثلاثة بما نسميه "علم اللغة"، سواء فى ذلك الجانبان: النظرى والتطبيقى، فأما الجانب النظرى من علم اللغة فشأنه أن يصف اللغة التى يراد تعليمها ويحدد بهذا الوصف ما يعرف بجانب السليقة منها،

كالذى صنعه النحاة العرب عند نشأة النحو (أقصد الدؤلى وتلاميذه حتى سيبويه). والمطلوب لهذا الوصف أن يقوم على الاستقراء الناقص للظواهر اللغوية من خلال نصوص منتقاة. ولقد وصل النحاة إلى هذه النصوص إما بواسطة الرحلة وإما عن طريق الوفادة وبعد ملاحظة الظواهر فى النصوص تجرى مقارنتها وتصنيفها واستنباط قواعدها. وليست القواعد هى المقصود بالسليقة وإنما هى وصف السليقة. والسليقة ليست سليقة فرد بعينه، ولكنها سليقة شخص مثالى مجرد فى الذهن يعيش فى مجتمع متجانس. وهذا الشخص المثالى هو الذى نقصده عند ما تقول "العربى"، وذلك المجتمع المتجانس هو المقصود بلفظ "العرب" وينبغى عند هذا الحد أن نفرق بين الوصف العلمى النظرى للغة إذ يقوم به الباحث وبين النحو التعليمى التطبيقى إذ يبدو الفرق بينهما فى منهج التفكير وفى عرض المادة. فالنحو التعليمى وصف لبنية اللغة فى ضوء نظرية يلتزم بها الباحث، وهذا النحو يرفض المعيارية والقياس حين يلتزم بالاستقراء الناقص فينتقل من الخاص وهو المفردات المتفرقة إلى العام وهو القاعدة التى تصنف هذه المفردات فى أبواب دون أن يسمح لنفسه باستعمال ألفاظ مثل "يجب" و"يجوز" وهو يستعمل العلل الصورية فيجعل نشاطه كله إجابات عن "كيف" لأنه يحاول أن يصف كيفيات التعبير اللغوى ويرفض العلل الغائية فلا يطرح على نفسه سؤالا يبدأ بلماذا لأن ذلك لا يدخل فى السؤال عن الوصف. ثم يلتزم بالبنية اللغوية التى يراها فى البيانات المعروضة للملاحظة كما هى، فيرفض تأويلها من خلال التقدير أو التضمين أو السبك أو الفك، فإذا قال بأصول ثابتة فهى عنده مناط الاطراد وأساس السليقة وليست معيارًا للصواب والخطأ. فيرفض الحركة المقدرة فى إعراب "موسى" وتقدير فعل محذوف وجوبًا لناصب اللفظ فى "أهلا وسهلاً" ولا يرتضى تقدير المصدر من أن والفعل ولا يعترف بأن "مهما" أصلها "ماما" ولا بأن لفظ مغربى مضمن معنى "منسوب إلى المغرب". وأما النحو بمفهوم التعليم أى بمفهوم علم اللغة التطبيقى فإنه يتسلم النظرية مكتملة من الباحث ثم يبدأ بدوره فى إخضاعها لمطالب التطبيق،

لأن كل همه أن يصل بالمتعلم إلى استضهار السليقة فالباحث هو الذى يصف السليقة ويحددها ويجعلها فى متناول التطبيق لكن منهج التعليم غير منهج البحث، ومن حق المعلم أن يختلف تفكيره عن تفكير الباحث. ويبدأ النحو التعليمى من نقطة الأصل المجرد الذى يسميه علم اللغة idealization ويسميه النحاة العرب "الأصول الثابتة" ويجعلونه مرجعًا لتعليل الترخص، ومعيارًا لتفسير حالات العدول عن الاستصحاب. فإذا لم تطابق الكلمة صورة الأصل ردت إليه بالتأويل فى ظل الوجوب والجواز والتعليل الغائى على نحو يخضع لمبدأ طرد القاعدة، وفكرة الطرد أكبر عون لجهد المعلم ولاستيعاب المتعلم على حد سواء.

ولقد التزم علماء اللغة التطبيقيون بهذه الأصول ولكنهم اختلفوا فى طريقة التحليل اللغوى النحوى إلى عدة اتجاهات، منها الاتجاه "السياقى" أو النسقى الذى ينظر إلى الجملة بوصفها سلسلة من المواقع النحوية ذات العلاقات المتبادلة على طريقة الإعراب فى النحو العربى. فتبدو الجملة بحسب هذا التحليل كالعقد وتبدو الأبواب كحبات هذا العقد التى ينتظمها خيط واحد، أو كأنها نسق من الفجوات يمتلىء بالفاعل أو نائبه مثلا، وفى الجملة الاسمية تملأ الفجوة الأولى باسم ثم تتعدد احتمالات ما تملأ به الفجوة الثانية، وهلم جرا.

ومن هذه الاتجاهات الاتجاه "التوليدى" وهو بدوره يتفرع إلى فرعين: أولهما البنيوى الذى يقطع الجملة إلى ضمائم أكبر من الكلمات المفردة يسمونها phrases ويكون ذلك بحسب ما يلمح بين الكلمات من تضام ويطلقون على هذه الضمائم اسم (العناصر المباشرة للجملة)، ويسمون التحليل بحسبها (تحليل العناصر المباشرة) وبالإنجليزية تسمى: immeadiat constituent analysis وبحسب هذا التحليل نجد الموصول وصلته قطعة واحدة، وكذلك المضاف والمضاف إليه والتابع والمتبوع والفعل وما يكمله من المنصوبات أو يتعلق به من جار ومجرور وهكذا. فإذا أردنا أن نحلل جملة عربية بهذه الطريقة بدت على الصورة الآتية:



وكل مرحلة من هذه المراحل يمكن أن يعبر عنها بوصف محدد، فيمكن أن نصف هذه الجملة على النحو الآتى:

١- تتكون هذه الجملة من ضميمة اسمية أولى وضميمة فعلية.

٢- تتكون الضميمة الفعلية من فعل وضميمة اسمية ثانية.

٣- تتكون الضميمة الاسمية الأولى من اسم.

٤- تتكون الضميمة الاسمية الثانية من أداة واسم.

٥- مثال الأسماء: الله ـ الحق.

٦- مثال الفعل: يقضى.

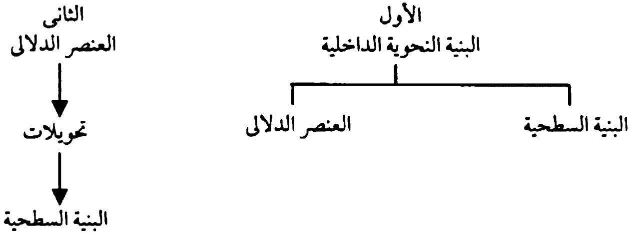
٧- الباء.

وقد عد النقاد هذا التحليل متفوقًا على سابقه لأنه يهيىء الفرصة للوصول إلى درجة من التعميم أعلى مما سبق، إذ يوحّد النظرة إلى الضمائم المتشابهة الوظيفة فى الجملة حتى لو اختلفت فى بنيتها الداخلية من حيث الكلمات ونحوها. فالاسم يبقى اسما سواء أكان مفردًا أو مثنى أو مجموعًا، والفعل يظل فعلا وإن كان ماضيًا أو مضارعًا أو أمرًا، وهلم جرا. وبهذا نرى أن هذا النوع من التحليل لا يهتم

بالتمييز بين المبنى والمعنى، ولا يهتم بالقرائن على مستوى الأبواب المفردة. فما دام المعنى واحدًا فكل مبنى صالح للتعبير عنه مهما اختلفت أشكال المبانى. وينبنى هذا فى رأيهم على أساس أن هناك عملية نفسية تختفى وراء تأويل الجمل لدى أصحاب السليقة فى اللغة، أى أن الجمل المختلفة المؤدية إلى نفس المعنى مترابطة فى نفس صاحب السليقة، وهذا هو أساس التوليد.

وأما الثانى من اتجاهى التوليد فهو الاتجاه التحويلى وهو يعتمد على إدعاء نوعين من أنواع البنية: أولهما البنية الداخلية العميقة (وهى تذكرنا بما زعمه البنيويون منذ قليل من وجود ترابط نفسى بين الجمل المؤدية إلى نفس المعنى فى نفس صاحب السليقة). والثانية البنية الخارجية السطحية، وهى صورة كل جملة من هذه الجمل على حدة. وهكذا تكون الأولى هى معنى الجملة (سواء كان نحويًا أم دلاليًا) والثانية هى النسق السياقى الذى يتعاقب فى الزمان قولاً وفى المكان كتابة، وبين البنيتين ترابط منظم ووظيفة التحليل النحوى أن يعبر عن كل منهما ويشرح ترابطهما بواسطة قواعد التحويل.

وهناك مدارس مختلفة فى هذا الاتجاه التحويلى فى يومنا هذا تتناول النقد فيما بينها، ولكن يمكن تقسيمها إلى قسمين: أصحاب المعنى النحوى وأصحاب المعنى الدلالى. فأما الأولون فيرون البنية العميقة بنية نحوية، ثم يرون لها وجهين أحدهما سطحى والثانى دلالى وهو الأهم منهما، ولكل من الوجهين قوانينه. وإذا كان علم اللغة المظهرى يجرى التحويل من البنية الداخلية العميقة إلى الخارجية السطحية فإن الذى يجرى عليه العمل فى التعليم الآن هو إجراء التحويل من بنية سطحية إلى بنية سطحية أخرى تشترك معها فى بنيتها الداخلية، وأما الآخرون (أصحاب المعنى الدلالى) فيبدأون بالمعنى الدلالى ويصلون منه بالتحليل والتأويل إلى بنيات سطحية نحوية من الأبواب والعلاقات ولم يتقدم أحد حتى الآن بوصف مفصل من هذا النوع الأخير ويبدو الفرق بين الاتجاهين كما يلى:



فالتحليل عندهم فرع المعنى فى الحالتين، ولكن المعنى فى الأولى نحوى وفى الثانية دلالى. ويذكرنا هذا بقول النحاة العرب: "الإعراب فرع المعنى"، وقولهم: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب".

ويتكلم التحويليون فى التصويب والتخطئة فينشئون للسليقة مقياسين أحدهما نحوى يسمى الصواب والثانى دلالى يسمى المناسبة، إذ قد يكون الكلام صوابًا من الناحية النحوية غير مناسب من الناحية الدلالية، كما يبدو فى قول المجنون بن جندب:

محكوكة العينين معطاء القفا ... كأنها قدت على متن الصفا
ترنو إلى متن شراك أعجفا ... كأنها ينشر فيه مصحفًا

إذ نرى الكلام مستقيمًا نحويًا ولكنه لا معنى له من الناحية الدلالية، أو كقول على بن الجهم للخليفة:

أنت كالكلب فى الحفاظ على الود ... وكالتيس فى قراع الخطوب

إذا أراد مدحه فشتمه بتشبيه بالكلب وبالتيس فلم يراع مطالب المقام الاجتماعى. وهم يجعلون وظيفة تعليم اللغة أن يصل بالمتعلم إلى تحقيق الأمرين جميعًا ولعل من الواضح بعد كل هذا أن النحو العربى يحمل جرثومة من كل مذهب من هذه المذاهب. ففى الإعراب نظرة إلى الجملة كأنها مجرد كلمات متتابعة مترابطة، وفى اعتراف النحاة بالتلازم بين الكلمات فى تحليل الجملة كما فى اعترافهم

بالمطابقات موقف بنيوى لا نخطئه العين. وأخيرًا ترى القول بأن الجملة المنسوخة أصلها المبتدأ والخبر (سواء كان فى باب كان أو باب إن أو فى مفعولى ظن أو فى الثانى والثالث من مفاعيل أعلم وأرى) وفى القول بأن الإعراب فرع المعنى وأن بعض التمييز محول عن الفاعل أو عن المفعول فسوف نرى فى ذلك موقفًا تحويليًا واضحًا، إلا أن تحويل النحاة كان من قبيل الوسائل التعليمية فى الغالب لأنه يحوّل جملة سطحية عن جملة سطحية أخرى هى المبتدأ والخبر. ولكن نحاتنا بالطبع لم يعوا هذه الاتجاهات فلم تتوزعهم، فكان مذهبهم جامعًا لها جنبًا إلى جنب فى منهج تعليمى متجانس على الرغم من ذلك.

بعد أن فرقنا بين الجانب النظرى والجانب التطبيقى من "الجهد التعليمى" أود أن أتناول الخطوة الأولى من خطوات التطبيق وهى "إعداد البرنامج"، والبرامج (كطرق التحليل التى سبق ذكرها) قد تختار التتابع التنسيقى فتعطى التلميذ قسطا من المادة فى الشهر الأول من العام وقسطًا آخر غيره فى الشهر الثانى ثم فى الثالث، وهكذا. وقد تختار خطوات دائرية حلزونية غير متتابعة على الطريقة السابقة، فتذكّر التلميذ وهى فى مرحلة (ب) بما مر به فى مرحلة (أ)، وتبنى مرحلة (ج) على فاعلية استيعاب (أ، ب)، ومن الواضح أن النوع الثانى من البرامج أفضل، لأن الذكرى تنفع المؤمنين من جهة ولأن اللغة إذا كان تعليمها يتم من خلال استعمالها فإن نصوص اللغة إذ تقدم للتلاميذ لا تقتصر على موضوع الدرس فقط، وإنما تعرض من حقائق النحو ما ينبغى أن يعود بذاكرة التلميذ إلى ما سبق.

وينبغى لوضع البرنامج أن يكون فى سياقه الصحيح، فليس يكفى أن يجلس واضعوا البرنامج معًا ثم يقولوا فليأت كل واحد منا بما يعن له من أفكار واجتهادات، ثم يتضح فى النهاية أن هذه الأفكار لم تكن مبنية على منهج متفق عليه، ذلك بأن اختيار عناصر البرامج وترتيبها إنما يأتى نتيجة لمقدمات موضوعية وبناء على منهج موضوعى كذلك، وتبدو هذه المقدمات وهذا المنهج على النحو التالى:

١- أولاً لقد سبق أنه لابد من نظرية لغوية يبدأ منها سياق الاختيار. وهذه النظرية بالنسبة للنحو العربى هى ما يعرف باسم: أصول النحو "كما يبدو عند ابن جنى وعند السيوطى مثلا، وهذه النظرية العربية تصادف فى الفكر العربى المعاصر مناقشة من نظريات أخرى أنتجها الفكر الغربى المعاصر أيضًا وطبقها على اللغات الغربية، وسنلقى عليها نظرة بعد قليل لنرى مقدار صلاحها للتطبيق على اللغة العربية.

٢- هذه النظرية توصل إليها منشئها باستعمال البيانات data المستخرجة من الاستعمال اللغوى ذاته ولقد كانت بيانات النحو العربى كما ذكرنا نتيجة الرحلة والوفادة، وفى كلتا الحالتين كان استخرجها يتم من كلام طائفة من القبائل يسمونها "قبائل وسط الجزيرة" (وهى قيس وتميم وأسد ثم هذئل وبعض كنانة وبعض الطائيين) وهذه القبائل اتفقت جميعا فى مستوى الفصاحة واختلفت بينها اللهجات. وعلى هذا الوضع نقد كثير لمستوى النظرية لا داعى للخوض فيه الآن.

٣- فإذا طبقت النظرية على البيانات المأخوذة من لغة بعينها نشأ عن ذلك وصف للسليقة competence التى يقوم استعمال اللغة على شروطها، ووصف هذه السليقة بالنسبة للغة العربية هو ما يعرف باسم النحو العربى.

٤- وهناك منهج تطبيقى خاص لإنشاء البرامج ينبنى على استعمال المقارنة والانتقاء لمعرفة أى الأبواب نختار وكيف يتم ترتيبها فى البرنامج، وما الذى يكون منها للسنة الأولى أو الثانية، وما الحقائق التى نعرضها على التلاميذ من باب بعينه وما الذى نؤخره لمستوى أعلى لأنه فوق قدرتهم على الاستيعاب، وهلم جرا. وهذا هو المقصود من عبارتى المقارنة والانتقاء. وهكذا نصل إلى العناصر المادية فى تكوين البرنامج.

٥- فإذا وصلنا إلى هذه العناصر كان علينا، قبل أن نصوغها فى صورة برنامج، أن

نكون على وعى بأمرين: أولهما أسلوب تركيب البرنامج، كأن يكون مفصلا أو مجملا بحيث يتيح الحرية فى تكييف التفاصيل للمنفذين، والثانى طريقة العرض التى تتسم بها هذه العناصر؛ هل يكون عرض المحتويات تتابعيًا أو حلزونيًا دائريًا.

٦- فإذا تم لنا ذلك وصلنا إلى تركيب برنامج ذى أسلوب محدد، وطريقة عرض معينة، ووصلنا من خلال كل ذلك إلى ما يعرف باسم "أبواب المقرر".

نصل من ذلك إلى طريقة عرض المادة على التلاميذ: أتكون قياسية أم تكون استقرائية، وهل تكون وصفية أو معيارية، وأول ما أحب أن أشير إليه هنا أن النحو ليس غاية فى ذاته، وأن مما يثير الاشمئزاز والسخط أن ترى أحدًا من الناس قديرًا فى التحليل والإعراب، فإذا قرأ أو كتب أو تكلم وجدنا كلامه مجافيًا للصواب النحوى، أو منافيًا للمناسبة الدلالية، وكثير ما هم فى بلادنا العربية، ويذكر بعضهم فى عداد السادة العلماء، فالنحو ليس غاية كما يراه هؤلاء وإنما هو وسيلة إلى "استضمار السليقة" بنوعيها "الصواب والمناسبة". ولا ينبغى للمعلم أن يقف من الطريقة موقف الباحث من المنهج؛ فالباحث يلتزم بخطوات منهج البحث التى أشرنا إليها من قبل ويفرض عليه البحث دائمًا أن ينتقل من الخاص إلى العام بواسطة الاستقراء الناقص، والفرض أو التجربة أو المقارنة حتى يصل إلى القاعدة، ويرى هذا الترتيب للخطوات عصمة لفكره أن يزيغ. والأمر مختلف بالنسبة للمعلم؛ إذ ليس من همه أن يصحح النتائج العلمية؛ فالنتائج حاضرة فى يده وقد كفاه الباحث جهد السعى إليها. ليس من هم المعلم أن يصحح النتائج وإنما همه أن ينقل النتائج التى صححها غيره.

ولقد ثار نقاش بين أنصار الطريقة القياسية فى التعليم وأنصار الطريقة الاستقرائية، قال أصحاب الاستقراء إن عملية التعلم (فى كل صورها سواء داخل المدرسة وخارجها) لا تتم فى الحقيقة إلا بواسطة الاستقراء، وإن الذهن الإنسانى

بحكم طبعه مهيأ للاتجاه من الخاص إلى العام وليس العكس. ويحاول المرء منذ طفولته المبكرة أن يصنف مدركاته أصنافًا لكل منها عنوان عام، فيجرد من أفراد الرجال الذين رآهم فكرة "رجل" ومن النساء فكرة "امرأة" ومن الأشجار فكرة "شجرة". وهكذا تصبح حياته العقلية نسقًا من الملاحظة والتصنيف، ومما ينبغى لطريقة التعلم ألا تخالف طبائع الأشياء وأن تعتمد أساسًا على الاستقراء.

وقال أصحاب القياس إننا لو فرضنا على الطفل أن يحصل على حقائق المادة التى يتعلمها (والمواد المقررة متعددة بنفس الطريقة التى يصل بها الباحث إلى هذه الحقائق لكلفناه شططًا من أمره، وحملنا عليه من مشقة التعليم عبئًا لا قبل له به، فإذا كان الطفل يعتمد فى كسب مدركاته الأولى على الاستقراء (وهذا حقيقى) فإن الأمر يختلف بين الدراسة والتعلم، فمدركاته الأولى ضيقة المجال وهى من قبيل التعرف على البيئة الطبيعية والاجتماعية الضيقة أما فى التعلم فالمجال غير المجال، والبيئة الضيقة تصبح من الاتساع بحيث تشمل كل ما يمكن تعليمه، سواء فى حقل المحسوسات أم فى حقل المجردات ولو وضعنا الطفل حيال مواد الدراسة فى ظروف الاستقراء العادية ما وصل إلى نتيجة ما حتى لو أعانه المعلم، لأن الأمر هنا أشبه بطبيعة عمل الباحث منه بعمل المعلم. ومن هنا يرى هؤلاء أن الطريقة المناسبة للتعليم هى الطريقة القياسية التى تشرح القاعدة أولاً ثم تأتى لها بالأمثلة لتوضحها، ثم تدرب التلاميذ على مطابقتها فى الاستعمال، وتطالبهم بالمطابقة.

ويرد أنصار الاستقراء على ذلك بقولهم: إن هناك فارقًا بين استقراء الباحث واستقراء المعلم، لأن استقراء الباحث استقراء "ناقص" فى خضم "الحياة الطبيعية" ينتهى إلى وصف علمى، لكن استقراء المعلم "تام" فى مجال نص محدود ينتهى إلى "فرض معيار" على الاستعمال. فلا ينبغى أن نخلط بين استقراء واستقراء ولا بين ظروف وظروف فأفضل الطرق فيما يرى هؤلاء أن يقدم المعلم النحو واللغة من

خلال النص يعرضه على التلاميذ ويشرحه ويضع أيديهم على البيانات التى تعين على استخراج القاعدة، ثم يصل بهم فى النهاية إلى القاعدة ذاتها.

وعلى الرغم من أن عمل المعلم ليس مصارعة حرة مع عقل التلميذ لا تخضع للقواعد والطرق المنهجية ينبغى أن نشير إلى أن علماء اللغة التطبيقيين يمنحون المعلم قسطًا ملحوظًا من الحرية فى مجال المزج بين الطريقتين بحسب ظروفه وتقديره، بل يرون مزج إحدى الطريقتين بالأخرى فى التعليم أمرًا لا مفر منه، فلو فرضنا أننا استخدمنا النص وجعلناه وسيلة إلى استنباط القاعدة فوصلنا إلى هذه القاعدة بعد استقراء النص فلن يتوقف بنا الأمر عند هذا الحد، لأن التدريب وهو أهم وسيلة من وسائل استضمار السليقة لا يتم إلا بواسطة القياس على القاعدة، سواء فى الأمثلة التى يقدمها المعلم للتحليل أو فى الجمل التى يكونها التلاميذ أثناء التدريب.

وللطريقة وجه آخر لا بد من مناقشته، وهو إلى أى حد يستطيع معلم اللغة العربية أن يفيد من معطيات علم اللغة الحديث، وبخاصة فى مجال علم اللغة التطبيقى؟ وقبل أن نجيب على هذا السؤال ينبغى أن نوضح الفارق التركيبى بين اللغات التى نشأت هذه الفلسفات فى أحضانها وبين لغتنا العربية. فلقد جعل علم اللغة المقارن لغات الإنسان أسرًا؛ فقسمها بحسب القرابة، ثم قسمها تقسيمًا آخر من حيث البنية وهذا التقسيم من حيث البنية هو الذى يتصل بموضوعنا الحاضر. لقد جعل طوائفها ثلاثًا هى: عازلة، ولاصقة، ومتصرفة فاللغات العازلة كالصينية مثلاً تعد كلماتها وحدات غير قابلة للتحليل، وإنما هى عناصر أولية يوضع أحدها إلى جانب الآخر دون وصل أو إدغام، واللغات اللاصقة كلغات الهنود الحمر مثلا تختلف تراكيبها بحسب التصاق عناصرها الصرفية بعضها ببعض كالذى يحدث فى اللغة العربية فى مجال الضمائر المتصلة ونون التوكيد وياء النسب. واللغات المتصرفة تختلف تراكيبها من حيث الاشتقاق والتصنيف؛ فنجعل الصيغ المختلفة فروعًا من

أصل اشتقاقى واحد، ويسرى على تغير الصيغ قانون صرفى معين، وأوضح الأمثلة على ذلك لغتنا العربية الفصحى، ولقد مثلنا لكل قسم بأوضح الأمثلة عليه ولكن أية لغة مهما كانت لا يمكن أن توصف بأنها عازلة فقط، أو لاصقة فحسب، أو متصرفة لا غير، وإنما تختلف درجات اللغات بأخذ نصيب من هذا الطابع أو ذاك.

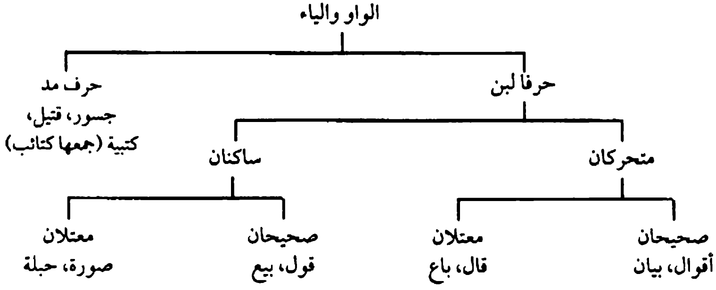
ولقد نشأت الدراسات التطبيقية الحديثة باللغة الإنجليزية، وفى ضوئها، ومع التطبيق عليها. ومع أن اللغة الإنجليزية تعتبر من اللغات التصريفية على وجه العموم، لابد من أن نشير إلى أن هذه اللغة المذكورة قد مرت بمراحل تطور فى طرق تركيبها حتى صارت أقرب اللغات المتصرفة إلى طبيعة العزل واللصق؛ ويتضح ذلك من عدة أمور منها: اتحاد صيغة الاسم والفعل فى جمهور عظيم من كلماتها، واتحاد صيغة الماضى واسم المفعول باطراد، واتحاد صيغة المصدر واسم الفاعل فى كثير من الحالات، واطراد إلصاق العناصر الصرفية فى أول الكلمة وآخرها أو إقحامها على وسط الكلمة، وهلم جرا. ولقد ساعد على اتسامها بسمة اللصق خلوّها من الإعراب خلوًا تامًا واختصار الفروق فى الصور الإسنادية للفعل إلى صورتين إحداهما للمفرد والثانية لما عداه مع خلو كل الإسنادات من علامة تميز الفعل غير الضمير الذى يصاحبه.

أما اللغة العربية فإنها غنية بالمعانى التصريفية المعبر عنها باختلاف الصيغ، وليس من خلال اللصق. وذلك كاختلاف صيغ الماضى والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة والتفضيل والمرّة والهيئة والزمان والمكان والآلة والتعجب مع تعدد الصيغ من أصل اشتقاقى واحد يجمع مفردات كل معنى من هذه المعانى. إذ إن المادة الاشتقاقية الواحدة تحتمل إمكان التعبير عن معان تشترك فيها صيغ الأفعال والفاعلين والمفعولين كالتعدية والمطاوعة والصيرورة والتكلف والاتخاذ، وهلم جرا، مما لا يتحقق مثله فى اللغة الإنجليزية التى أنتجت هذه الدراسات، أضف إلى ذلك أن للغة العربية نظامًا غنيًا من المطابقات فى التكلم والخطاب والغيبة، أو فى الإفراد والتثنية والجمع، أو فى

التعريف والتنكير، أو فى التذكير والتأنيث، أو فى العلامات الإعرابية. ولها فوق كل أولئك نظام إعراب يحمّل العلامة الإعرابية نصيبها من الدلالة على المعنى، مع العلم أنها عنصر لا يمكن عزله من الكلمة عند محاولة التحليل على الطريقة التحويلية، وهى لا تستقل بالمعنى حتى لو صح عزلها وإنما تتضافر مع غيرها فى سبيل أدائه، وفوق ذلك كله نجد فى العربية حرية للرتبة لا نظير لها فى الإنجليزية، وهذا فى رأيى يمثل صعوبة كبرى فى سبيل التحليل على الطريقة الحديثة، وباختصار نجد اللغة العربية مثلا أعلى فى المرونة والغنى بوسائل التعبير الصرفى عن أدق الخلجات والمعانى.

ولقد ذكرت من قبل أن التحويل الذى يجريه المعلمون إنما هو تحويل من بنية سطحية إلى بنية سطحية أخرى تاركين التحويل من المعنى النحوى أو الدلالى إلى البنيات السطحية ليكون من عمل أصحاب البحث النظرى. وهذا التحويل من المعنى إلى المبانى الممكنة هو ألصق بدراسة الأساليب منه بدراسة النحو على أى حال. ومعنى هذا أن تحويلات المعلمين تتناول المبنى دون المعنى. فإذا علمنا أن تحليل اللغة العربية لا يتم بمعزل عن اعتبار المعنى حتى لدى أدنى درجات التحليل، أدركنا الصعوبة التى يصادفها تعميم هذا النوع من التحليل الحديث فى اللغة العربية. ففى جملة "الله يقضى بالحق" التى جرى تحليلها فيما سبق نجد أن المفعول فى التحليل قد اعتبر من متممات الفعل إلى الدرجة التى ساغ بها أن نطلق عليهما معًا اسم "ضميمة فعلية"، ولابد أن يرتبك هذا التحليل حين تمارس اللغة العربية حقها فى حرية الرتبة، فتصبح الجملة "يقضى الله بالحق" أو "بالحق يقضى الله" فيفصل بين الفعل ومكملاته (وهو أمر لا يحدث فى الإنجليزية إذ تبدأ الجملة دائمًا بالاسم ويتقدم الفعل فيها دائمًا على المفعول أى أن بنية الجملة الإنجليزية ذات رتبة ثابتة ولكن الجملة العربية تتسم بحرية الرتبة. وحتى لو تغلبنا على مشكلة الرتبة باختراع تفريع يناسب اللغة العربية فى حدود هذه الطريقة فلن نستطيع أن نستغنى عن المعنى والإعراب فى التحليل العربى كما يفعلون بلغتهم، ولقد ناقشنا

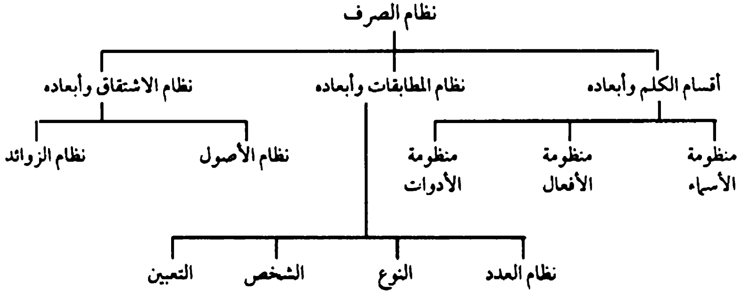
أحد المصريين الذين يعملون فى إحدى الجامعات الأمريكية ويباهون بتطبيق هذه الطريقة على اللغة العربية، وكان نقاشنا حول ضرورة الاعتماد على المعنى فى تحليل اللغة العربية فحين أصر على عدم اعتبار المعنى طلبت إليه أن يحلل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِٱللَّهِ ﴾ على طريقة التحويل ولكن تحليله فى النهاية عجز عن بيان الفرق بين ثلاثة احتمالات فى معنى الآية: أحدها "قالوا: تقاسموا بالله"، والثانى: "قالوا، تقاسموا: بالله" والثالث: "قالوا، تقاسموا: بالله لنبيتنه وأهله". إذ يكون "تقاسموا" فعل أمر فى الأول، وفعلاً ماضيًا بدلاً من "قالوا" فى الثانى والثالث. ولكن بعض أبواب النحو العربى كما ذكرتا من قبل لا تأبى هذه الطريقة كما فى النواسخ والتمييز فلا بأس عند تدريسها أن يشار إلى هذه الطريقة دون إقحامها على الموقف، وذلك كما يلى:



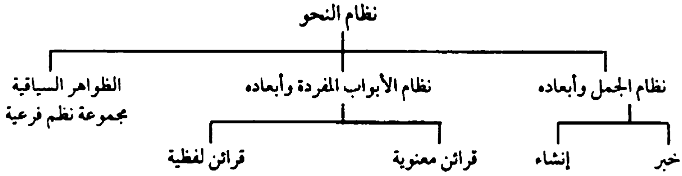
وفى داخل نظام الصحاح يقوم النظام على المخارج العشرة من حيث مكان النطق، وعلى الصفات الأربع من حيث طريقة النطق، وعلى الجهر والهمس من حيث حركة الأوتار الصوتية، وعلى التفخيم والترقيق من حيث شكل الرنين، فكل من هذه نظام داخل نظام داخل نظام داخل نظام داخل نظام اللغة العام. وكذلك يقوم نظام العلل على التفريق الكمى بين الحركات والمدود، وعلى التفريق الكيفى بين قيم ثلاث: إحداها تشمل الياء والكسرة، والثانية تشمل الألف والفتحة، والثالثة تشمل الواو والضمة.

والنظام المقطعى ينبنى على ستة مقاطع يحكمها توزيع نمطى، فيرتبط بعضها ببداية الكلمة، وبعضها بالوقف، ويظل بعضها الآخر حرًا من الناحية المكانية ولكنه مشروط من الناحية التركيبية الصرفية والسياقية، ونظام النبر يقوم على بعدين، أحدهما المنبور والثانى غير المنبور، ويمكن أن يعبر عنه ببضع قواعد قصيرة؛ وهو مرتبط ارتباطًا عضويا بانتظام التنغيم فى اللغة المنطوقة، فلا يدرك المعنى النحوى للجملة المنطوقة إلا بالتنغيم. كما فى قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ بتشديد لام "إلّا" والمعنى للتوبيخ بمعنى "ألاّ" بدليل ما بعده من قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾.

وأما النظام الصرفى فيضم أيضًا درجية من الأنظمة تتمثل فى الشكل الآتى:



ويبدو نظام النحو على الصورة التالية



تلك صورة شديدة التركيز والاختصار لتفرع الأنظمة بعضها من بعض، حتى إن المسألة المفردة من مسائل النحو قد تشتمل على توزيع نمطى تصير به نظامًا فرعيًا فى داخل بابها النحوى المعين، كما يبدو الأمر فى الأمثلة التالية:

المثال الأول:

- نظام الفعل من حيث الجمود والتصرف
  - جامد
    - ملازم لصيغة الماضي
      نحو نعم وبئس وليس
      وكرب وعسى وحرى
      واخلولق وأنشأ وطفق
      وأخذ وجعل وعلق
      وخلا وعدا وحاشا
      وحبذا ولا حبذا
    - ملازم لصيغة الأمر
      هب وتعلم
  - منصرف
    - تام التصرف
      عامة الأفعال
    - ناقص التصرف
      - لا يأتي منه الماضي
        زال وبرح وفتىء وانفك
        وكاد وأوشك
      - لا يأتي منه الأمر
        يدع ويذر

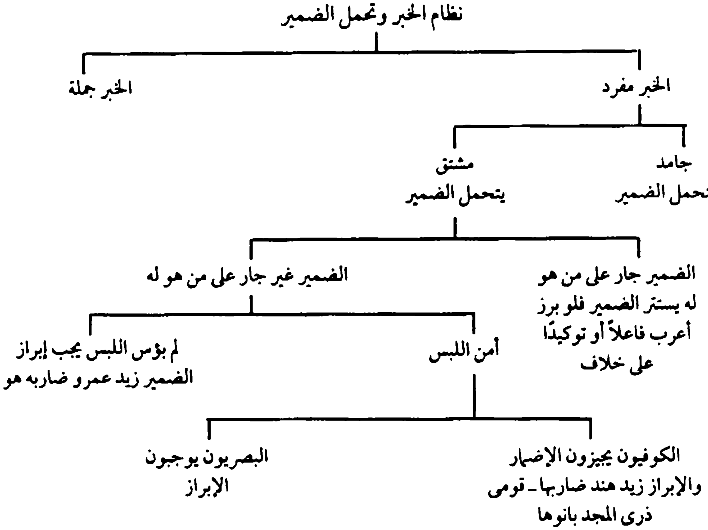
المثال الثاني:

- نظام الفعل من حيث التعدي واللزوم
  - متعد
    - إلى واحد
    - إلى اثنين
      - أصلهما المبتدأ والخبر
      - ليس أصلهما المبتدأ والخبر
    - إلى ثلاثة
  - لازم

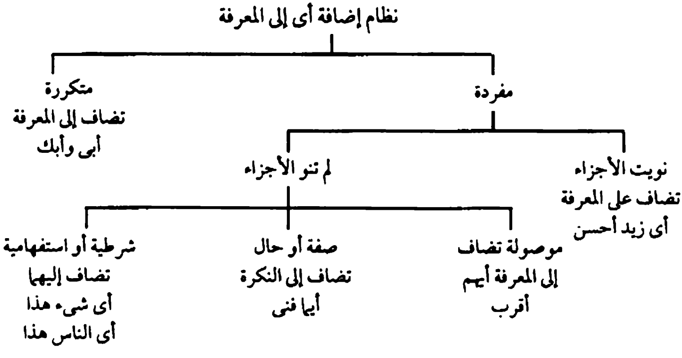
المثال الثالث:

- نظام الإخبار عن المبتدأ
  - المبتدأ جامد فله خبر
  - المبتدأ وصف فله فاعل
    - المبتدأ معتمد على نفي
      - مطابق
        - في الإفراد
          يجوز إعرابان
          أقائم زيد
        - في التثنية
        - في الجمع
        - (في التثنية وفي الجمع): ما بعد الوصف مبتدأ
          أقائمان الزيدان، أقائمون الزيدون
      - غير مطابق
        - الوصف فرد
          الأول مبتدأ
          أقائم الزيدان
          أقائم الزيدون
        - الوصف مثنى
        - الوصف جمع
        - (الوصف مثنى والوصف جمع): الترتيب ممتنع
    - المبتدأ معتمد على استفهام

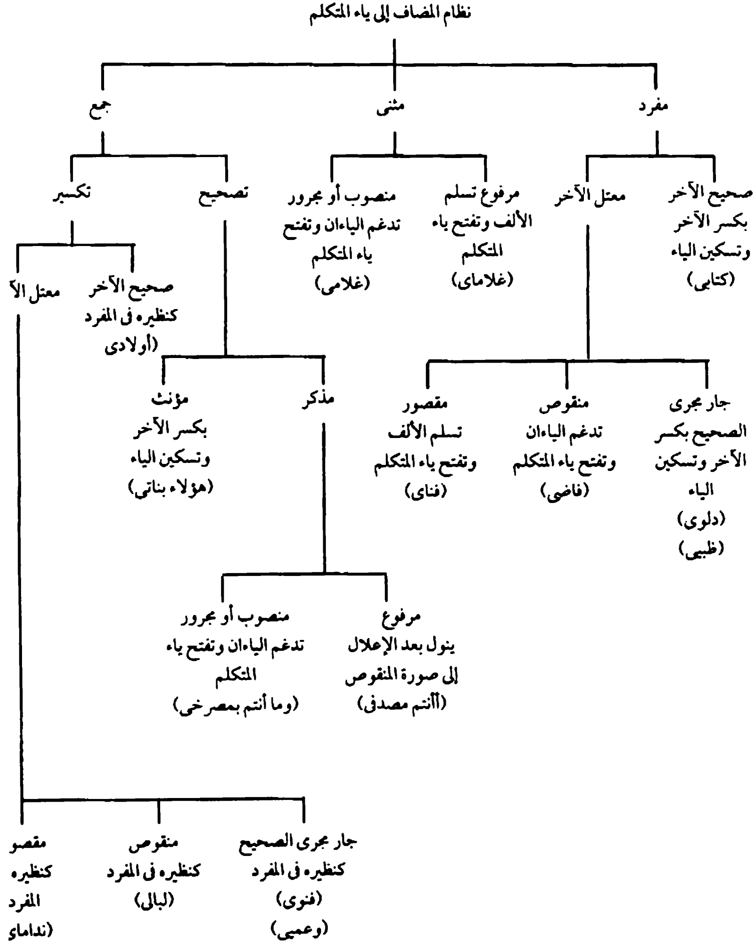
المثال الرابع:



المثال الخامس:



المثال السادس:



هذا ما قصدت إليه بدعوى درجية التنظيم اللغوى، والذى يخلق النظام إنما هو التوزيع النمطى للاستعمال، والسليقة هى آلية المطابقة للنظام فى الاستعمال. وكلما كان المعلم على ذكر من هذه الطبيعة من طبائع اللغة كان أقدر على الشرح. ويحسن دائمًا أن يكون الشرح بعبارات بسيطة غير فلسفية، فلا يلجأ المعلم إلى الأفكار المجردة إلا أن يضطر إليها؛ كحين يسأل عن علة، فإن ذكر العلة فلتكن علة تعليمية لا جدلية كما قال ابن مضاء.

قلت فيما سبق إن الضبط والتوجيه من مطالب التعليم، وقد يكون الضبط والتوجيه فى صورة العبارة المعيارية أو القاعدة القياسية، كما يكونان فى صورة استعمال الوسائل الإيضاحية السمعية والبصرية. ولعل أقل الوسائل نفقة وأكثرها نفعافى ضبط الموضوع وإحكام التوجيه إلى السليقة هو التعبير عن الأنظمة الفرعية الصغرى للغة (اقصد تفريع المسائل فى داخل الأبواب) مثل ما تقدم من عرض الجداول. فليس أدعى للإحاطة بالقاعدة من أن تراها ماثلة أمامك فى صورة جدول تتضح به العلاقات بين الأنماط، فلا يثبت من المعلومات إلا ما كان منظومًا فى علاقات. أما وسائل الإيضاح الأخرى فلعل أحقها بالعناية الأشرطة السينمائية التى تشتمل على حوار باللغة الفصحى فتقدم للتلميذ الصواب والمناسبة فى وقت معًا، وتخرج اللغة الفصحى من محبسها فى المكتبات وفصول الدراسة إلى فسحة الحياة النابضة، فيقف التلميذ منها (ولو لفترة واحدة كل أسبوع) موقفه الذى تهيأ له فى طفولته الأولى بالنسبة للغة المنشأ؛ ومن ثم يكون وصوله إلى استضمار السليقة أسرع وأكفأ، غير أن هذه الوسيلة باهظة التكاليف حين يكون لكل فرقة فى كل مدرسة نسختها منها. أما معامل اللغات فهى دون ذلك فى النفع؛ لأن مجرد الاستماع بغير الرؤية إن أدى إلى الصواب فلن يعين على الوصول إلى المناسبة. أضف إلى ذلك أن العين أبلغ فى التعليم من الأذن.

وينبغى أن تكون للمعلم عناية كبرى بالتدريب والتمرين؛ لأن عرض القواعد

بمفرده لا يؤدى إلى نتيجة إلا إجادة التحليل مع العجز عن صحة الأداء فلا يتأتى كسب المهارة فى الاستعمال إلا من خلال الممارسة. وما دامت اللغة الفصحى ليست لغة البيت ولا لغة السوق فإن الطريق الوحيد إلى الممارسة هو ما يشتمل عليه برنامج الدراسة من ساعات التدريب، فهناك دروس المحادثة، والإنشاء الكتابى، والمطالعة الجهرية أمام التلاميذ، ثم النشاط المدرسى فى صورة التمرين على المناظرة، والخطابة، والمحاضرة. كل ذلك من شأنه أن يعين على استضمار السليقة، وأن يكسر حاجز الخوف من صعوبة العربية التى اتهمت بها ظلمًا وعدوانًا. كل ما هنالك أننا بحاجة إلى المعلم الواعى بدوره والفخور بمهنته والمتحمس لعمله بغية الوصول إلى هذه الغاية. أما الاختبار والامتحان فينبغى أن نبتعد بهما عن طابع الحفظ والاستظهار إلى طابع شحذ فاعلية التلميذ والكشف عن مدى استضماره للسليقة ولا ينبغى للامتحان أن ينصب على القواعد والأحكام، كما لا ينبغى أن تكون الأسئلة لطلب الإجابة بنعم أو بلا؛ توقيا لحكم الصدفة فى التقييم، وإنما ينبغى أن يطالب التلميذ بتعيين التركيب الصحيح وغير الصحيح، وأن يضبط بالشكل، وأن يكون العبارة من كلمات مبعثرة، وأن يملأ المسافات البيضاء فى السياق بكلمات مناسبة، وأن يحوّل العبارة من المفرد المذكر إلى غيره ويصف التعبير الذى تم، وغير ذلك من اختبارات السليقة لا الذاكرة.

وقد يسأل البعض عند تكوين البرنامج؛ بأى الأبواب نبدأ؟ وكل إجابة على هذا السؤال مهما كانت لا بد من أن تحمل عنصرًا من الصدق والصلاحية، ذلك بأن النحو نظام كما سبق أن ذكرنا، وكل نظام يصدق عليه أنه لا يعرف جزؤه إلا إذا عرف كله. ولذا فمهما بدأت بالجزء الذى تظنه أولى بأن تبدأ به فإن النتيجة ستكون هى هى. فلن يكون تعلم النحو إلا من خلال تناول النحو كله. ومع ذلك نجد الناس مغرمين بالمفاضلة بين الاختيارات المختلفة، ولا شك أننى أفاضل أيضًا بين الاختيارات ولا سيما فى هذا المجال المهم. وإذا كان لى أن أقترح ترتيبًا لحقائق النحو فإن أفضل ما أفكر فيه أن أبدأ أولًا بالتفريق بين أنواع الجمل؛ فأقسم الكلام

إلى خبر وإنشاء، ثم أقسم الخبر إلى إثبات ونفى وتوكيد، ثم أقسم الإنشاء إلى طلب وغير طلب، ولكننى لا أدعو إلى مواجهة التلميذ بهذا التقسيم المضبوط من البداية، وإنما أدعه أولاً يتعرف من النصوص على أنواع الجمل تحت العنوان الجذاب (أى بلفظ "الأساليب"). ثم أدخل بعد ذلك فى تقسيم الكلم والتعرّف على الأقسام ووظائفها من خلال الأمثلة والنصوص المختارة، فإذا فرغ التلميذ من معرفتها تقدمنا إليه بمفهوم الجملتين: الاسمية والفعلية ثم الجملة الأصلية والجملة الفرعية، ثم اختار من أبواب النحو تلك الأبواب التى تشتمل على إسناد كالمبتدأ والخبر وكالفعل والفاعل ونائب الفاعل، ثم أختم البرنامج بالمنصوبات والمجرورات والتوابع، ثم انتهى أخيرًا بالعبارات ذات الحذف الواجب كالاختصاص والمصدر النائب عن فعله والتحذير والإغراء، أما الزمن فيدرس من خلال الأفعال، وأما الظواهر السياقية كالتوصل للنطق بالساكن وكسرة التخلص من التقاء الساكنين والوقف والإعلال والإبدال، وهلم جرا فكل ذلك يستنبط من سياق النص؛ لأنه لا يكون إلا فى السياق، وفلسفة هذا الاختيار كما تبدو واضحة هى الاتجاه من التركيب إلى التحليل، على عكس اتجاه عمل الباحث تمامًا.

بهذا كله يمكن فى رأيى أن نصل بالتلميذ إلى استضمار السليقة، ولكن هذه السليقة نفسها تختلف من فرد إلى فرد؛ فليس لها مقياس كمى ثابت، وحين نشير إليها بالنسبة إلى اللغة فى عمومها لا نستطيع أن ننسبها إلا إلى شخص مثالى فى مجتمع متجانس، والشرطان كما نرى من الأمور المجردة، وهذه السليقة تمنح صاحبها قدرات خاصة على التعرف على الصواب والخطأ بمجرد سماعه، وتعطيه نظرة نافذة إلى تمييز اللبس والوضوح، وإلى إدراك العلاقات بين الجمل فى السياق بحيث يدرك الأصلى منها والفرعى، وأخيرًا تجعل استطاعة صاحبها أن يدرك وحدة المعنى مع تعدد الأساليب الموصلة إليه. وهذه القدرة الأخيرة هى التى بنى عليها النحو التوليدى بنوعيه، وحدها كما سبق أن أشرت أنها استضمار للأصول التى يتم

بحسبها الاستعمال، والتى يعبر عنها النحاة بقواعدهم، وذلك للوصول إلى آلية الأداء وتلقائية الصواب والمناسبة، فالسليقة ليست هى القواعد وإنما القواعد هى التى تعبّر عنها، والأداء الذى ينتفع بالسليقة ويعين أيضًا على استضمارها يتحقق فى صورة الكلام كما يتحقق فى صورة الاستماع المصحوب بالتعرف. فأما الكلام فالذى ينسبه المحدثون إلى أدائه كبير الشبه بكلام عبد القاهر فى دلائل الإعجاز إذ يتكلمون عن عوامل يرتبونها كما يلى:

١ - Ideation والمقصود به مفهوم البنية العميقة قبل الأداء.

٢ - Storage والمقصود به اختزان العناصر التى يمكن أن تبنى عليها الجملة.

٣ - Planning والمقصود به تخطيط أبواب الجملة قبل النطق بها.

٤ - Execution والمقصود به تنفيذ الأداء بحسب التخطيط السابق.

٥ - Monitoring والمقصود به مراقبة النفس أثناء الكلام حتى لا يخطىء المتكلم.

والأول شبيه بما يسميه عبد القاهر "النظم"، والثالث شبيه بالترتيب، والرابع شبيه بالبناء، والمعروف عندهم أن المهارة فى الاستماع والتعرف تؤدى بدورها إلى المهارة فى الكلام؛ يشهد لذلك اكتساب الطفل للغة. كما أن المعروف أن المدد البصرى للكلام أكثر من السمعى وهذا هو السبب فى تفضيل الأشرطة السينمائية على معامل الاستماع اللغوى،

هذا، ويقوم تحليل الأغلاط بدور مهم فى تعليم اللغة. ولقد ذكرنا من قبل أن السليقة تنسب إلى متكلم مثالى فى مجتمع متجانس، أما على مستوى الأفراد العاديين المثاليين فلكل واحد منهم لهجة خاصة به (idiosyncratic dialect) تتبنى على سليقة تختلف قربًا وبعدًا عن سليقة المتكلم المثالى بحسب الوضع الذى يحيط بالفرد. فإذا كان الفرد تلميذًا فى مرحلة التعلم كانت سليقته الفردية أكثر بعدًا من السليقة الفصحى المثالية. فكل منهما نظام متكامل، ولكنهما يتطابقان فى بعض النواحى (ويسمى مجال المطابقة common core ويختلف كل منهما عن الآخر فى نواح أخرى.

وهذه النواحى التى تختلف فيها اللهجة الفردية للتلميذ عن السليقة المثالية يجب اكتشافها وجعلها مناط الجهد التعليمى كله.

فالجهد التعليمى أولاً وآخرًا هو رأب هذا الصدع بين السليقة الفردية والسليقة المثالية. ومن هنا يتحتم على المعلم أن يتعرف على طرفى المعادلة، وأكبر وسيلة من وسائل هذا التعرف مراقبة أخطاء التلميذ؛ لأن هذه الأخطاء هى الأعراض الظاهرة لجهات الاختلاف غير الظاهرة، هذه الأخطاء على أنواع: فمنها الهفوات التى يقع فيها الإنسان بسبب التعب أو القلق أو التردد، والوقوع تحت ضغط ما، وتتمثل هذه الأمور فى الإبدال والنقل والحذف للعناصر اللغوية فى الجملة. وهذه يمكن أن تحدث حتى للمعلمين أنفسهم فقد يجوز على أحدنا أن يقول: "معون التعاهد" وهو يريد أن يقول: "معهد التعاون" أو يقول: "رسالة القراءة" وهو يريد "قراءة الرسالة". ومن ثم لا تفيد فى خطة التعليم؛ لأن صاحبها يعرف أنه أخطأ، ويستطيع أن يشير إلى العبارة الصحيحة. ومنها الأغلاط التى يسببها الجهل بنظام اللغة، كالحذف والإضافة وسوء التضام وتشويش الرتبة، وهذه تصدق على المتكلم وعلى السامع كليهما. فكما يغلط المتكلم فى كلامه يغلط السامع فى سماعه والقارىء فيما يقرأ؛ ومن هنا يصعب عليه الفهم، ومن هذا القبيل تعذر فهم التركيب مع وضوح معانى المفردات، كما أن الأخطاء قد تتعلق بالمفردات كما تتعلق بالنظام؛ فمن ذلك إطلاق اللفظ على غير من هو له دون قصد المجاز كأن تسمى القارب الصغير سفينة أو تسمى البغل فرسًا أو تسمى الحقل بستانًا، ومنه أيضًا استعمال اللفظ استعمالاً أسلوبيًا خاصًا، وقد يكون الخطأ مقصودًا فى هذا النوع فيكون مدارًا للفكاهات اللفظية، كأن يقال مثلاً "من يضبط متلبسًا بالتبول فى الطريق يعاقب بغرامة مائة جنيه مع مصادرة الجهاز". فالفكاهة هنا فى كلمة الجهاز، وفى نسبة المصادرة إلى مفهوم اللفظ لا إلى اللفظ نفسه، لأن كلمتى المصادرة والجهاز كثيرًا ما تاتيان فى تركيب إضافى.

ويستطيع المعلم أن ينتفع بهذه الأخطاء فى توجيه التلميذ وتدريبه على الصواب فيما يتصل بنقط الخلاف بين لهجته الفردية والسليقة المثالية، كما يستطيع واضع البرنامج أن ينص على التدريب فى هذا المجال، والله ولى التوفيق.

١ - مواقع أساسها التضام والرتبة:

المضاف والمضاف إليه.

نون الوقاية.

تقديم الاسم على اللقب.

ذا بعدما = ماذا.

الموصول وصلته.

امتناع تقديم الخبر الجملة الفعلية.

وجوب تقديم الخبر فى حالات خاصة.

حذف الخبر بعد لولا وواو المعية وقبل الحال التى تسد مسده.

تقدم النفى أو شبهه على فتىء وأنفك.

تقدم "ما" على دام.

لا يتقدم الخبر على ما دام وليس.

يمتنع إيلاء الخبر لكان أو إحدى أخواتها.

قد تحذف كان بعد إنْ ويبقى خبرها.

يندر الإخبار بغير المضارع عن كاد وعسى.

اقتران الخبر بأن غالب بعد عسى وأوشك ونادر بعد كاد وكرب وواجب بعد حرى واخلولق ممتنع مع أفعال الشروع.

إذا سبقت عسى باسم تجردت من الضمير استغناء عنه بأنْ وما بعدها أو قدر فيها ضمير.

يتقدم اسم إنَّ وأخواتها وجوبًا إلا أن يكون الخبر ظرف أو جارًا ومجرورًا.

يكسر همز إن فى مواضع معينة.

إذا كسرت همزة إنَّ جاز اقتران خبرها باللام.

لا تدخل اللام بعد إن إلا على الموجب.

وتدخل على معمول الخبر المتوسطين لاسم والخبر كما تدخل على ضمير الفصل.

قد يعطف بالرفع على محل اسم إنّ وما اشتمل على النون من أخواتها.

يبطل عمل إنّ إذا لحقتها ما

إذا أهملت إنَّ المحققة وجبت اللام الفارقة.

وإذا خففت أنْ اضمر اسمها وجوبًا وجاء خبرها جملة.

إذا كان الخبر فعلاً متصرفًا لغير دعاء حسن الفصل بقد أو بالنفى أو بالتنفيس.

تعمل "لا" النافية للجنس فى الاسم النكرة ويبنى اسمها المفرد على الفتح فى "لا حول ولا قوة" يجوز فى الثانى البناء الرفع والنصب أيضًا إلا عند رفع الأول فعندئذ يمتنع النصب.

يعطف على اسم "لا" غير المكررة بالنصب والرفع دون البناء والنعت كالمعطوف فى هذا الحكم.

ينصب المبتدأ والخبر على المفعولية بعد ظن وأخواتها.

قد يعلق الفعل عن نصب المفعول عن نصب المفعولين لمانع كاللام فى نحو ظننت لا زيد قائم وما زيد قائم وكذلك إنْ والقسم والاستفهام.

لا يكون الإلغاء عند تقديم المفعول لأن المفعول يصير حينئذ مبتدأ.

إذا جاء فعل القول بعد حرف الاستفهام عومل معاملة ظن وأخواتها.

تلزم تاء التأنيث الفعل الماضى المسند إلى ضمير المؤنث المتصل أو المؤنث الحقيقى.

يجوز حذف التاء المذكورة عند الفصل بإلا وفى نحو نعم الفتاة.

الأصل فى الفاعل أن يلى الفعل مباشرة.

يجب تأخير المفعول لأمن اللبس أو الإضمار الفاعل.

إذا اشتغل الفعل بضمير منصوب سابق قدر للسابق ناصب.

إذا ولى السابق ما يختص بالدخول على المبتدأ كان حكمه الرفع والحكم أيضًا إذا ولمنادة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والنصب أرجع قبل الفعل الطلبى وبعد حرف بلا فصل.

يحذف حرف الجر قبل أنَّ وأنْ باطراد (تحت عنوان نزع الخافض).

يسبق الفاعل فى المعنى من مفعولى أعطى المفعول الثانى.

ينصب المصدر بالفعل أو بالوصف أو بالمصدر الآخر.

المصدر المؤكد لفعله لا يحذف عامله ولا يجوز جمعه هو.

يتحتم حذف العامل إذا ناب عنه المصدر أو جاء المصدر للتفصيل بعد إمّا.

إذا دل المصدر على تعليل واتحد مع الفعل زمنًا وفاعلاً نصب على المفعول لأجله.

إذا فقد المصدر أحد هذين الشرطين جر باللام.

ينصب الظرف بالفعل ونحوه ظاهرًا أو مقدرًا وبعدما وكيف الاستفهام مبثين.

كل وقت يصلح للظرفية ولا يصلح لها من المكان إلا المبهم كالجهات والمقادير إلخ.

قد ينوب المصدر عن الزمان كثيرًا وتقل نيابته عن المكان.

قد يكون الاستثناء مثبتًا أو منفيًا.

قد يذكر المستثنى منه فيكون الاستثناء تامًا وقد يحذف فيكون الاستثناء ناقصًا أو مفرغًا.

تقع الحال وصفًا منكرًا فضلة منصوبًا.

صاحب الحال رتبته التقديم على الحال إلا إذا نفى أو خُصِّص أو نصب بفعل متصرف أو وصف.

لا تأتى الحال من المضاف إليه إلا فى حالات خاصة.

قد تكون الحال مؤكدة لعاملها.

قد تأتى الحال جملة فى محل نصب فإذا سبقت بالواو قدر لها مبتدأ وكانت خبرًا.

قد يحذف عامل الحال.

التمييز اسم نكرة منصوب بمعنى من (نزع الخافض) يفر اسما سابقًا ويجب بعنيه بعد المضاف.

قد يجر التمييز بعد ما يدل على مقدار.

ينصب التمييز بأفعل إذا كان فاملا فى المعنى.

يلزم التمييز دائمًا بعد التعجب.

يتقدم عامل التمييز على التمييز دائمًا.

من حروف الجر ما يختص بالدخول على الاسم الظاهر ومنها ما يختص بالدخول على الزمان.

تزاد من بعد النفى.

قد تزاد ما بعد من وعن والباء فيبقى عملها بالجر.

وقد تزاد الباء بعد رب والكاف فتكفهما عن العمل.

قد تحذف رب بعد بل والفاء الواو فيبقى الجر.

لا تجتمع الإضافة والتنوين.

لا تلحق إلى المضاف إلا إذا ألحقت المضاف إليه أو ما أضيف إليه المضاف إليه.

لا يضاف الاسم إلى ما فى معناه.

بعض الأسماء يلزم الإضافة مطلقًا، بعض الأسماء يلزم الإضافة إلى الضمير حين وإذ تضافان إلى الجمل.

تضاف إذا إلى الجملة الفعلية.

لا تضاف أىّ إلى المفرد المعرفة.

من الأسماء ما يقطع عن الإضافة فيبنى على الضم.

قد يحذف المضاف إليه فيبقى المضاف على حالة بشرط العطف.

قد يضاف المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله.

يعمل اسم الفاعل عمل فعله إذا سبقه استفهام أو حرف نداء أو نفى ومخبر عنه أو موصوف ويعمل مطلقًا إذا لحقته أل.

يجوز فيما يلى اسم الفاعل العامل النصب والجر ويجوز فى تابع المجرور النصب والجر أيضًا.

اسم المفعول فيما معنى كاسم الفاعل.

تضاف الصفة المشبهة إلى فاعلها فى المعنى.

تعمل الصفة المشبهة عمل اسم الفاعل المتعدى.

رتبة الصفة المشبهة التقدم على معمولها.

إذا اتصلت الصفة المشبهة بأل جاز فى ما بعدها الرفع والنصب والجر إلا أن يكون ما بعدها مجردًا من أل فلا يجوز جره.

إذا كانت الصفة المشبهة مجردة من أل ففى تاليها الإعرابات الثلاثة مطلقًا.

ما التعجبية لها الصدارة.

حكم ما بعد فعل التعجب النصب.

قد يحذف المتعجب منه.

إذا فقد الفعل فى التعجب شروط صياغته نصب مصدره بعد أشدٌّ وأشدِد.

لا يتقدم معمول التعجب على فعله ولا يفصل عنه إلا بظرف أو مجرور.

نعم وبئس ترفعان فاعلاً مقترنًا بأل أو مضافًا إلى مقترن بها.

وقد يرفعان ضميرًا له تمييز يفسره.

يأتى المخصوص بعد ذلك مرفوعًا على الابتداء أو الإخبار.

إذا دل دليل على المخصوص جاز حذفه.

إذا تجرد أفعل التفضيل من أل لحقته مِنْ.

رفع التفضيل للاسم الظاهر قليل.

النعت تابع للمنعوت إلا فى الإضافة الوصفية.

يحذف النعت إذا دل عليه دليل.

يتم التوكيد المعنوى بالنفس أو بالعين وكلا كلاتا وكل وأجمع.

إذا أكد الضمير المتصل بالنفس والعين إلخ فبعد المتفصل.

يتم التوكيد اللفظى بتكرار اللفظ.

لا يؤكد الضمير المتصل لفظيًا إلا مع تكرار ما اتصل به.

تؤكد الضمائر المتصلة جميعًا توكيد لفظيًا بضمير الرفع المنفصل.

يعطف بأم بعد همز التسوية أو التعيين.

يعطف على المضير المتصل بعد الفصل بالمنفصل ونحوه.

يعطف الضمير على المجرور بالحرف بتكرار الحرف.

قد تحذف الواو أو الفاء مع معطوفهما عند أمن اللبس.

يعطف الفعل على الوصف والعكس.

لا يبدل الظاهر من ضمير الحاضر إلا إذا دل على إحاطة أو بعضية إلخ.

إذا جاء البدل مع إرادة التعيين كان بعد الهمزة.

يبدل الفعل من الفعل.

يبنى المنادى المفرد المعرفة على ما يرفع به لفظ أو محلاً وينصب المضاف والنكرة غير المقصودة.

إذا ورد لفظ ابن بين علمين ثانيهما أب للأول المفرد دون فصل جاز فى المنادى النصب والبناء على الضم.

ينصب تابع المنادى المبنى على الضم (كلفظ ابن مثلا) إذا كان مضافًا مجردًا من أل ويجوز فى غيره النصب أو الرفع.

إلا إذا كان التابع منسوقًا أو بدلاً فتعامل معاملة المنادى المستقل فإذا اتصل النسق والبدل بأل ففيه النصب أو الرفع.

لا توصف أىّ فى النداء إلا باسم جنس محلى بأل أو باسم إشارة.

يجر المستغاث به باللام المفتوحة مفردًا أو معطوفًا وتكسر اللام فى غير ذلك.

لا يكون المندوب نكرة ولا اسما مبهما كالإشارة والموصول إلا إذا خلا الموصول م أل مثل من وما وأى.

حكم المخصوص كحكم المنادى بغير حرف النداء نحوه أيها العرب"

يكون النصب فى الإغراء والتحذير بوجوب الحذف.

تسبق إيّا التحذير دون الإغراء.

يرفع المضار إذا تجرد من الناصب والجازم.

يجب إظهار أنْ بين اللام ولا ويجوز إظهارها إذا لم ترد "لا".

تضمر أنْ وجوبًا بعد كان المنفية وأو إذا صح أن تعاقبها حتى أو إلاّ وكذلك بعد حتى والفاء وجواب النفى والطلب وبعد واو المعية.

يجزم الفعل فى جواب الطلب المثبت وبعد لا ولام الأمر ولم ولما وأين وإذ ما وحيثما وأنّى.

يجوز رفع المضارع فى الجزاء إذا كان الشرط ما حينا.

المضارع المعطوف على الجواب بالفاء أو الواو يرفع أو ينصب أو يجزم.

إذا اجتمع شرط وقسم حذف جواب ما تأخر منهما والأرجح إجابة الشرط وكذلك إذا تقدمهما مبتدأ فالأولى إجابة الشرط.

تأتى لو قبل الماضى وقد تليها أنَّ

إذا جاء المضارع بعد لو صرف معناها إلى المضى.

جواب أما يقترن دائمًا بالفاء.

إذا دلت لولا ولاما على امتناع لوجود دخلتا على المبتدأ فقط.

يقترن جواب لولا ولاما باللام إذا كان مثبتًا ويجرد منها إذا كان منفيًا.

رتبة الخبر مع الذى والألف واللام التأخر وحكم التعريف.

يخبر بالألف واللام عن اسم واقع فى جملة فعلية يصلح فعلها أن تصاغ منه صلة لأل.

تمييز كم الاستفهامية مفرد منصوب وإذا جرت كم جاز يجر التمييز.

تمييز كم الخبرية مفرد أو جمع مجرور.

تمييز كأين وكذا فيه النصب والجر بتقدير مِنْ.

عناصر معجمية فى التركيب النحوى

دراسة المعجم فرع من فقه اللغة. وبين النحو وفقة اللغة اختلاف فى المبدأ والغاية، أو بعبارة أخرى: فى الموضوع والمطلب. وإذا اختلف الموضوع وتباين المطلب وقع البون الشاسع فى المنهج بالضرورة. فأما موضوع النحو فهو المسموع من كلام العرب. وعلى الرغم مما يوحى به المصطلح مخصصًا بقيود منها الكثرة والفصاحة بل بصحة السند فى كثير من الأحيان. وغاية النحو أن يستخرج من المسموع الضوابط التى تحكم صياغة المقررات فى جمل، أى أن مطلبه هو أن يصل إلى تجريد الأنماط والقواعد، وأن يعتمد فى منهجه على الاطراد أينما تحقق الاطراد، وموضوع فقه اللغة هو المفردات ذاتها وليس موضوعه رصف المفردات[1] فى جمل. ومن هنا لا تكون من قيود موضوعه الكثرة لأنه يتناول الغريب ولا الفصاحة لأنه يتناول الحوشى والدخيل ولا صحة السند لأنه يدرس الارتجال والنحت والاشتقاق ونحوها من ظواهر إبداع المفردات وإذا كانت المفردات حال إفرادها موضوع فقه اللغة فإن المعجم وموضوعه المفردات لابد أن يكون من فروع فقه اللغة، وأن يكون بينه وبين النحو من البون الشاسع ما ذكرنا، ومن ثم لا يتوقع المرء لقواعد النحو أن تختلط بحقائق المعجم.

وأحب أن أشير قبل الدخول فى عمق الموضوع إلى أن النحاة كثيرًا ما أخذوا من فقه اللغة ما لا حاجة بهم إليه وذلك حين يشيرون إلى أن العرب تصرفت فى كلمة مفردة بعينها على نحو معين كقولهم مثلا[1]:

---

(١) انظر هذه الكلمات فى نطاقها من كتاب الجنى الدانى للمرادى.

١ - لحقت تاء التأنيث ثلاثة من الحروف هي "رتبت" و"ثمت" و"لات".

٢ - مُ الله مثلثة الميم.

٣ - "أميْ" التي تسبق المنادى قد تمد ألفها. حكاه الكسائي.

٤ - قد يرد "عن" بمعنى "أن" بقلب العين همزة.

٥ - في "رب" سبع عشرة لغة(١).

وهلم جرا.

ولكنني لا أقصد ذلك ولا أتجه إليه بهذا المقال ولا أراه من النحو لأنه يتناول المفردات دون القواعد. فالذي يجري محاولة عرضه هنا طائفة من الحقائق التي تعود إلى العلاقات بين مكونات المعجم وإلى خصائص للمفردات من ظواهر الذكر والحذف والإظهار والاضمار ونحوه حين يعود ذلك إلى عبارات معجمية على نحو ما سيتضح بعد قليل: وسنحاول أن تبرز علاقة كل هذه الحقائق المعجمية بالتحليل النحوي واعتماد هذا التحليل على تلك الحقائق.

المعجم معنى مفرد لمبنى مفرد والمبنى المفرد اشتقاق وصيغة وتنتظم المفردات في طوائف من زوايا مختلفة فقد يربط بين أفراد الطائفة من المفردات اشتراكها في المادة الاشتقاقية (أصل الاشتقاق) وقد يربط بينها وزنها أو صيغتها أو وقوعها في قسم واحد من أقسام الكلام أو استعمالها على زوائد بعينها وقد يربط بينها المعنى إيجابًا أو سلبًا. وهلم جرا.

فأما ارتباط الكلمتين إحداهما بالأخرى من حيث المادة الاشتقاقية فأشهر ما في النحو منه ما يقوم بين الفعل ومفعوله المطلق. فالمعلوم أن اشتراك المصدر مع الفعل في مادته شرط لإعرابه مفعولاً مطلقًا فإن لم تكن بينهما شركة في ذلك فإن دل المصدر على ملابسة أعرب حالاً وإن دل على غائية أعرب مفعولاً لأجله وإن دل

(١) أوضحها المرادي في الجنى الداني ص ٤٤٧.

على ما يدل عليه المفعول المطلق أعرب نائبًا عن المفعول المطلق، فالأول نحو ﴿ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ والثانى نحو ﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وكذلك ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ والثالث نحو "جرى هرولة". ثم هناك ما يكون بين عنصرى التوكيد اللفظى من وحدة اللفظ ثم بالضرورة اتحاد أصل الاشتقاق وذلك نحو "أخاك أخاك" وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ هذا ويقوم تقسيم المفردات إلى مشتق وجامد على أساس الانتهاء إلى طائفة تشترك فى الأصول أو انفراد اللفظ واعتزاله عن الكلمات فلا يشارك واحدة منها فى أصولها. ذلك مع ما يترتب على هذا التفسير فى التحليل النحوى من حيث الافتقار وعدمه والرتبة وعرفها والتعدى واللزوم والإضافة المحضة واللفظية إلخ.

وتتوقف الإفادة وعدمها فى الكثير من الحالات على الروابط المعجمية فى استقامة المعنى بين المفردات الداخلة فى تكوين الجملة مما يشير إلى أن الكلمات المفردة تقع فى طوائف من حيث المعنى، وعلى الرغم من أن النحاة جعلوا الإفادة شرطًا فى الكلام لم يجعلوها شرطًا فى الصياغة أى أنك إذا قلت "نزلت إلى فوق" فلن يستعصى عليك أن تعرب هذا التلفيق فعلاً وفاعلاً وجارًا ومجرورًا متعلقا بالفعل فتمنحه اعترافًا صناعيًا بصلاحه للتحليل. غير أنك إذا رمت الوصول إلى الإفادة فطنت إلى أن الفعل هنا ينتمى إلى طائفة من المفردات لا تلتقى مع الطائفة التى ينتمى إليها المجرور، لأن معنى كل منهما يتناقض مع معنى الآخر(*). ولكن الاختلاف بين

(*) وهذا السبب ذاته هو الذى دعا إلى تعليق الجار والمجرور فى البيتين الآتين بأبعد الفعلين منهما وذلك فى قول الشاعر الذى لم تكن له حيلة إلا التلهىّ والعجز:

عشية مالى حيلة غير أننى ... بلقط الحصى والخط فى الترب يولع

اخط وأمحو الخط ثم أعيده ... بكفى والغربان فى الدار وقع

فأقرب الفعلين إلى الجار والمجرور (بكفى) هو "أعيده" ولكن الخط لا يعاد ولا يخط بالكف وإنما يمحى بالكف. وذلك تعلق الجار والمجرور بالفعل "أمحو" مع تجاوز "أعيده" لعدم الملاءمة وليس مثل ذلك قول الشاعر:

طائفتى الكلمتين لا يصل فى كل الحالات إلى حد التناقص، لأن إحدى الكلمتين قد تصلح للتَّخَفِّى والتنكر فى زى يجعل الكلمة الأخرى تصالحها وتضامها. يحدث ذلك بواسطة إنشاء علاقة بين الكلمتين يخترعها المتكلم إما عقلية كاللزوم ونحوه أو فنِّية كالتشبيه ونحوه ثم يقيم المتكلم هذه العلاقة مقام العلاقة العرفية التى كانت بين اللفظ مدلوله الذى كان له بأصل الوضع، عندئذ ينشأ أحد الأساليب البيانية فتتحقق الإفادة والإبداع فى وقت معًا.

ومن قبيل ما يفرضه المعجم على التركيب النحوى أن الشىء لا يضاف إلى ما فى معناه فلا يقال كتاب السِّفر ولا جسم الجسد ولا حصان الجواد لأن الإضافة إنما تكون على معنى حرف الجر وحروف الجر تعبر عن علاقات بين المجرور وعنصر آخر من عناصر الجملة والعلاقات كما تكون اقترانًا ذهنيًا بين أمرين تقتضى أن يكون الأمران متغايرين فلا يقال إن هناك علاقة بين الشىء ونفسه ومن ثم لا يضاف الشىء إلى نفسه أو بعبارة أخرى إلى ما فى معناه.

فإذا ورد فى الكلام الفصيح المسموع عن العرب ما ظاهرة إضافة الشىء إلى ما فى معناه لم يستطع النحاة رفضه ومن ثم يصبح عليهم أن يفسحوا له مجال التأويل فيجعلوه على حذف مضاف.. كذلك فعلوا بتراكيب مثل: صلاة الأولى ومسجد

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل   خلوت ولكن قل علىّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة   ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فتعلق الجار والمجرور يتعين فيه لأسباب غير معجمية أن يكون بالفعل "يغيب" وليس بالفعل "يخفى" لأن "لا تحسبن" مسلط على "يغيب" أى لا تحسبن الخفى يغيب على الله. والفعلان هنا يلائمان الجار والمجرور من الناحية المعجمية فيجوز أن نقول: "يخفى عليه" و"يغيب عليه" ولكن قرينة السياق تأبى تعليق الجار والمجرور يأخذ الفعلين وتحتمه للآخر. ولولا هذه القرينة لنسب البيت إلى اللبس. ومعنى قرينة السياق أن البيت الأول يثبت الرقابة لله على ضمائر عباده وهذا يتنافى مع عبارة "يخفى عليه" إذا علقنا الجار والمجرور بالفعل "يخفى". أضف إلى ذلك أن فى البيت الأول من رنة التقوى ما يتنافى مع الكفر الذى يكمن فى اعتقاد خفاء شىء على الله. وهو ما قد يفهم من تعليق الجار والمجرور بالفعل "يخفى". وهكذا تجاوز الجار والمجرور التعلق بالفعل المتقدم وهو أكثر الفعلين احتمالاً لذلك بحكم الرتبة وتعلقًا بالفعل المتأخر ليستقيم المعنى.

الجامع ونحوهما حين فطنوا إلى أن الصلاة هى الأولى والمسجد هو الجامع فقدروها: صلاة الساعة الأولى ومسجد المكان الجامع وهكذا أصبح المضاف غير المضاف إليه من حيث معناه المعجمى.

ومن ذلك أيضًا أن الحال لا تكون من مادة اشتقاق فعلها لئلا تكون هناك مطابقة فى المعنى بين حدثين يلابس أحدهما الآخر فلا يقال سرى ساريًا ولا ركب راكبًا إلا أن تخصص الحال بإحدى صور التخصيص فيضيق بالتخصيص معنى الحدث الذى نسبها فتنتفى عندئذ المطابقة فى المعنى بين الحدث الذى فى الحال والحدث الذى فى الفعل فيقال مثلاً "سرى ساريًا لا يخاف" أو "سعى ساعيًا إلى حتفه" أو "ركب راكبًا رأسه" أو "جهل جاهلاً أنه يجهل". ذلك أن فى الفعل والحال حدثين بينهما علاقة الملابسة فإذا اتحد معنى الحدثين ولم يخصص الثانى منهما آلت المسألة إلى دعوى أن الفعل (أو الحدث الذى هو بجزء من معناه) إنما يلابس نفسه فتنتهى المسألة على ما انتهت إليه إضافة الشىء إلى نفسه وبذلك تتسم بالإحالة.

والنفس والعين والذات كلمات معجمية ذوات معان مفردة كبقية الكلمات أى أن لكل منها مفهومًا يدل عليه هذا اللفظ ولكن هذه الكلمات على الرغم دلالتها المعجمية (وربما بسببها أيضًا) لا تصلح أن تكون ركائز تعدد الصلاحية للضمائر المتصلة حين يراد أن يؤكد بها الاسم الظاهر أو الضمير المنفصل فيقال جاء محمد نفسه أو عينة أو ذاته وجاء هو نفسه أو عينه أو ذاته فيستفاد نفى الغيرية من الضمير ويرتكز الضمير لتكثير حروفه على النفس أو العين أو الذات. ولربما وقعنا أحيانًا على عبارة مثل: "سلبت زيدًا نفسه" فنقع فى حيرة فلا ندرى وقد أعطى المعجم للنفس هذين المعنيين أى إعراب لتعرب النفس: إعراب الكلمة المقررة فنجعلها مفعولاً به ثانيًا وتكون النفس عندئذ هى السليبة، أم إعراب ركيزة الضمير فتجعلها توكيدًا معنويًا لزيد ويكون المسلوب شيئًا آخر غير النفس يملكه زيد وقد حذف المفعول به الثانى من الكلام. عندئذ يحتاج تحديد المعنى (ومن ثم الإعراب) إلى

قرينة إما لفظية نحو "سلبت زيدًا نفسه كل ما يملك" أو خارجية لو كان يعلم السامع أن سلبًا قد حدث ولكنه شك فى أنه وقع على زيد فساق إليه المتكلم هذه الجملة.

والمفعول معه ذو شرط معجمى هو أن تدل الكلمة المعربة مفعولا معه على شىء يمكن ملازمته أو مصاحبته صحبة مكانية أو زمانية ولذا لا تقول: رأيت زيدًا وعمرًا وأنت تقصد المفعول معه لأن عمرًا من شأنه أن يساوى زيدًا فى إمكان حركته وسكونه فليس أحدهما أولى بأن يلتزمه الآخر أو يصحبه ولو ادعى أحد ـ معنى الصحبة لواحد منهما لكانت دعوى بلا دليل من شأنها أن تؤدى إلى اللبس (وإن يشكل خيف لبس يجتنب). وإنما أشرت إلى فكرتى الملازمة أو المكانية أو الزمانية المصاحبة لأنك إذا استعملت الفعل من واحدة منهما وجدت احتمال اللبس أكبر حتى مع الألفاظ التى تستوفى شرط المفعول معه السابق. انظر اللبس فى نحو "لزمت زيدًا ويمين الطريق" وسترى أنك ما دمت تستطيع أن تقول: "لزمت يمين الطريق" فلا مانع يمنع من أن يكون يمين الطريق معطوفًا على زيد. وكذلك يرد اللبس فى "صحبت زيدًا وموكب الاحتفال" ولعل ارتفاع نسبة اللبس عند استعمال هذين الفعلين يأتى عند فهم أن كلا من هذين الفعلين بدلالته على معنى الاصطحاب قد سلب الواو قدرًا لا بأس به من معنى المعية جعل احتمال المعية فيها مساويًا لاحتمال مطلق الجمع.

والظروف المتصرفة كلمات معجمية بحقها لأنها "تُرى ظرفًا وغير ظرف" ومعظمها من الأسماء المبهمة التى تدل على الأحداث والجهات والأزمنة والأعداد ونحوها ولكن هذه الأسماء تخلت عن أشراط الاسمية التى تميزها ونقلت إلى استعمال الظرف. وإذا كان الأمر كذلك فإن بعض مواقع هذه الأسماء قد يجعل المقصود منها ملتبسًا فلا يدرى إن كان المقصود بها المفعول به (على زعم استصحاب الاسمية) أو المفعول فيه (على زعم النقل إلى الظرفية). فمن ذلك تراكيب مثل: أحببت أول الربيع ـ تذكرت ساعة الأصيل ـ تأملت صباح الخميس.

ومما يفرضه المعجم على التركيب النحوى أيضًا ما يعرفه النحاة من امتناع الإخبار بالزمان عن الجثة ذلك بأنه إذا وسع المكان المعانى والأجرام فإن الزمان يسع المعانى دون الأجرام فإذا صمت رمضان فى القاهرة فالقاهرة ظرف لشخصى ورمضان ظرف لصيامى. وهكذا نجد من الصواب أن يقال:

الفضيلة بين رذيلتين (بين ظرف مكان أخبر عن معنى)

أو أن يقال: المؤمن بين مخافتين (بين ظرف مكان أخبر عن جثة)

وكذلك: أنا بين صديقين (بين ظرف مكان أخبر عن جثة)

ولكن يمتنع أنا ساعة الأصيل (ساعة ظرف زمان امتنع أن يخبر به عن جثة)

مرة أخرى نقول إذا ورد عن العرب الفصحاء ما ظاهره الإخبار بالزمان عن الجثة لجأوا إلى ما لجاوا إليه فى المسألة السابقة فقالوا بحذف مضاف وجعلوا المضاف معنى يصلح الزمان أن يكون له ظرفًا فأولوا قولهم: الرطب شهرى ربيع فجعلوه: ظهور الرطب شهرى ربيع وهلم جرا.

لقد رأينا أن للإفادة عقبة تكمن فى التناقض الذى قد يكون بين طوائف المفردات وإن لها لآفة أخرى تسمى اللبس ينفر منها اللسن من الناس ويأباها النحاة وحسبنا أن نذكر قول ابن مالك: "وإن بشكل خيف لبس يجتنب". ومعنى هذا أن أمن اللبس مطلب ضرورى وغاية من غايات الإفادة وأن السياق يرصد القرائن للوصول إلى هذه الغاية سواء أكانت هذه القرائن لفظية أم معنوية. ومن القرائن المعنوية قرائن تتصل بالمعنى المعجمى لبعض المفردات الداخلة فى تركيب الجملة. ومن ذلك قرينة انتقال الفعل وعدمه. فالفعل المتعدى قد يكون منتقلاً أو غير منتقل(*) فالمنتقل هو الذى يصح أن يتحول فاعله إلى مفعول ومفعوله إلى فاعل نحو ضرب زيد عمرا إذ يجوز أن نقول ضرب عمرو زيدًا وغير المنتقل ما لا يصلح مفعوله أن يكون فاعلاً نحو أكل الغلام التفاحة فعدم انتقال الفعل قرينة معجمية معنوية جاز معها للعرب القدماء أن يرفعوا المفعول مقدما وينصبوا الفاعل مؤخرًا

(*) يكتب السبب عدم الانتقال وكونه إما من مادة الفعل أو من علاقة الفاعل بالمفعول.

فى قولهم: خرق الثوب المسمار دون عدوان على الإفادة بسبب أمن اللبس. واللبس مأمون أيضًا لهذا السبب فى نحو قولنا استشعرت التقوى سلمى على رغم عدم ظهور الإعراب وتشويش الرتبة. وفى هذا إشارة إلى أهمية الحقائق المعجمية فى التركيب النحوى.

ومن الصفات ما يصلح للكثير من الموصوفين كالطول والقصر والألوان والأحجام والحركة والسكون ونحوها فتقول: هذا رجل طويل وطريق طويل ويوم طويل وحبل طويل وإطراق طويل وكلام طويل إلخ كما يتعدد احتمال الوصف بالقصير والأحمر والكبير والسارى والراسخ إلخ فيكون الموصوف حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا. ومن الصفات ما يتعين به موصوفه لاختصاص الموصوف بهذه الصفات فلا يكون العالم إلا رجلاً ولا البتار إلا سيفًا ولا الغادة إلا امرأة ولا الرؤوم إلا أمًا ولا الهصور إلا أسدًا إلخ. فإذا تعين الموصوف بصفته صح أن تكون الصفة مغنية عن ذكره فيجوز عندئذ حذفه وأن يكون الحذف اختبارًا أسلوبيًا يلجأ إليه المتكلم. من هنا رأينا تراكيب مثل:

وقد اغتدى والطير وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكرّ مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله:

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفنا كواسب ما يفل عصامها
فلحقن واعتكرت لها مدرية كالسمهورية حدها وقوامها

وقوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾. وقد أغنت الصفات عن ذكر الحصان أولاً ثم الكلاب والقرون والرماح ثانيًا ثم السفينة ثالثًا.

ومثل ذلك حذف المفعول إذا كان فى الفعل دليل عليه أو عموم يشمله. ففى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ

مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ [القصص: ٢٣ ـ ٢٤].

حذف المفعول من كل فعل لأن السقى والذود والأصدار أفهمنا أن المقصود الماشية. وفى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٣ ـ ٤٤]. وقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٨] دخل الإنسان وهو المقصود بالكلام فى عموم الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء والإقناء فحذف المفعول وهو الإنسان. وفى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [العلق: ٤] حذف المفعول وهو الإنسان للعلم به ولذكره بعد ذلك مباشرة فى قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [القلم: ٥] فعوض عن حذفه أولاً وإن كان له ما يبرره وذلك بذكره ليعيد عليه الضمير المستتر فى الفعل ﴿ يَعْلَمْ ﴾ ولئلا يعود الضمير على لفظ "ربك" المذكور سابقًا. ومنعًا للإحالة والتناقض اللذين يردان على "علّم ما لم يعلم". ومغزى كل ذلك أنه إذا قام دليل على المحذوف (وهذا الدليل فى معظم أحواله حقيقة معجمية) جاز الحذف ولا حذف إلا بدليل. ومن ذلك أن الصفة قد تحذف مع وجود الدليل. وذلك كحذف صفة السفينة فى قوله تعالى: ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩] لوجود الدليل عليها فى قوله: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ لأن الملك لم يكن يأخذ أو يغتصب سفينة معيبة وبذا تكون الصفة التى دل عليها الدليل هى "غير معيبة" أو "صالحة".

قد تتحد الصيغة الصرفية للفظين المختلفين من حيث الاشتقاق فتختلف نظرة النحو إليهما لاختلاف مادتهما (أى لسبب معجمى لا صرفى) وبذا يكون المعجم قد رفع لبسًا صرفيًا فاللفظان: جهاد. وغلاف كلاهما على وزن "فعال" ولكن اتحاد الصيغة لم يقد النحو إلى رؤيتهما شيئًا واحدًا وإنما جعل الكلمة الأولى مصدرًا وجعل الثانية اسما غير مصدر ثم رتب على ذلك فصلا بينهما فى طبيعة تحليل التركيب الذى يشتمل على كل منهما وفى الوظائف النحوية التى يؤديها كل منهما مثل: الإعمال

وعدمه ـ الإضافة على نية الإعمال والإضافة المحضة. الصلاحية للمفعول المطلق والمفعول لأجله والحال وعدم الصلاحية لذلك ومثل ذلك يقال فيما تشترك فيه الأسماء والصفات من الأوزان الثلاثية وفى قوالب صرفية أخرى مثل فعيل وأفعل وغيرهما من الصيغ المشتركة.

والقصد عنصر معجمى من عناصر فهم العلمية لأن العلم يدل على معين ومقصود بواسطة العهد ومعنى العهد سبق المعرفة وذلك لا يمنع أن كل اسم علم ربما اشترك فيه طائفة من الناس ممن يعرفهم المتكلم والسامع كلاهما فإذا ذكر المتكلم هذا الاسم كان السامع عرضة للبس لو لم تساعد قرائن المقال على تعيينه بالعهد الذكرى أو قرائن الحال على تعيينه بالعهد الذهنى. وهذا القصد الذى هو عنصر من عناصر العلمية إذا أدخل على معنى النكرة فى النداء أخذت حكم العلم فبنيت مثله على الضم فى محل نصب فأصبحت معرفة فإذا نودى العلم أو النكرة المقصودة فالعهد حضورى فى الحالتين والعهد هنا فهم للمقصود بالنداء يشترك فيه المتكلم والسامع الذى قد يكون المنادى وقد لا يكون.

وحين يفقد العلم مفهوم القصد يتحول إلى نكرة يصدق عليها كل ما يصدق على النكرة من الناحية النحوية كأن تضاف إلى معرفة فيصيبها التعريف وكأن توصف بها النكرة وهكذا فالرشيد والمأمون والمعتصم من عظماء خلفاء العباسيين وهم أعلام بكل مقاييس العلمية ولكن أسماءهم تحولت إلى نكرات فى قول شوقى:

دار الشرائع روما كلما ذكرت	دار السلام لها ألقت يد السلم
فما حكتها بيانًا حين نختصم	ولا حكتها قضاء حين نحتكم
ولا احتوت فى طراز من قياصرها	على رشيد ومأمون ومعتصم

ولم يأت التنكير من نزع "أل" من هذه الأعلام بل من دلالتها على حاكم ماله

مميزات الرشيد وحاكم آخر له مميزات المأمون وحاكم ثالث له مميزات المعتصم، أي أن نفي الأعلام دل على نفي وجود حكام نكرات من الرومان لهم هذه المميزات. أو بعبارة أخرى يكون "الرشيد" خليفة عباسيًا ويكون "رشيد" في بيت شوقي حاكمًا رومانيًا مضاهيًا للرشيد ولكن لم يتحقق وجوده.

أي أن الرشيد = مثيل للرشيد.

من الأحداث ما يقتضي العطف كالمشاركة والتسوية ونحوهما فإذا قلنا تقاتل أو اختصم فلا يكفي فرد واحد لا يقاع الحدث ومن ثم نأتي بعده بالفاعل وبعده شريك له معطوف عليه أو نأتي بضمير المثنى أو الجمع دالا على الفاعل والشركاء. ولقد نسب الصرفيون المشاركة إلى الصيغة فقالوا إن المشاركة هي المعنى الذي يفهم من فاعل وتفاعل وافتعل وقد علموا أن كل صيغة من هذه لا تدل دائمًا على معنى واحد بدليل "سافر" و"تمادى" و"اختتم" فكان عليهم أن ينسبوا المعنى إلى المادة الاشتقاقية أي إلى المعجم لا إلى القالب الصرفي. أما المساواة (وهي تأتي على هذه الصيغ أيضًا) فيقال "ساوى" و"تساوى" و"استوى") فلا يكفي فيها إلا أن تعطف على الفاعل لأنه لا يمكن أن نتصور تركيب مثل "تساوى زيد" إلا أن يقال بعده "وعمرو" فيذكر الطرفان وبينهما الواو. غير أن القرآن الكريم قد تصرف في التسوية بطرق أسلوبية مختلفة فحذف الواو أحيانًا دون حذف المعطوف كقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ﴾ [الحديد: ١٠]. فالمعطوف هو الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ولكن الواو حذفت. وقد يغيّر مكان الواو كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ﴾ [غافر: ٥٨] وقد ترد الواو فقط كما في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٢٤] أي كالأعمى الأصم والبصير السميع وقد تزاد لا فقط كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ

وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ١٩ ـ ٢٢].

ولقد فطن اللغوى الأمريكى تشومسكى إلى مبدا هام بحكم اختيار مفردات الجملة أطلق عليه اسم "قيود الانتقاء" selection restrictions جعل تشومسكى هذا المبدأ معجميًا فقط ولكن لهذا المقال الحاضر نظرة تركيبية كذلك لأن الفعل اللازم قد يضام حرفًا بعينه دون حرف آخر مثلاً فى النحو لأن الأمر يدور حول معانى المفردات لا حول الأبواب النحوية ومعنى قيود الانتقاء أننا عندما تبدأ الجملة بكلمة يضيق مجال الاختيار بالنسبة لتاليتها فإذا جئنا بتاليتها ضاق مجال الاختيار بالنسبة للتى تتلوها وهكذا حتى تكاد الكلمة الأخيرة فى الجملة أن تفرض نفسها فرضنا على المتكلم. دعنا نلق ننظر فى بيت المتنبى الذى يقول:

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانًا

فإذا قلنا "كلما" توقعنا بعدها فعلين على غير تعيين لمنطوقهما ولكن هذين الفعلين يغلب أن يكونا ماضيين ويمتنع فيهما أن يكونا فعلى أمر. فإذا قلنا "أنبت" ازداد مجال الاختيار ضيقًا وأصبحت المفردات الصالحة معدودة مثل: الله ـ الفلاح ـ الربيع ـ المطر إلخ وقد اختار المتنبى لفظ "الزمان" بدل "الربيع" ليجعل مزاج بيته هذا متشائمًا ولأن الزمان هو الدهر والكلام حول ربط الدهر بالتشاؤم كثير. كان ذلك بالنسبة للفاعل أما بالنسبة إلى المفعول فإن الفعل "أنبت" يتطلب مفعولاً من قبيل النبات على سبيل الحقيقة ومن قبيل الأشياء النامية على سبيل المجاز وقد اختار المتنبى الحقيقة لأن المجاز لحق بالفاعل. ويمكن لجملة الجواب بعد ذلك أن تأتى بعدد محدود من الأفعال مثل: حصد ـ جنى ـ أكل إلخ مما يناسب الفعل "أنبت" أو بفعل يناسب "قناة" مثل: حمل ـ شذب ـ ركّب إلخ ويضيق مجال الاختيار بعد الفعل "ركب" فيكون "المرء" أوضح مرشح لاحتلال موقع

الفاعل ثم ماذا عسى المرء أن يُركب فى القناة إلا أن يركب "اسنانًا" حتى إن الشاعر لو توقف عن القول دون السنان لكان خليقًا بالسامع أن يقولها بنفسه ليتم البيت. وهكذا نرى علاقات المفردات فى المعجم تفرض على الجملة النحوية قيودًا لانتقاء المفردات.

الفعل العلاجى ما اشتمل إيقاع حدثه على قدر من الجهد نحو ضرب ومشى وكتب إلخ. وغير علاجى ما خلا من الجهد نحو كرم وشرف وحسن وساء إلخ. والعلاج وعدمه معنيان معجميان ذوا أثر فى التركيب النحوى فى بعض الأحيان. مثال ذلك أنه يندر فى المفعول لأجله أن يأتى مصدرًا علاجيًا فلا يقال "أمسكت بالعصىَ ضربًا للمذنب" ولا "خرجت مشيًا إلى بيتى" ولا "امسكت بالقلم كتابة إلى صديقى". ذلك بأن المفعول لأجله غاية من الغايات وهذه الغاية من قبيل النوايا ليست من العلاج فى شىء. وهكذا يصبح من المناسب للمفعول لأجله أن يأتى مصدرًا غير علاجى إلا أن تقوم قرينة على إرادة المجاز نحو "إنما فعلت ذلك سعيًا إلى كسب رضاك" فيدخل المصدر فى معنى النية والتوق إلى الغاية ومن ثم يصلح أن يكون مفعولاً لأجله. أما ما لا يصلح فسبيله أن يأتى على صورة لام التعليل والفعل المضارع فيقال: "للسعى".

المعجم يشتمل على المعانى كما يشتمل على ظلال المعانى ومعنى اشتماله على ظلال المعانى أن المعجم قد يسمى المفهوم الواحد بأسماء مختلفة باعتبارات مختلفة فمن نظر إلى وحدة المفهوم أثبت استعمال اللغة لفكرة الترادف ومن نظر إلى اختلاف الاعتبارات نفى الترادف واعتد بالفروق وقد ألف رجال فى الترادف وألف رجال آخرون فى الفروق. ما علاقة ذلك بالنحو؟ الجواب أن المطابقة النحوية تعتمد أحيانًا على اختلاف الاعتبار. فالعرب مثلاً باعتبار توحدهم وتميزهم "قوم" وباعتبار تعددهم "جماعة" وهكذا تعدد اللفظ والمفهوم واحد فإذا رأيناهم قومًا قلنا: "العرب يقولون" وإذا رأيناهم جماعة قلنا: "العرب تقول" والله تعالى عدّ

الطائفة جمعًا فقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ وقال: ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ كما أعاد الضمير على الفئة مؤنثًا مرة ومذكرًا مرة أخرى فقال: ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾.

ليس البناء للمعلوم دليلاً على إيقاع الفاعل للحدث فى كل الحالات لأن بعض المبنى للمعلوم مطاوع مثل انكسر وهذا يقال فى تعريف فاعله إنه قام به الفعل أى تم وقوع الحدث بواسطته وليس البناء للمجهول دليلاً على معاناة الحدث دائمًا لأن بعض النائب عن الفاعل ظرف أو جار أو مجرور مثل: «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» وكذلك ولما سقط فى أيديهم فهناك مشابهة فى المعنى بين المبنى للمجهول والمطاوع تجعل من الممكن أن يحل أحدهما محل الآخر. فإذا أردت الإخبار عن كسر الزجاج صح لك أن تقول: انكسر الزجاج أى قام به الكسر كما يصح لك أن تقول كُسِرَ الزجاج أى وقع عليه الكسر فالمعنى السلبى سمة للصيغتين جميعًا ولكن بينهما فروقًا من حيث علاقة كل منهما بمأخذه (أى بالمبنى للمعلوم من مادته). فالعلاقة بين المبنى للمجهول ومأخذه علاقة صرفية تحويلية فقط بمعنى أنك إذا أردت أن تبنى للمجهول من فعل مبنى للمعلوم فإن الوسيلة إلى ذلك صرفية بحتة فما عليك إلا أن تضم الأول وتكسر ما قبل الآخر فإن فعلت فقد حصلت على الفعل المبنى للمجهول. أما المطاوع فقد تكون العلاقة بينه وبين مأخذه صرفية تحويلية تتمثل فى تحويل المبنى للمعلوم إلى صيغة انفعل أو افتعل أو تفعّل أو استفعل إلخ نحو كسرته فانكسر وحبسته فاحتبس وعلّمته فتعلم وأطلته فاستطال واعنته فاستعان إلخ وقد تكون هذه العلاقة معجمية تأويلية لا تتوقف على إجراء صرفى معين وإنما تتحكم فيها سمات وارتباطات فى المعنى حتى ليصح أن نسمى المطاوع الذى سبق ذكره مطاوعًا صرفيًا وأن نسمى هذا المطاوع مطاوعًا معجميًا مثال ذلك: أعطيته فأخذ ـ بعته فاشترى ـ قهرته فذل ـ سقيته فشرب ـ صرفته فذهب (قارن: صرفته فانصرف) ـ رقيته فعلا (قارن: رقيته فارتقى) ـ أنزلته فهبط (قارن: أنزلته فنزل) ـ دعمته فقر

أو فاستقر - أعديته فمرض - قتلته فمات والمقصود بسمات المعنى وارتباطاته أن الأول يقتضي وقوع الثانى دائمًا ولكن الثانى لا يتوقف وقوعه فى كل الحالات على الأول. فلا يتوقف الأخذ على الإعطاء ولا الشرب على السقيا ولا الذهاب على الصرف ولا العلو على الترقية ولا الهبوط على الإنزال ولا القرار أو الاستقرار على الدعم ولا المرض على العدوى ولا الموت على القتل بخلاف الشراء فإنه لا يتم إلا متوقفًا على البيع.

والتضمين معجمى البداية نحوى النهاية أيضًا فهو يبدأ بإسباغ معنى إحدى الكلمتين على الآخرى ثم يترتب على ذلك قيام الكلمة الثانية بالوظائف النحوية للكلمة الأولى وارتباطها بما تستحقه الأولى من محيط لفظى. فالفعل استحب مثلا فعل متعد يكتفى بمفعوله ثم لا يتطلب بعده شيئًا. فتقول مثلاً: أنا استحب الصدقة الخفية وتبنيه للمجهول فتقول تُستحب الصدقة الخفية فهى مستحبة. وتقول: أنا أفضّل الصدقة الخفية على الصدقة المعلنة فتأتى بحرف الجر "على" مع الفعل الدال على التفضيل. ولكن الآية الكريمة ضمّنت "استحب" معنى "فضل" ثم أعطته بيئته اللفظية المشتملة على الجار والمجرور فجاء فيها "فاستحسنوا العمى على الهدى". أى "فضلوا العمى على الهدى". والفعل "نقض" يتعدى إلى مفعول واحد تقول: "نقضت القرار" أى أبطلته بعد إبرامه. ولا نقول: "نقضت القرار باطلاً" لأنه لم يكن باطلاً حال النقـض. ولكنك تقول: "جعلت القرار باطلاً" لأنه "جعل" ينصب مفعولين فإذا ضمنت "نقض" معنى "جعل" أدخلتها على ما تدخل عليه وهذا هو الذى تجدد فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ فيكون "أنكاثًا" مفعـولا ثانيًا ولا يصلح حالا لأن الغزل لم يكن أنكاثًا حال النقض أى أنه لا تقوم علاقة الملابسة بين النقض والأنكاث بل يترتب أحدهما على تمام الآخر فيكون نتيجة له وصـائرًا عنه والصيرورة كامنة فى معنى "جعل".

ومما كشف عنه التحويليون أيضًا أنه لا يجوز الإضمار إلا إذا تطابق الضمير ومرجعه لفظًا ومعنى وفى رأيى أن الأصل فى الربط إعادة اللفظ وهذا الأصل يستصحب فى حالتين: الأولى أمن اللبس وذلك أن تكرم أخا زيد لأن زيدًا أحسن إليك فيمتنع أن تقول: "أكرمت أخا زيد لأنه أحسن إلىّ" ويجب الإظهار فتقول: "لأن زيدًا أحسن إلىّ" وكذلك إذا رأيت رجلا يضرب رجلاً آخر فإن اتفاق الأسمية لفظًا لا يشفع لاختلافهما فى القصد ومن هنا يجب الإظهار فتقول: "ضرب الرجل الرجل".

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ فالملك الأول غير الثانى وكل منهما غير الثالث والذى شاء الله أن يؤتيه الملك غير الذى شاء أن ينزعه منه والذى أعذه غير الذى أذله وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ أى قال لهم المنافقون إن المشركين قد جمعوا فاختلاف القصد أدى إلى استصحاب الربط بإعادة الذكر. والحالة الثانية الاختيار الأسلوبى لنكتة رأى المتكلم إبرازها. كأن تقول لرجل جاء يعلن الزيارة ويخفى سعيه إلى لقاء من يجب: "إن جئت لترى حبيبة القلب فحبيبة القلب على سفر طويل" وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ وقوله: "واتقوا الله".

فإذا تطابق لفظ المرجع وما يراد إضماره وتطابق معناهما أمكن الإضمار نحو "وظن داود أنما فتناه" أى وظن داود أنما فتنا داود ولكن الإضمار ليس الطريقة الوحيدة للربط عند إمكانه إذ يمكن أن يكون الربط لواحدة من الطرق الآتية:

١ - إعادة المعنى نحو: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾.

٢ - الإشارة إلى المرجع نحو: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾.

٣- أل نحو: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

٤- من الموصولة نحو: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾.

٥- الموصولات الأخرى نحو: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أى لكنهم.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

٦- الوصف نحو: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ ﴾ أى فقاتلوهم.

هذا وقد يعود الضمير على متأخر فى مواضع ذكر بعضها النحاة ولم يذكرها الاختيار الأسلوبى لأنه ليس من النحو ومثاله قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾. وقد يعود الضمير على أقرب مذكور أو على غير الأقرب إذا أمن اللبس لما فى قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝ إِذْ قَالُوا۟ ﴾ أما إذا لم يؤمن اللبس فالعود إلى أقرب مذكور.

إنما يصاغ من الفعل مصدر مؤول إذا صح أن يأتى منه مصدر صريح أما مالا مصدر له كالأفعال الجامدة مثل عسى وليس وحبذا ونعم وبئس ومثل حروف التنفيس فإذا دخلت عليه "أنْ" فلا ينبغى أن تعدّ مصدرية وإنما هى المخففة من الثقيلة مثل "وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم"، "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"، "علم أن سيكون منكم مرضى"، "توقعت أن سوف يحدث ذلك". أما إذا كان الفعل غير جامد فإن كان تام التصرف فلا يمتنع دخول الحرف المصدرى عليه والشواهد على ذلك لا تحصى وإن كان ناقص التصرف كيدع ويذر وكاد ونحو ذلك

فإن الحرف المصدرى يدخل عليه إما لفظًا أو تقديرًا نحو "ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب". ونحو "من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم". ولا شك أن التصرف والجمود من قضايا الاشتقاق والاشتقاق من قضايا المعجم.

تأتى الحال من المضاف فتقول حييت صاحب الحصان مزمعًا سفرًا ولكن لا يجوز أن تقول حببت صاحب الحصان مسرجًا لأن الحال لا تأتى من المضاف إليه إلا إذا تحقق فيه أحد شرطين أولهما نحوى والثانى معجمى. أما النحوى فأن يكون المضاف صالحًا لأن ينتصب المضاف إليه فى حيز فلو جعلنا فى مكان "صاحب الحصان" راكب الحصان لصح أن نقول "حييت راكب الحصان مسرجًا" كجواز أن تقول: هذا راكب الحصان مسرحًا بنصب الحسان على المفعولية لراكب وأما المعجمى فهو أن يكون المضاف من حيث المعنى بعض المضاف إليه أو مثل بعضه. ففى قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ جاءت الحال من الضمير الذى فى "صدورهم" وهو مضاف إليه وإنما صح ذلك لأن الصدور أجزاء من مدلول الضمير أى أبعا من هذا المدلول.

والتعدية من القرائن الهامة فى النحو وهى تنبنى على تقسيم الفعل إلى متعد ولازم. غير أن هذا التقسيم لا ينبغى أن يقتصر على الفعل فقط وإنما يتناول المصدر والصفات أيضًا ومن هنا يحسن أن ينسب التعدى واللزوم إلى مادة الاشتقاق فى عمومها. والذى يبدو أن مفهوم التعدى واللزوم يتوقف على ما إذا كان الحدث بحكم المعنى المعجمى صالحًا لأن يقع لفاعل أو أن يقع على مفعول وربما صح أيضًا أن تقول إن اللزوم يدل على صيرورة الفاعل ومن هنا يمكن أن تضع فى مكان اللازم: "صار + الصفة" نحو.

كرم = صار كريمًا　　　　اقشعر = صار مقشعرًا

دَنِس = صار دنسًا   مرض = صار مريضًا

احمرّ = صار أحمر   انكسر = صار منكسرًا

فصيرورة الفاعل هى المعنى القائم فى مختلف أنواع الفعل اللازم كما تبدو هنا. ومن هنا جاء فى تعريف النحاة للفاعل عبارة "أو قام به الفعل" لأن الحدث هنا تحقق للفاعل لا على المفعول. أما التعدية فمفهومها أن يصيب الحدث المفعول ويتعلق به سواء أكان الحدث علاجيًا كما فى ضرب زيد عمرا وزيد ضارب عمرا والمبنى ضربُ زيد عمرًا أو غير علاجى نحو أعجب زيد هندا لأنه على الرغم من إمكان حدوث الإعجاب فى نفس هند دون أن يدرى زيد بما وقع (وهذا ربما تعارض منطقيًا مع كونه فاعلا) أرى أن زيدًا بمظهره أو بمخبره هو الذى أثار إعجاب هند فهو فاعل وإن لم يعالج إيقاع الحدث. ولكون الفاعل لم يوقع الحدث قلنا إن الحدث فى التعدية متعلق بالمفعول حتى إذا حذف المفعول كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ [القصص ٢٣ ـ ٢٤] وقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم ٤٣ ـ ٤٤] وإنما حذف المفعول فى الشاهدين لأن الحدث مختص به فلا يقع غلا عليه. فنحن نعلم علام يقع السقى والذود والإصدار وعلى من يقع الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء فى الآيات.

ويعدّ الاستثناء مفرغًا إذا كان منفيًا ناقصًا ويتحقق النفى بإحدى صورتين:

أ ـ أن يكون معنى الفعل إيجابيًا فيسبق بأداة نفى نحو "ما قام إلا زيد".

ب ـ أن يكون معنى الفعل سلبيًا فيكفى هذا السلب المعجمى عن الأداة النحوية نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ أى ما يرضى الله إلا أن يتم نوره.

وفى كلتا الحالتين يعرف ما بعد "إلا" بحسب ما قبلها. ولكن يبدو أن ما بعد إلا فى الحالة الثانية (السلب المعجمى) لا يكون فاعلاً أبدًا لأن حصر الفاعل بإلاّ يتطلب النص على النفى بالأداة لئلا يظن السامع استتار الفاعل قبل "إلا" وهو أمر غير وارد مع ذكر الأداة لشدة ارتباط "ما" و"إلا".

ثانيًا: أفكار بحثية

٨- أنواع الدلالة.

٩- درجات فى سلم البحث

١٠- تكرار النفى فى السيافر القرآنى

١١- الفكرْ الحديث فى دراسة اللغة

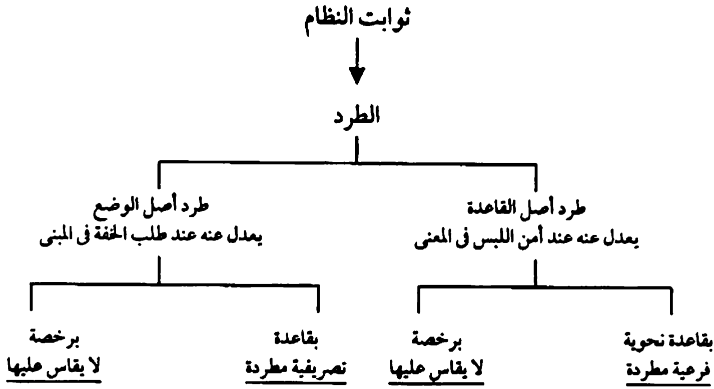
١٢- الفكر الحديث فى النقد

أنواع الدلالة

١ - المعنى العرفى:

اللغة وسيلة حياة فى المجتمع ومن ثم كانت أداة اتصال بين أفراد هذا المجتمع. ثم هى نظام يربط بوسائله المعيَّنة بين ما يقال وما يفهم سواء كان القول سعيًا إلى إظهار المقصود أو إخفائه. وكأنى بإظهار المقصود يبدو ألصق بالتزام الطابع العرفى فى الأداء اللغوى كما يبدو إخفاء القصد ألصق بالوسائل الأسلوبية الفردية. ذلك فيما يبدو طابع كل منهما فإظهار القصد ألصق بالالتزام بالأصل وإخفاؤه ألصق بالعدول عن الأصل. أما مجال كل منهما فإن إظهار القصد يتضح فى لغة العلم والتعليم والشرح والدعاء ونحوها من وسائل الإبلاغ كما يكون إخفاء المقصود مرتبطًا بالمفاوضات السياسية والترويج للسلع والإعلام السياسى ولغة الأدب والمدح والغزل والتعمية والإلغاز وهلم جرا إذ يقوم الأداء على المهارة الفردية والمؤشرات الأسلوبية والسعى إلى غاية تختفى وراء ظاهر النص.

قلنا إن اللغة نظام. ومن شأن النظام أن يقوم على وحدات متكافلة متضافرة فى أداء وظائفها فشأن كل وحدة فى علاقتها مع الأخرى هو كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى". ولهذا التكافل والثبات فى تكوين النظام كان الاطراد من ثوابت النظام بل فى الدرجة العليا بين الثوابت يدعمها ثابتان آخران أحدهما أمن اللبس فى المعنى وثانيهما طلب الخفة فى المبنى. فتبدو العلاقة بين الثوابت الثلاثة على النحو التالى:



وهكذا نرى إمكان الطرد فى القواعد النحوية الفرعية وفى القواعد التصريفية وذلك عند أمن اللبس فى الحالة الأولى وطلب الخفة فى الحالة الثانية. دعنا إذًا نلق نظرة على أنواع القواعد لترى تحكم مبدأ الطرد فى أصل القاعدة وفرعها وفى أصل الوضع والعدول عنه.

عندما عقد نحاة العربية العزم على اسنباط قواعد النحو رأوا أمامهم طريقين لاستقراء ما قالته العرب: الاستقراء التام والاستقراء الناقص. الأول يحصى مقررات المادة المدروسة لا يغادر منها شيئًا ومثاله ما نراه فى التعداد العام للسكان وصور الإحصاء الشامل وإثبات مفردات اللغة فى المعاجم وإحصاء المعرّب والدخيل والحوشى إلخ، والثانى لم يتخذ المفردات غاية له فى ذاتها وإنما يسعى من خلالها إلى رصد سلوكها وأقسامها وتحولاتها وطرق التقائها ودلالات تراكيبها والعلامات الدالة على معانيها العامة فى نطاق هذه التراكيب. ومن المعلوم ما يوصل إليه بواسطة الاستقراء التام فيقال له: "علم غير مضبوط" ومنها ما يوصل إليه بالاستقراء الناقص من خلال اختبار نماذج معينة تكشف عن قواعد السلوك فيسمى: "علمًا مضبوطًا" أو كما يسميه التراث العربى: "صناعة" كصناعة النحو مثلاً.

وأول ما جذب انتباه النحاة العرب ما يطرأ من تغير على المفردات فى بيئة السياق وما يرتبط بهذا التغير من اختلاف فى الوظيفة التى تؤديها الكلمة المفردة. فلقد لاحظوا ما يلى:

١- ارتباط وظيفة الكلمة فى السياق بما يكون من حركات الإعراب على آخرها.

٢- وبما تفيده من دلالة على مسمى أو حدث وزمن أو على مجرد علاقة بين عنصرين من دونها كدلالة حرف العطف على علاقة بين المتعاطفين.

٣- أو كون الكلمة على قالب صورى بعينه يمنحها معنى عامًا إذ تدل على فاعل أو مفعول أو مبالغة أو تفضيل إلخ.

٤- لاحظ النحاة أن بعض الألفاظ لا يستعمل إلا مقترنًا بلفظ آخر وأن ألفاظًا تختص بالدخول على أقسام من الكلم دون غيرها وأن اللفظ المفرد فى السياق من شأنه نحويًا أن يصاحب من هو له معجميًا.

٥- ولاحظوا أن لأقسام الكلم رتبًا بعضها لا يختلف أبدًا والبعض يجوز أن يتقدم أو يتأخر.

٦- ووجدوا أن أواصر العلاقة الرابطة بين كلمة وأخرى فى السياق فى تتحقق بعود الضمير ونحوه أى بالمطابقة فى التكلم وفرعيه والإفراد وفرعية وفى التذكير والتأنيث وفى التعريف والتنكير وفى العلاقة الإعرابية.

وهكذا فهم النحاة مما لاحظوه أن للمعنى النحوى قرائن تدل عليه وجعلوا من تحقق القرينة شرطًا للدلالة على المعنى وربطوا بين وجود القرائن وأمن اللبس الذى سبق أن جعلناه أحد الثوابت الثلاثة للنحو العربى منذ قليل.

لم يكن هذا الكشف كافيًا لأن يزعم النحاة لأنفسهم الوصول إلى غايتهم، فلقد كان عليهم أولاً أن يفسروا اختفاء نون الرفع من "لَتُبْلَوُنَّ" وأن يبرروا اختلاف صيغة المضارع والأمر بين: يضرب ـ يعد ـ يقى واضرب ـ عد ـ ق وأن يشرحوا سبب الخروج عن القاعدة التى تقول إن المبتدأ ينبغى أن يكون معرفة إلخ. تلك

أمور لا يمكن أن يقوم النحو إلا بها ولا يفهم الطرد إلا بعد معرفتها. فكان الوصول إلى هذا التفسير من خلال التجريد وهو إنشاء مفاهيم ليس لها وجود خارجي محسوس ولكنها تؤدى غرضًا لا يتحقق إلا بواسطتها، ومن قبيل التجريد فى زماننا أسماء النظريات العلمية والتجمعات الدولية والعرقية إلخ وقد عوَّدَنا النقاد على قولهم: جرّد الشاعر من نفسه شخصًا وخاطبة.

من الأمور التى جردها النحاة: أصل الوضع وأصل الاشتقاق وأصل القياس وربطوا هذه الأصول الثلاثة بمبدأ عام يسمى "طلب الخفة" أو كما يسميه اللغويون المحدثون: "الاقتصاد فى الجهد" "Economy of effort". ولقد نعلم فى ضوء مفهوم أصل الوضع أن المثال الذى ذكرناه عند إيراد عبارة: "لتبلوُن" له أصل وضع لا ينطق بسبب ثقله فى النطق وذلك هو: "لَتُبْلَوُونَنَّ" ولا غرو أن يكون الثقل هنا داعيًا إلى طلب الخفة للعدول عن الأصل غير المنطوق إلى الفرع المستعمل، وسنرى أن أسباب الثقل هى:

١ - توالى ثلاث نونات فى آخر أصل الوضع مع أنَ اللغة العربية تكره توالى الأمثال.

٢ - التقاء الساكنين عند حذف نون الرفع.

ومن هنا كان العدول عن الأصل إلى الفرع فى خطوتين:

الأولى: لما اجتمعت النونات الثالث كان لابد من حذف إحداها لطلب الخفة ولما كانت النون المشددة للتوكيد قد جاءت لأداء معنى التوكيد وكان "حذف ما لا معنى له أولى" حذفت نون الرفع المفتوحة وهى أولى النونات الثلاث عندئذ التقى ساكنان أولها واو الفعل والثانى أول عنصرى النون المشددة للتوكيد.

الثانية: حذفت الواو لوجود الضمة قبلها لتكون دليلاً عليها لأنه "لا حذف إلا بدليل". عندئذ تحول أصل الوضع إلى "لتبلوُنَّ" وهكذا أعاننا أصل الوضع على طرد قاعدة للعدول إلى الفرع المستعمل.

وليس أصل الاشتقاق أقل فائدة من أصل الوضع. وهو كأصل الوضع وثيق الصلة بمبدأ طلب الخفة لأنه يعيننا على تحديد ما لم يظهر من فاء الكلمة أو عينها أو لامها بسبب الإعلال أو الإبدال أو النقل أو القلب أو الحذف. فلو نظرنا إلى فعل الأمر من "وعَى" و"وَقَى" لوجدناه على صورة "عِ" و"قِ" فإذا أردنا معرفة ما حذف من الحروف الثلاثة وما بقى منها لم نجد ما نستعين به إلا أصل الاشتقاق. وسنجد أن طريقة الوصول إلى هذا الأصل هى أن ننظر فى مفردات المادة وما يصيبها من تغير صورها عند الإسناد إلى الضمائر أو عند التثنية والجمع والتصغير وغير ذلك وستجد أن المصدر من "ع" هو "الوعى" فنعلم أن فاء الكلمة واو ولامها ياء. وستجد المصدر من "قِ" هو "الوقَاية" فنعلم أيضًا أن الفاء واو واللام ياء وكذلك نصل إلى هذا بواسطة "وعيت" و"وقيت".

ويختلف الأمر بالنسبة لأصل القياس لأن القياس لا يكون إلا على المستعمل من الكلام فمن أراد القياس على الماضى من فعل "القول" لم يقس على "قَوَلَ" وإنما يقيس على "قال" ومعنى هذا أن الصورة المستعملة من الكلمة لها وجود خارجى بخلاف الصورة المجردة. أى أن المجرد ليس هو اللفظ المقيس عليه وإنما هو مفهوم أصل القياس.

بهذا علمنا أن ثوابت النحو العربى ثلاثة وأن الطرد يقوم من الثابتين الآخرين مقام الأصل مما يجعل العدول عن الطرد بسبب أحدهما هو انتقال من طرد إلى طرد كما سنرى بعد قليل. فمن المعروف أن اللغة وسيلة اتصال بين أفراد المجتمع كما سبق أن ذكرنا وأن غاية الاتصال هى الإبلاغ عن خبر ما أو شرط أو طلب أو إفصاح عن إحساس بعينه يحس به المتكلم. وإذا صرفنا النظر عن المواقف التى يحاول المتكلم فيها أن يخفى مقاصده علمنا أن الوضوح وأمن اللبس هو الغاية التى من أجلها كانت قرائن المعنى النحوى. فإذا قلنا: "ذهب محمد لحال سبيله" عرف السامع أن محمدًا فاعل بواسطة القرائن التالية:

١ - أنه اسم وهذا من قبيل قرينة البنية.

٢ - أنه مرفوع وذلك من قرينة الإعراب.

٣- تقدمه فعل وذلك قرينة الرتبة.

٤ - وهذا الفعل مبنى للمعلوم والقرينة هى البنية مرة أخرى.

٥ - أن محمدًا هو الذى فَعَل الذهاب أى أنه أوجد الحدث وهذا هو الإسناد ثم عرفنا أن عبارة: "لحال سبيله" اشتملت على عنصرين مفتقرين إلى ما يصاحبهما فى سياق الكلام أحدهما وهو لام الجر بحسب الأصل لأن اللام لا يكون بغير اسم مجرور يليه وأما الثانى وهو لفظ "حال" فقد جاء افتقاره لا لذاته وإنما لأنه وقع موقع المضاف فكان افتقاره غير متأصل بخلاف افتقار اللام. هذا الافتقار وذاك يعد واحدًا من مظاهر قرينة من قرائن النحو تسمى "التضام". ثم عرفنا بعد ذلك أن الجار والمجرور لا يستقلان بالإفادة وإنما يلزم ارتباطهما بعنصر يدل على الحدث كالفعل أو الوصف أو المصدر وتلك هى قرينة "الربط" وهى أيضًا القرينة الدالة على أن الهاء فى لفظ "سبيله" تعود إلى محمد. وبمثل هذه القرائن يؤمن اللبس فى الكلام.

من هنا كان العدول عن الطرد المطلق عند أمن اللبس عد ولا عن طرد مطلق إلى طرد مشروط إذ تنشأ به قاعدة فرعية لا مبرر لها إلا أمن اللبس. هذه القاعدة الفرعية المشروطة بأمن اللبس تقف جنبًا إلى جنب مع القاعدة الأصلية فى مجال الطرد، لتكون شاهدًا على أن أمن اللبس أيضًا من ثوابت النحو وأنه لهذا السبب يعد مصدرًا من مصادر التقعيد النحوى وإن كانت القواعد التى تنشأ معه قواعد مشروطة به مبنية عليه.

انظر إلى أبيات ابن مالك فى الألفية وما تشتمل عليه من شرط أمن اللبس الذى تنشأ بسببه قاعدة فرعية مطردة:

١- ولا يكون اسم زمان خبرًا عن جثة وإن يفد فأخبرا
٢- ولا يجوز الابتدا بالنكرة ما لم تفد كعند زيد نمرة
٣- والأصل فى الأخبار أن تؤخرا وجوزوا التقديم إذ لا ضررا
٤- وشاع فى ذا الباب إسقاط الخبر إذا المراد مع سقوط ظهر
٥- والحذف فى نعم الفتاة استحسنوا لأن قصد الجنس فيه بيّن
٦- وما بإلا أو بإنما انحصر أخر وقد يسبق إن قصد ظهر
٧- فى باب ظن وأرى المنع اشتهر ولا أرى منعًا إذا القصد ظهر
٨- وحذف مامنه تعجبت استبح إن كان بعد الحذف معناه يضح
٩- وإن يقدم مشعر به كفى كالعلم نعم المقتنى والمقتفى
١٠- وربما أسقطت الهمزة إن كان خفًا المعنى بحذفها أُمِن

وإذا كان أمن اللبس سببًا فى نشوء قواعد فرعية تدور حول المعنى النحوى فإن الثابت الثالث من ثوابت النحو هو طلب الخفة الذى يدعو إلى إنشاء قواعد مطردة يعدل بحسبها عن أصل الوضع إلى قواعد تصريفية مطردة. وهذا الذى عرفه النحاة باسم "طلب الخفة" هو ملخص الذوق العربى فيما يتصل بتوالى الأصوات فى النطق. فلقد وجد النحاة من خلال الاستقراء أن الذوق العربى يكره توالى المثلين والمتقاربين مخرجًا أو صفة كما يكره توالى الأضداد ولكنه يرحب بتوالى الصوتين المختلفين مخرجًا وصفة. ومن قبيل ما ساقه اللغويون فى وصف هذا الذوق ما جاء به السيوطى فى كتابه المزهر (ص١١٩) من وصفه لرتب الفصاحة إذ جعل المخارج أنواعًا ثلاثة هى الأقصى والأوسط والأدنى ثم رصد احتمالات تواليها فى الكلام حتى جعل أفصح الألفاظ ما توالى فيه الأعلى فالأوسط فالأدنى نحو "عدم".

أما عند النحاة فالأمر أكثر تفصيلاً من هذا لأنهم بتجريدهم لأصل الوضع

استطاعوا أن يرصدوا الطرق المؤدية إلى الخروج من دائرة الثقل وأن يكشفوا عن وسائل اللغة العربية للعدول عن هذا الأصل والوصول بطلب الخفة إلى غايته المقصودة. وهكذا كشفوا عن وسائل منها الإدغام والإعلال والإبدال والنقل والقلب والحذف إلخ. فأدغموا المثلين والمتقاربين لكراهية تواليهما ومنعوا توالى الضّدين (كالصاد والجيم) وأعلّوا الواو والياء فى مواضع معينة وأبدلوا حرفًا من حرف (كإبدال تاء الافتعال طاء بعد حروف التفخيم) ونقلوا أحد أصول اللفظ من موقعه إلى موقع آخر كما فى "جاه" وقلبوا حرفًا إلى حرف كما فى "كساء" و"بناء" وحذفوا حرفًا ما لثقل النطق به كما سبق أن ذكرنا فى شأن الواو من لفظ "لتبلوُنَّ". وأخضعوا كل ذلك لقواعد تصريفية معينة شرطها طلب الخفة كما كان أمن اللبس شرط القواعد الفرعية التى سبق ذكرها. ومن هذه القواعد التصريفية مثلاً:

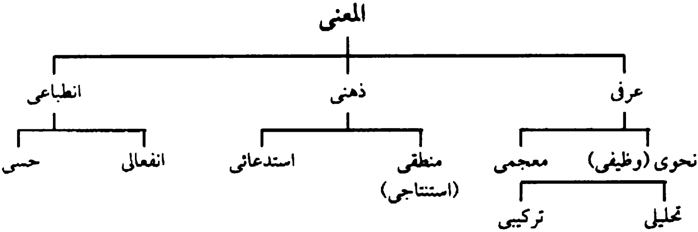
١ - إذا تحركت الواو أو الياء ونفتح ما قبلها قلبتا ألفًا نحو قال وباع.

٢- إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء نحو سيّد وميّت.

٣- إذا وقعت الواو أو الياء طرفًا إثر ألف زائدة قلبتا همزة نحو كساء وبناء إلخ.

ومما رأوه مكروهًا فى ذوق العربية كراهية توالى المتحركات فيما هو كالكلمة الواحدة فالفعل ضَرَبَ مبنى على الفتح وتاء الفاعل مبنية على الضم وقبلها ضاد وراء مفتوحتان فلو بقى كل شىء على حاله لكان الفعل المسند إلى التاء على صورة: ضَرَبَتُ بتوالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة. ومعنى كل هذا أن طلب الخفة ينطبق على مجال المبنى كما انطبق أمن اللبس على مجال المعنى.

هذا الذى سبق هو ملخص التقعيد فى نظام اللغة العربية وإنما لخصنا القول فيه لاتصاله بنوع من المعنى يسمى: "المعنى الوظيفى" فالمعنى النحوى وظيفة الكلمة فى السياق وفيما يلى بيان لأنواع المعانى:



والنوع الآخر من أنواع المعنى العرفى هو المعنى المعجمى والفرق بين النوعين ما يلى:

١- المعنى الوظيفى مدلوله مفهوم عام مجرد كالنفى والاستفهام والفاعلية والتمييز والتوكيد إلخ أما المعنى المعجمى فمدلوله قد يكون مجردًا أو ماديًا محسوسًا نحو كتاب وشجرة وشجاعة.

٢- المعنى الوظيفى ينتمى إلى النحو والمعنى المعجمى ينتمى إلى فقه اللغة (لاحظ الفرق بين مغنى اللبيب والقاموس المحيط).

٣- معنى الحروف والأدوات والتراكيب وظيفى ومعنى المفردات معجمى.

والمقصود بالمعنى التركيبى معنى نوع الجملة كالخبرية والشرطية والإنشائية والطلبية وكذلك أنواع المركبات كالمركب الإضافى والإسنادى والوصفى والعددى إلخ وواضح أن هذا المعنى التركيبى هو وظيفة نحوية شأنه شأن معانى الحروف والأدوات والضمائر إلخ.

والمعنى العرفى بأنواعه الثلاثة يخضع لنوعين من أنواع التحول هما:

١- تعدد المعنى للعنصر العرفى الواحد (وظيفيًا كان أم معجميًا أم تركيبيًا).

٢- معاقبة العنصر للعنصر الآخر فى موقعه مع أدائه لوظيفة العنصر المتروك.

دعنا أولاً نشرحْ المقصود بتعدد المعنى للعنصر الواحد ثم نتكلم بعد ذلك فى

مبدأ المعاقبة أو "النقل" كما يسمونها فى العرفين النحوى والبلاغى. والعنصران معًا من مظاهر الاقتصاد فى اللغة كما سنرى بعد قليل.

نحن نعلم أن الكلم أنواع وأن أول ما سمعنا عنه من خبر نشأة النحو العربى ما نسب إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من قوله لأبى الأسود: "الكلم اسم وفعل وحرف" ومع أن هذا التقسيم تعرض للنقد فى أزمنة مختلفة نجده ما زال صامدًا للنقد حتى الآن. والفرق بين تعدد المعنى وبين النقل أن تعدد المعنى يعرض للعنصر الواحد وهو ما زال بين أفراد نوعه أما إذا نسب إليه معنى قسم آخر من أقسام الكلم فإنه يقال عندئذ إنه "نقل" إلى وظيفة قسم آخر. ويتعدد المعنى للعنصر الواحد ويتسم بالاحتمال ما دام العنصر مطردًا فإذا وضع العنصر فى السياق قامت القرائن بدورها فى تحديد أحد معانيه. وستضرب أمثلة لذلك بالحروف والأدوات والمفردات المعجمية أما الجمل والتراكيب فإن انتماءها إلى الطابع السياقى يمنعها من تعدد المعنى انظر مثلا "ما" وسترى أنها صالحة للمعانى التالية المحتملة فى حال الإفراد.

النفى: فإذا وضعت فى سياق الجملة زال الاحتمال وتعين المعنى نحو: ما محمد إلا شاعر.

الاستفهام: ويتعين لها بواسطة السياق نحو: ماذا فعل محمد، ما هذا الذى فى يدك؟

التعجب: ويحدده السياق نحو: ما أحسن هذا المنظر.

المصدرية: ويحددها السياق نحو: ودوا ما عنتم.

والظرفية: نحو لن أزورك ما بقى فلان عندك.

الشرط: نحو: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾.

وتكون كافة: نحو: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾.

وزائدة نحو: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾.

فهذه الوظائف (أو المعانى الوظيفية) تؤديها "ما" عند وضعها فى السياق وتحتملها عند الإفراد. أما تعدد المعنى المعجمى بالنسبة لمفردات المعجم فمثاله ما يلى من تعدد معانى الفعل "ضرب".

١ - أوقع الضرب نحو ضرب الأب ابنه.

٢ - ذكر نحو ضرب الله مثلا.

٣ - حدّد نحو ضرب له موعدًا.

٤ - أقام نحو ضرب له قبة.

٥ - حسب نحو ضرب ٥ × ٦.

٦ - دقّ نحو ضرب الجرس.

٧ - ارتبك نحو ضرب أخماسًا فى أسداس.

٨ - سعى نحو ضرب فى الأرض.

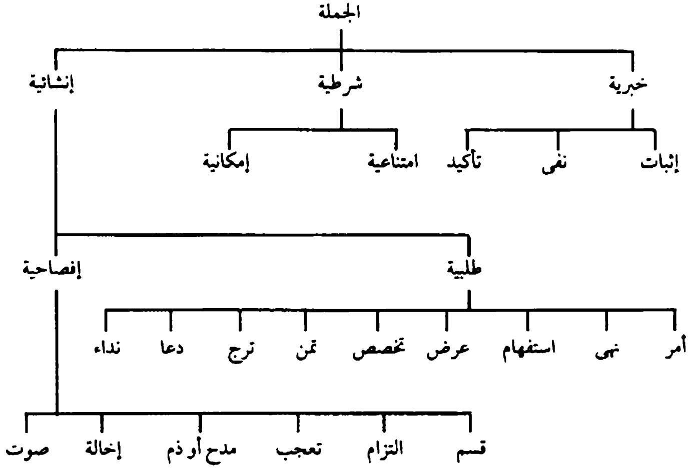
٩ - فرض نحو ضرب عليه ضريبة.

أما الجملة (وهى سياق) فإن معناها لا يتعدد بسبب اشتمالها على قرائن تحدد المعنى ولكننا سنرى بعد قليل أنها صالحة للنقل وهو نوع من العدول عن أصل استعمالها إلى أن توضع موضع عنصر آخر فتؤدى وظيفته فى السياق.

وأول ما نلاحظه من صور النقل أن الأصل فى "ما" مثلا هو الموصولية ولكننا فيما أوردناه لها من المعانى منذ قليل وجدناها تعمل عمل الحروف والأدوات ففهمنا من ذلك أنها نقلت من الموصولية إلى الحرفية فى كل ما أوردناه لها من المعانى منذ قليل. ذلك بأن القسم الذى ينتمى إليه الموصول من أقسام الكلم غير القسم الذى تنتمى إليه الحروف فالنحاة عدّوا الموصولة من الأسماء وعدّوا غيرها من الحروف والأدوات.

والنوع الأخر من النقل هو النقل المعجمى وهو لا يهم النحاة بقدر ما يهم البلاغيين ذلك أن نقل اللفظ من معناه الأصلى إلى معنى آخر ليس له بحسب الأصل مع وجود علاقة بين المعنيين وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى وذلك هو الذى يسمى "المجاز". والمعروف أن المجاز ينتمى إلى الأسلوب لا إلى العرف ومن هنا كان فرديًا يستقل بطرقه المتبعة فى أدائه والتى لا توصف بأنها قواعد ولا تنسب إلى الاطراد على نحو ما تنسب القواعد.

نصل الآن إلى نقل صورة الجملة من معناها إلى معنى آخر. نحن نعلم أن صورة الجملة فى العربية تقع فى أحد احتمالين: اسمية وفعلية وأن لكل منهما تضامّه ورتبته وصورة ربطه. ونعلم أن أساليب الجمل فى العربية هى كما يلى:



فلو نظرنا إلى تركيب جملة مكونة من مبتدأ وخبر لنسبناه أولاً إلى الجملة الخبرية ولكننا فى الاستعمال اللغوى نجده يستعمل للأمر نحو: "والمطلقات يتربصن بأنفسهم ثلاثة قروء" والدعاء نحو: "أولئك عليهم لعنة الله" وكذلك

نحو: "رعاك الله" كما يستعمل للدلالة على الشرط كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ وكذلك يستعمل للعرض نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ والالتزام كقول الزوج عند العقد "قبلت" وكقول الولى: "زوجتكها" وكقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ويستعمل للتعجب كما فى "إن هذا الشىء عجاب".

أما النمط الخبرى المنفى فينقل إلى الدعاء نحو ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ والنهى نحو ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ كما يمكن خروج النمط الشرطى إلى التعجب نحو ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾. والتمنى نحو: ﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾ والتسوية نحو: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾. ويستعمل النداء فى التعجب نحو: ﴿ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾. والندبة نحو: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ . والاختصاص نحو: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾. والتمنى نحو: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾. وينقل الأمر إلى معنى الشرط نحو: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾. وإلى النهى نحو: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾. وإلى العرض نحو: ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾. والتحدى نحو: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾. وينقل النهى إلى الدعاء نحو: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾. الأمر نحو: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾. أى تمسكوا بالإسلام حتى الموت كما ينقل النهى أيضًا إلى الشرط نحو: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾. وينقل الاستفهام إلى الإنكار نحو: ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾. وإلى التقرير نحو: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾. وإلى النهى نحو: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. وإلى الأمر نحو: ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . بهذا يتبين أن تعدد المعنى والنقل ظاهرتان من ظواهر الاقتصاد اللغوى تعينان على

الوصول بالقليل من الوسائل إلى الكثير من الغايات. بهذا ينتهى الكلام فى المعنى العرفى.

٢ـ المعنى الذهنى:

إذا قلت وأنت طالب فى كلية الحقوق مثلا: "أنا ذاهب إلى الكلية" علم السامعون من أفراد أسرتك أنك ذاهب إلى كلية الحقوق وذلك بحكم العهد الذهنى المشترك بينك وبينهم. وإذا قلت: رأيت اليوم فلانا فى المسجد فى صلاة الجمعة لزم عن ذلك أن فلانًا قدم من السفر بعد أن كان غائبًا. وإذا قال لك أحد الجبناء إنك شديد الحرص على المال فقلت له: ولكننى لست جبانًا فسيعلم من كلامك أنك تعيّره بالجبن بحكم مفهوم المخالفة.

فالعهد الذهنى واللزوم والعكس ونحوها مفاهيم ذهنية غير عرفية فهى تومىء إلى المعنى وتلقى على الذهن عبء الوصول إليه بجهد منطقى غير صورى. فالمنطق إما أن يكون صوريًا يفرض على مقدماته أن توضع فى صور خاصة تصلح معها للوصول إلى نتائج وإما أن يكون غير صورى كالأمثلة التى قدمناها منذ قليل. وإذا أردنا أن نشرح فكرة الصورية فإن أقرب شىء إليها صورية الحساب الذى يفرض على الآحاد أن تكون تحت الآحاد والعشرات تحت العشرات وهكذا ويسمح بأن يشطب من البسط والمقام كميات متساوية.

فالمنطق الصورى يقع فى ترتيب قريب الشبه بذلك كما يبدو فى الصورة التالية:

~~الإنسان~~	حيوان ناطق
محمد	~~إنسان~~
محمد	حيوان ناطق

انظر كيف حكمت الصورة بشطب الإنسان فى مقابل إنسان فبقى بعد الشطب ما صلح أن يكون نتيجة القياس وهى: محمد حيوان ناطق. هذا الترتيب

الصورى لا يصلح للاتصال اللغوى وإنما يصلح فيما يرى المناطقة لنقد صحة ما يقال.

أما فى التعبير اللغوى الحر البرىء من الصورية فأقرب شىء إلى ذلك ما نعرفه فى النحو باسم: " الشرط الامتناعى" كما فى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ فهذه العبارة يمكن أن يبنى منها قياس شرطى يقول:

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

ولكنهما لم تفسدا

إذًا ليس فيهما آلهة إلا الله

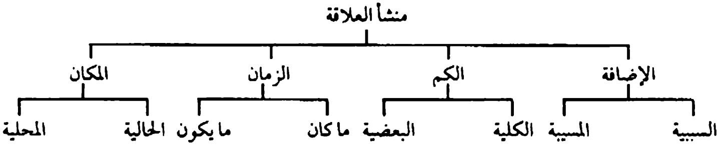
جملة القول أن المعنى الذهنى فى الاستعمال اللغوى ليس نتيجة قياس صورى منطقى وإنما هو نتيجة علاقات ذهنية متنوعة تربط المدركات بما يترتب عليها أو بما تستدعيه إلى الذهن.

تصور أن الشرطة علمت بوجود قتيل فى مكان ما فخفّ رجال المباحث الجنائية إلى المكان للكشف عن ظروف وقوع الجريمة ومحاولة معرفة الفاعل. إن أول ما يحرص عليه رجال المباحث فى هذه الحالة أن يحافظوا على إبقاء كل شىء على حالة لعلهم يجدون فيه قرينة ذهنية تدل على بعض حقائق الموقف حتى لو كان هذا الشىء خصلة شعر أو أحد أزرار قميص أو شيئًا لا قيمة له ملقى على الأرض أو نافذة مفتوحة إلخ. فإذا وجدوا شيئًا من ذلك فإما أن يكون وجوده فى رأيهم عرضًا وإما أن يجدوا له دلالة ذهنية على أمر ما ولا يزالون يجمعون الدلالات الذهنية حتى يصلوا بها إلى وصف متكامل لما كانت عليه الظروف عند وقوع الجريمة وعندها يسهل مع التحرى أن يعرفوا شخص القاتل . هذه صورة من صور المعنى الذهنى.

ومن المعانى الذهنية أيضًا ما حدده البلاغيون من علاقات الكناية والمجاز

المرسل فأما الكناية فقد جعلوا علاقتها "اللزوم" فإذا قلت: فلان طويل النجاد" فإن طول النجاد يلزم عنه طول القامة وإلا اضطر فلان هذا أن يجرّ سيقه وراءه فلا تكون العبارة مدحًا وإنما تنقلب إلى سخرية.

وأما علاقات المجاز المرسل فإنها تعود إلى أربع من المقولات العشر هى الإضافة والكم والزمان والمكان وذلك على النحو التالى:



وقد تكون العلاقة الذهنية استدعائية تفرض على المعنى ظلا من ظلاله لم يكن له من قبل فيقال عندئذ إن العبارة أشربت معنى كذا أى أن اللفظ المفرد فى النص قد يتجاوز معناه الذى رصده المعجم له ليصبح له معنى آخر منحه إياه سياق الموقف فالمعروف أن كلمة الوطن مثلا معناها الرقعة التى ولد فيها المرء ونشأ فيها ولو أن قائلاً قال: "وطنى مصر" ما أحس السامع لقوله أكثر من نسبة هذا المتكلم إلى مصر فهذا فى قوّة قوله: "أنا من مصر". ولكن نص بيت شوقى الذى يقول:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

بما فيه من مقارنة بين "الوطن" و"الخلد" أعطى الوطن ظلا من المعنى لم يكن له وهو فى صفحات المعجم وإنما جاءه عن طريق الاستدعاء. ومن المعانى الاستدعائية أيضًا المعنى الانعكاسى الذى ينعكس سلبًا على لفظ ما فيصير اللفظ غير مستحب فمن المعروف مثلاً أن لفظ "البيت" لا يسبب حرجًا فلكل منا بيته الذى يألفه ويحبه وقد يردد كل منا بيتًا من الشعر ويتوق إلى زيارة البيت الحرام وأن "الأدب" من أرقى أنواع التعبير اللغوى وأن الإنسان لو نسب إلى "قلة الأدب" لغضب غضبًا شديدًا ولكننا مع هذا لو ضممنا أحد اللفظين إلى الآخر فقلنا "بيت الأدب"

لأصاب العبارة معنى انعكاسى فجعلها غير مستحبة لأن معناها عندئذ هو مكان قضاء الحاجة. ومن المعانى الانعكاسية أيضًا المعنى "البؤرى" الذى يضع اللفظ فى بؤرة الانتباه وهذا شبيه بما يسميه البلاغيون "الاهتمام" الداعى عندهم إلى تقديم اللفظ. انظر مثلا إلى قوله تعالى: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ وسترى أن أصل الرتبة: "أتريدون آلهة دون الله إفكا" وهذا استفهام إنكارى فى حالتى التقديم وعدمه غير أن التقديم أعطى لفظى "إفكا" و"آلهة" ظلا من المعنى وضعهما فى بؤرة الاهتمام. وقد يأتى هذا الظل من ظلال المعنى بواسطة أخرى كالتكرار الذى فى الحديث الذى نصه: "من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال النبى عليه الصلاة والسلام: "أمك" قال ثم من؟ قال: "أمك" قال: ثم من. قال: "أمك". فأعطى للأم معنى وضعها فى بؤرة الاهتمام.

المعنى الاستدعائى:

يتحقق هذا المعنى فى ظل إدراك حسى أو إشارة إلى أمر غير مذكور فإذا كان الأمر كذلك كان الوصول إلى المعنى بواسطة استدعائه إلى الذهن دون بناء المقصود على نص صريح سابق، وذلك كما نرى فى الشواهد الآتية:

١ - السؤال الوارد: قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

هنا يرد على ذهن السامع أن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه المشرك: "سأستغفر لك ربى" ثم روى القرآن الكريم استغفاره بقوله: ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ ﴾ [الشعراء: ٨٦] فعلم السامع بناء على السؤال الوارد أن موقف إبراهيم كان بسبب وعد قطعه على نفسه وأنه لم يصرَّ على هذا الاستغفار.

٢- دلالة الحذف: قال لوط لقومه وقد جاءوا يلتمسون الفسق بضيوفه: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ولم يبح بالمقصود الذى فهمه من خطابهم.

٣- اشراب الكلام معنى ملحوظًا: قال تعالى فى شأن عثمان بن عفان وقد تبرع بماله فى سبيل الغزوة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٢] وقال يدعو المؤمنين إلى الإنفاق فى سبيل الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٤] فاتصال الفاء بالخبر فى الآية الأخيرة أشرب الكلام معنى الشرط، أى من أنفق فله أجره.

٤- مفهوم المخالفة: قال قوم صالح لصالح: ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ [هود: ٦٢] ففهم صالح أنه لم يعد موضع رجاء فى الوقت الحاضر.

٥- قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٦- قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩] ولما كان اليوم يوم حساب يود السامع أن يعرف لماذا تأجل العقاب قال تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن: ٤١].

٧- تحويل معنى الأداة إلى معنى آخر كما فى تحويل معنى «لو» إلى النفى فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾. فالمعنى المراد هو «ما كان لقرآن أن تسير به الجبال أو نقطع به مسافات الأرض أو يكلم به الموتى». ثم إنه لم يعد جواب «لو» مطلوب بعد التحويل إلى النفى وإنما جاء ما يناسب النفى بقوله تعالى: ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾.

درجات سلم البحث فى نظام اللغة

للبحث فى نظام اللغة درجات منتظمة فى رتبة محفوظة لا يمكن تجاهلها، لأن كل درجة منها تبدأ من حيث انتهت سابقتها. غير أن أولى هذه الدرجات (وهى درس الأصوات اللغوية (لا يسبقها إلا إدراك المسموع من الكلام بلغة ما قد يجهلها السامع الذى يريد القيام بمشروع الدرس. فنحن ندرك بالسمع ما لا نعرف معناه من الأصوات فلا ندرى ما يقصده المتكلم بها يقول. وعندما نفهم ما يقال بأى لغة لا يتعلق الفهم بمفردات الأصوات وإنها يتعلق بالجمل ذوات المعانى. ومع ذلك لا نصل إلى هذا الفهم إلا من خلال ما تحمله من دلالات دراسة أنظمة هذه الأصوات بواسطة منهج يتناول ما نسمع بواسطة نظام الأصوات لا من خلال مفردات الأصوات. إن أول خطوة لدراسة نظام لغة ما هى تناول أصوات هذه اللغة بالدرس، ويتطلب ذلك ثلاث وسائل لدراسة أصوات اللغة:

١ - الجهاز النطقى، وهو دراسة عضوية تتناول أعضاء النطق للكشف عن المخارج. والصفات وحركات هذا الجهاز.

٢- الجهاز الصوتى بدراسة صوتية تتناول موجات الأصوات التى تنتقل بين المتكلم والسامع تناولاً تركيبيًا. ولكن هناك إجراءات صوتية أخرى تستعمل لأغراض تركيبية، منها مثلا درجة الصوت والجهر والهمس والخفة والثقل والإدغام والإعلال وفروعه والمد والقلقلة.... إلخ.

٣- الجهاز السمعى، بدراسة سمعية تتناول مقدار استعداد الأذن للسماع.

٤- ولقد وصفت هذه العمليات الثلاث المكونة لمفهوم phonetics بأنها أجهزة لأنها مجموعة أدوات وعمليات تنتهى إلى وسيلة للتفكير فى نظام الصوتيات phonology.

فدراسة الأصوات بوسائلها الثلاث مسخرة فى طلب الوصول إلى تيسير دراسة لنظام الصوتيات ومع كونها تمهيدًا لا بد منه لإنشاء نظام للصوتيات لا يمكن احتسابها واحدًا من أنظمة اللغة ومن الواضح فى الدرس اللغوى أن أكثر الأنواع السابقة أهمية هو النوع الأول (الدراسة العضوية)، ويليها النوع الثانى وأقلها وضوحًا وتطورًا هو النوع الثالث. وقد تمكن الدارسون باستعمال النوعين الأولين من أن يضعوا أصوات اللغة المدروسة فى صورة جدول يوضح مخارج الأصوات وصفاتها ثم يتبينوا من هذا الجدول ومن سماع اللغة وهى فى حالة نطق أن الأصوات المتقاربة المخارج أو الصفات قد تتجاور فى الكلام فيؤدى تجاورها إلى تجاور أصول المخرج أو الصفة. فتتحول صورة الصوت عن أصلها إلى فرع أو أكثر، وبذلك اصطلحوا للدلالة على الأصل لفظ phoneme وللفرع (أو الفروع) لفظ allophone. مثال ذلك فى اللغة العربية ما يلى:

مثال الأصل النون فى أنا

ولعل أوضح ما يمثلها فى نظام اللغة العربية وحدات النظام الإملائى التى يرمز لها برموز وحدات هذا النظام الإملائى.

مثال الفرع (أو الفروع)	النون فى	ينفع
	النون فى	ينبغى
	النون فى	من سعى
	النون فى	من رأى
	النون فى	ينجح

النون فى ينظر

النون فى ينكر

النون فى ينقل

هذه هى الخطوة الأولى فى علم الصوتيات (أى فى دراسة نظام من أنظمة اللغة). ويتبين منها أن مخرج الصوت أو صفته عرضة للتأثر بتقلبات الكلام. وأن هذه التقلبات تحكمها مجموعة من العلاقات التى تبدو فى صورة نظام يسمى النظام الصوتى ويدرسه علم يسمى "علم الصوتيات" يسميه قراء القرآن "علم التجويد" ويدرس النحاة بواسطته ما يسمونه: "طلب الخفة".

إن مبدأ طلب الخفة ليس بعيدًا عنما ذكرناه منذ قليل عن فكرة الفونيم وما يتفرع منه من الألوفونات، فلا شك فى أن تحول "ينبغى" إلى "يمبغى" (حيث تنقلب النون إلى ميم تمهيدًا لما يليها من نطق الباء) وما يرد بعد ذلك من أمثلة الألوفونات الأخرى إنما كان لطلب الخفة فى النطق. ولكن مصطلحات طلب الخفة لدى النحاة تختلف عن مصطلح الفونيم والألوفون، فالفونيم عند النحاة يسمى "الأصل" وأما الألوفونات فيقابلها عند النحاة عدد من المصطلحات منها: الإدغام والإعلال والإبدال والقلب والنقل والحذف إلخ، مما يخصص كل ألوفون بما يشير إلى وسيلة إجرائه وما إذا كانت هذه الوسيلة مخرجًا معينًا أو صفة ما. مثال ذلك أن ما حدث فى "يمبغى" إنما هو القلب لأن النون فى الأصل قلبت ميمًا.

هذه الإجراءات التى ترمى إلى طلب الخفة جزء من نظام اللغة، وإن كان الغرض منها أسلوبيًا لا تركيبيًا، ولذلك تعلق طلب الخفة بالزوائد واللواصق ولم يتعلق بحروف المعانى التى تستقل بالدلالة على معان مستقلة. وبيان الأنواع الثلاثة كما يلى:

* الزوائد، ومعظمها يصحب أصول الاشتقاق فى المشتقات كألف فاعل وواو مفعول أى أن لها قيمة صرفية ولكنها لا تستقل بمعنى ما.
* واللواصق أجزاء من مبان صرفية أو نحوية ولها معان تنسب إليها كالتثنية والجمع والمضارعة والمطاوعة إلخ. ولكنها تظل (أى اللواصق) جزءًا من لفظ مفرد.
* حروف المعانى. وهى من أقسام الكلم فتستقل بمعنى وظيفى وتعد من الأدوات ووسائل الربط بين أجزاء النص.

وهناك أمر فى غاية الأهمية لابد من الإشارة إليه عند هذا الحد وذلك أننا لو نسبنا المعنى الذى ترتب على إلحاق أحد النوعين الأولين من الحروف (الزوائد واللواصق) إلى ما ألحق بالصيغة فسوف يكون ذلك من قبيل التوسع، وإنما ينبغى أن ينسب المعنى هنا إلى صيغة الكلمة المفردة كلها وفيها الزائد واللاصق.

* * *

وكما انتفعت الصوتيات بتركة الأصوات انتفع الصرف بتركة الصوتيات فى مجال المبانى الأولى لعلم الصرف وهى الصيغ وتغيراتها، وأن وسائل التغيرات المذكورة إنما هى الزوائد واللواصق. أما القسم الثالث من الحروف (وهو حروف المعانى) فهو من أقسام الكلم، أى أن له وجودًا إفراديا بوصفه جزءًا لا يتجزأ من أقسام الكلم، وسوف يتضح لنا ذلك عند تناول نظام النحو. والوظيفة الكبرى لعلم الصرف هى "التصريف"، وهو مجموعة من الإجراءات يكشف بواسطتها عن مجموع التحولات التى تتم للانتقال من الأصل إلى الفرع.

ولعل من أهم ما يلفت الانتباه فى نظام الصرف هو أقسام الكلم، وهى أهم ما يقدمه الصرف إلى النحو، ويقدم النظام الصرفى عددًا من الرؤى والدراسات التى يسخرها لإيضاح التقلبات التى تخضع لها هذه الأقسام من حيث أصل الوضع ومن حيث أصل الاشتقاق ومن حيث معانى الصيغ المجردة. ومعظم الوسائل المستعملة

فى كل ذلك مأخوذ مما قدمه نظام الصوتيات لنظام الصرف. فأما من حيث أصل الوضع فإما أن يستصحب الأصل (أى يبقى على حاله) وإما أن يعدل به عن صورته بأحد الإجراءات المأخوذة عن الصوتيات (أى الإدغام والإعلال إلخ)، فإذا كان معدولاً به رد إلى أصله بقاعدة من قواعد الرد. مثال ذلك أن لفظ الفعل "ضرب" مستصحب فلا يحتاج إلى تدخل فى شأنه، أما الفعل "قال" فإن أصل وضعه "قول" بفتحات ثلاث. فقاعدة الرد تقول: (تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، والقلب (كما رأينا من قبل) عضو فى أسرة طلب الخفة (الإدغام والإعلال إلخ).

ويمكن الوصول إلى معرفة ما إذا كان الأصل مستصحبًا أو معدولاً به عن طريق أصل الاشتقاق. فالمعروف أن الاشتقاق يعترف بأصول ثلاثة للفظ هى فاء الكلمة وعينها ولامها، وأن هذه الأصول تظهر فى مشتقات كل مادة اشتقاق. فإذا أردنا أن نعرف ما إذا كان أحد أصول الكلمة الثلاثة قد عدل به عن أصله، وما الصوت الذى عدل به إليه كان علينا أن نستعرض مشتقات المادة لنجد الأصل الذى أخفاه العدول. فمثلاً بالنسبة للفعل "قال" يمكن أن نجد الدليل على الأصل المنقلب ألفًا عندما يظهر لنا فى بعض مشتقات المادة مثل قول وأقوال وقوال إلخ. عندئذ نقول: "تحركت الواو" فى "قول" وانفتح ما قبلها فقلبت الواو ألفًا فصار اللفظ "قال".

نصل الآن إلى المعانى الصرفية وطبيعتها. المعروف أن للمعنى أقسامًا يختلف كل منها عن غيره فى الفهم على النحو التالى:

* المعنى الوظيفى.
* المعنى المعجمى.
* المعنى الدلالى.

فالمعنى الوظيفى يمتد من مقاصد حروف الزيادة التى تلحق بأقسام الكلم لبيان كل قسم منها كما فى قول ابن مالك:

بالجـــر والتـــنوين والـــندا وال ومـــسند للاســـم تمييـــز حـــصل
بـــتا فعلـــت واتـــت ويـــا افعـــلى ونـــون أقـــبلن فعـــل يـــنجلى

فهذه وظائف تؤديها العلامات والمعنى هنا وظيفى عبر عنه ابن مالك بلفظى: "تمييز" و"فعل". ولا يقصد بها فى البيتين إلا ذلك حتى لو أريد بهما غير ذلك فى سياق آخر. وما يزال المعنى الوظيفى يصعد فى بيان الوظائف حتى يرقى إلى بيان معنى القرائن النحوية ودلالاتها كالتضام والرتبة والربط إلخ. بل إن المعنى الوظيفى يتحقق أحيانًا فى دلالات غير لفظية كما فى قوله تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ ﴾ [الرحمن: ٤١] أى (بعلاماتهم وهى التعفف وعدم الإلحاف فى السؤال) بعد قوله جل شأنه: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩]. فقد أدى مضمون لفظ "سيماهم" وظيفة المعنى عند عدم الحاجة عن ذكر الذنب.

* * *

وهكذا نصل إلى النظر فى طبيعة النظام النحوى. إن إلقاء نظرة إلى ما سجله كتاب اللغة العربية ـ معناها ومبناها[1] من وصف النظام النحوى للغة العربية يغنينا عن إعادة بذل الجهود فى إعادة المحاولة. وفيما يلى تلخيص لما اشتمل عليه الكتاب المذكور:

ينبنى النظام النحوى للغة العربية الفصحى على الأسس التالية:

١ – طائفة من المعانى النحوية العامة التى يسمونها معانى الجمل والأساليب كالخبر والإنشاء إلخ.

٢- مجموعة من المعانى النحوية الخاصة أو معانى الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والإضافة إلخ.

---

(١) للمؤلف.

٣- مجموعة من العلاقات التى تربط بين المعانى الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها. وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص (وتحتها فروع) والنسبة (وتحتها فروع) والتبعية (وتحتها فروع) وهذه العلافات فى الحقيقة قرائن معنوية تدل على معانى الأبواب الخاصة كالفاعلية والمفعولية.

٤- ما يقدمه عِلْما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف ومبانى التفسيم ومبانى التصريف وما اصطلحنا على تسميته مبانى القرائن النحوية.

٥- القيم الخلافية والفروق والمقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

٦- اتخاذ القرائن اللفظية من عطاء الصوتيات أ والصرف أ والقرائن المعنوية من العلاقات النحوية بين عناصر السياق النحوى.

وهكذا وصلنا إلى مجموع ما يشتمل عليه نظام اللغة من وسائل استيعاب المعنى الوظيفى فى اللغة. وأحب أن أشير هنا إلى أن تحقق كل مستويات المعنى الوظيفى لا يعنى أن العبارة التى اشتملت على جميع المعانى الوظيفية قد وصلت إلى مستوى الإفادة. وأن الوصول إلى الإفادة ما زال يتطلب المعنى المعجمى أولا ودلالات السياق ثانيًا. دعنا إذن نقدم ما يدل على افتقاد الإفادة مع وجود أنواع المعانى الوظيفية المختلفة: لقد صنعت كلاما لا معنى له وقد تحقق فى صياغته كل المعانى الوظيفية واوردت هذا الكلام تحت عنوان منهج النحو فى كتابى "مناهج البحث فى اللغة (ص ٢٢٧) ما جعلته دليلاً على صدق ما أقول. فمن شاء فليتنظر هذا الكلام. وهذا هو نص الكلام المقصود:

"حنكف المستعص بسقاحته فى الكمظ فعنذ التران تعنيذا خسيلا فلما اصطقف التران وتحنكف شقله المستعص بحشله فانحكز سحيلا سحيلا حتى خزب".

من مظاهر طلب الخفة هنا ما يلى:

* نطق نون حنكف فى مخرج الكاف التى تليها.

* إدغام المثلين (الصاد المشددة) فى كلمة المستعص وإن كانت أولاهما فى الأصل متحركة.

* قلب تاء الافتعال فى اصطف إلى طاء لمجيئها بعد الصاد.

* اشتمال "انحكز" على نون المطاوعة.

وفيه فوق ذلك كلمات بموازين صرفية وجمل بعلاقات نحوية تجعل من الممكن إعرابه.

وسنعرض هنا ما يشتمل عليه نظام المعجم من مفردات تتوزعها حقول معجمية بين ألفاظ كل منها وبين ألفاظ الآخر إما مناسبة وإما مفارقة. فاللفظ يرد مع من هو له من ألفاظ المعجم ويتنافى مع غير من هو له كما يقول البيانيون وإذا كان اعتماد المعنى الوظيفى على إدراك القصد فإن اعتماد المعنى المعجمى إنما هو على العرف. وقد يتعدد المعنى المعجمى للفظ الواحد فيسمى اللفظ مشتركًا لفظيًا، وقد ينقل معنى اللفظ فيكون استعماله مجازًا. والمعروف أن المعجم تتوزعه حقول للمعنى، وأن علاقة اللفظ باللفظ قد تتسم بالمناسبة المعجمية بين اللفظين كما فى قولك: "السماء فوقنا"، وقد تتسم بالمفارقة المعجمية كما لو قلت: "السماء تحتنا". ففى حال المفارقة إما أن تنتفى الإفادة تمامًا كما فى المثال السابق وإما أن تنبنى الجملة على علاقة وقرينة فيكون الكلام مفيدًا كما فى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٦]. فمن الواضح أن المقصود هنا هو "الذين استبدلوا الضلالة بالهدى)، وأن بين الشراء والاستبدال وجه شبه وهذه هى العلاقة. ثم إن الضلالة لا تشترى لأنها ليست سلعة ولأن الهدى ليس ثمنًا، فبين هذين اللفظين وبين الفعل "اشتروا" مفارقة معجمية تعتبر هى القرينة على إرادة المجاز. فكانت النتيجة هى قبول العبارة على رغم المفارقة المعجمية. فإن لم تقم قرينة على عدم إرادة المعنى الأصلى (القريب) فتلك هى الكناية كما فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧]، فلهذا الكلام

معنى ولازم معنى، والذى يلزم من أكل الطعام هو إفرازه بعد هضمه، كما أن إجراء الصفقات فى الأسواق يقصد به ما فعله النبى ﷺ برحلته فى شأن تجارة السيدة خديجة رضى الله عنها.

هذا ويمكن أن يتحقق الطابع الأسلوبى للكلام وهو عار عن الفائدة فى عمومه مع اتصاف مفرداته بالدلالة المعجمية. وذلك يتضح فيما يلى:

"إن الذى يلمس صوت التاريخ يتسلق صرح الأحداث وما تنطوى عليه منهجيتها المسطحة لابد أن تبهره أحلامها الواقعية وقواعدها الفلسفية التى تمزج فى ملامحها تاريخ الفلسفة وفلسفة التاريخ. ذلك بأن الإنسان فى تطوره الفيزيائى من خلال مورفولوجيا الحياة الأسرية كان وما يزال قائمًا بالقسط بين النية والإرادة فى علاقاته مع الآخرين أو فى استنشاقه لمفردات الظواهر. غير أننا إذا نظرنا إلى المد السكونى فى تاريخ الأسرة وفى ضوء الجزر الحركى لفلسفة وجودها علمنا أن لا جديد هناك فى حقل الملاحظة والتجربة. إن ما يشير إليه علم الاجتماع أيضًا من استقامة المحيط وحلزونية القطر ربما أفضى لدى البعض إلى حدس زمكانى الطابع. تلك حالات من تهاويل ضوابط الذاتية فى مقابل التباس الموضوعية. وتلك لعمرك ومضة الومضات الصاخبة فى أفانين الفكر لا يتذوقها إلا ذوو الضمائر المستوفزة وأصحاب المغامرات المحرجة فى دروب الوعى الثقافى ولئن صاح العلماء بنجواهم منشدين الحمد لظواهر الطبيعة التى انكشفت لهم عن مفاتنها فلن ينكر منكر بعد ذلك أن الأحلام من أقصر الطرق إلى ترقيص قواعد العلم" (مقالات فى اللغة والأدب[1]. ٢ ص ٢٤٩).

هنا يرد على الذهن سؤال عن موارد ما تتألف منه هذه الأصول الثلاثة (أصل الوضع وأصل الاشتقاق وأصل الصيغة) وما إذا كانت وسيلة الوصول إلى هذه الأصول هى التجريد أو كانت هى الاستقراء. والجواب عندى أن أصل الوضع

---

(١) للمؤلف.

يأتى عن طريق التجريد ولكن أصل الاشتقاق وأصل الصيغة يأتيان عن طريق الاستقراء من خلال مبانى التصريف. ولقد سبق أن ذكرنا أن طلب الخفة قضية أسلوبية ونضيف هنا أن طلب الخفة لا يرقى فى الأهمية إلى مستوى التركيب عند تعارض التركيب والأسلوب، إذ يكون التركيب عندئذ أولى بالرد إلى الأصل من طلب الخفة كما فى قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]. إذ كان إظهار اللام الساكنة فى "بل" أولى من إدغامها فى الراء المتحركة فى "ران" لأن المنطوق عندئذ سيكون "بران" بتشديد الراء. أما إذا لم يرد مثل هذا الاحتمال فإن اللام تدغم فى الراء بحسب طلب الخفة كما فى قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ [الكهف: ٢٣] بإدغام لام "قل" فى راء "ربى" طلبًا للخفة.

ونريد الآن أن نتناول مفهوم المعنى الدلالى للوصول إلى نظرة فى سياق النص. ولقد سبق أن قلنا إن وظائف اللغة لا تتحقق فى المجتمع إلا بواسطة الإفادة. فالإفادة هى الغاية التى لا يستغنى عنها فى الاتصال اللغوى. ولقد رأينا كيف يمكن للمعنى الوظيفى أن يتحقق على مستوى الصوتيات وعلى مستوى الصرف وعلى مستوى النحو ومفردات المعجم، وأنها (أى الإفادة) لا تتحقق إلا من خلال المعنى الدلالى وهو قمة المعانى. وكان تعريف الكلام فى تراثنا العربى بأنه "اللفظ المفيد" يدل بصفة عامة على أمور منها أنه يحول بين الإشارة الحسية ونحوها وبين أن تعد من قبيل الكلام. وعلى أن لفظ "المفيد" يحول بين الإشارة ونحوها وبين أن تعد من قبيل الإفادة فى الاتصال. من هنا كان المعنى الوظيفى والمعنى المعجمى من قبيل الوسائل وكان المعنى الدلالى من قبيل الغايات والنتائج.

ولعل من أهم الأمور فى تحقيق الإفادة قرينتين كبريين هما: سياق النص وسيق الموقف ومن غير المناسب أن أطيل فى شرح كل من هاتين القرينتين. ومن ثم أرى أنه حسبى أن أقدم شاهدًا واحد على كل منهما:

سيلق النص: مبدأ التناص. (نص يشرح نصًا)

يقول الله تعالى فى سورة هود: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٤٢ - ٤٦].

فى هذه الآيات ما يحتاج إلى فهم مثل:

١ - ما معنى ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾؟

٢ - وما معنى ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾؟

٣ - وما معنى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾؟

لمعرفة هذه المعانى يلزم الرجوع إلى آية من سورة التحريم تقول: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [١٠].

أيلزمنى أن أشرح هذا الكلام الواضح؟ لا أعتقد ذلك.

٢ـ سياق الموقف:

دعا النبى ﷺ ربه بعد وفاة عمه أبى طالب أن يرحم عمه فنزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]. اتسم الموقف بالمقارنة

التى أدت إلى سؤال وارد يقول: فلماذا دعا إبراهيم ربه بقوله: "واغفر لأبى" وكان أبوه مشركًا فجاء الجواب الشارح فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة: ١١٤]. والمقصود بالموعدة قول إبراهيم لأبيه: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧] فهنا أيضًا موقفان يشرح كل منهما موقفًا آخر، فتتحقق الإفادة: الأول موقف الموعدة وقد أبان عن سبب الاستغفار، والثانى أن إبراهيم تبين أن أباه عدو لله فتبرأ منه. وجملة الفائدة من الأمرين أن استغفار إبراهيم لأبيه لا يبرر استغفار النبى ﷺ لعمه أبى طالب.

والله ولي التوفيق.

تكرار النفى فى السياق القرآنى

لعل أشهر أدوات النفى فى اللغة العربية هما "ما" و"لا"، ويمكن لكل منهما أن يرد فى سياق الجملة مكررًا أو غير مكرر. مثال ذلك ما يلى:

١ - ما جاء زيد وما طلعت الشمس.

٢ - ما زارنا زيد ولا أسعدنا برويته.

٣ - هذا سر لا نعلمه نحن ولا أنت.

٤ - لا رجل فى الدار ولا امرأة.

يلاحظ فى المثال الأول أن "ما: تكررت فنفت جملتين إحداهما جملة (جاء زيد) والأخرى (طلعت الشمس). ومن الواضح أن كلا من الجملتين قائمة بذاتها من الناحية النحوية لعدم وجود علاقة فى السياق بين زيد وبين الشمس. غير أنه يمكن أن تترابط الجملتان إذا كان زيد قد وعد المتكلم بالمجىء عند طلوع الشمس، وأن المتكلم نطق بهذا النص قبل طلوع الشمس ليجيب سؤالا يستفهم عن قدوم زيد.

ودليل المعنى فى هذه الحالة يأتى من سياق الموقف لا من النحو.

أما فى المثال الثانى فهناك علاقة واضحة بين حضور زيد للزيارة وبين رؤيته عند الحضور. فلا يمكن أن تتحقق الرؤية إلا عند الحضور. ومن ثم جاء النفى الثانى بواسطة "لا" دون "ما" ليفيد كون النفى الثانى يترتب على النفى الأول. يحكم علاقة السبب بالمسبب.

وفى المثال الثالث يتكرر نفى العلم بالذكر أولاً وبالتقدير ثانيًا أى (لا نعلمه نحن ولا تعلمه أنت) ومن ثم يبدو الكلام وكأن المنفى به لفظان مفردان هما "نحن" و"أنت". وهكذا تختلف بنية الكلام هنا عما مر بنا فى المثالين السابقين. حتى ليمكن أن يقال إن النفى هنا إفرادى لا تركيبى.

أما فى المثال الأخير فإن "لا" نافية للجنس، ومدخولها مفرد فى اللفظ عام فى المعنى. أما النفى بها فمنصب على الجملة الاسمية التى هو فيها دعنا بعد هذه المقدمة نلق نظرة على شواهد من النص القرآنى تشتمل على هذه الأنواع من النفى للتعبير عن المعانى المذكورة منذ قليل، وما يحمله كل شاهد منها من مقاصد النفى الملفوظة والملحوظة، ثم ما يحمله السياق من قرينة تدل على المعنى المذكور. هذا مع العلم بأن الكشف عن دلالات النفى بهاتين الأداتين يعتمد على اجتماعهما وافتراقهما فى الجملة كما يعتمد على طبيعة العلاقة بين طرفى النفى بحيث تكون هذه العلاقة هى التغاير أو العكس أو الترابط أو التضاد، وذلك على النحو التالى:

ما + ما:

١ - شواهد نفى المغاير:

*** الربح والهداية:**

قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

*** السعى للكفالة ومباشرة الخصام:**

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

*** الكتابى والمشرك:**

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

* البشرى بالنصر وتحقيق النصر:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

* الضعف والخضوع:

﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

* الموت والقتل:

﴿ لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

* الإهمال والحرمان:

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

* الإضلال والضرر:

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ﴾ [النساء: ١١٣].

* القتل والصلب:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

* الإشراك والإشراف:

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

* الأب والأم:

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٨].

* صمت الخضوع وصوت الاستغاثة:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

* الاستحقاق والإمهال:

﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٨].

* التابع والند:

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ب: نفي العكس:

* قبلتهم وقبلة بعضهم:

﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ١٤٥].

* حسابهم وحسابك:

﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

* مصرخكم ومصرخي:

﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* السبق والتأخر:

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٣].

ج: الجمع بين ما ولا في نفي المترابطين:

* التلاوة والدراية:

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ [يونس: ١٦].

* التلاوة ومطلق العمل:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

* خلق السموات وخلق الناس:

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

* العبادة والتحريم:

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

* التلاوة والكتابة:

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

* التحريم والإبدال:

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

* إيذاء الشخص والزواج بأرملته:

* لا هؤلاء ولا أولئك:

د: النفي بلا ولا:

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩١ ـ ٩٢].

* الضر والنفع:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

* لا هذا ولا ذاك:

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ [المرسلات: ٣١].

﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة].

﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون ٢ ـ ٣].

الخلاصة:

١ - تكرار النفى بما يدل على استقلال كل من المعنيين عن الآخر.

٢ - فإذا جاء النفى بما ثم بلا دلّ ذلك على أن النفى الثانى من شأنه أن يتحقق بعد الأول.

٣ - أما تكرار "لا" للنفى فيجعل الجملتين مترابطتين يجمعهما نفى واحد أو شبه واحد.

الفكر الحديث فى دراسة اللغة

اللغة لفظ ومعنى، ولكل من اللفظ والمعنى نموه وتطوره، على نحو تراكمى حينًا وعلى نحو تجددى حينًا آخر عبر توالى الأزمنة. ولقد كان الإنسان مصدرًا لهذا التراكم وذلك التجدد، وكان من طبيعة علاقة ذلك باللغة أن يصيب اللغة فى كل العصور سواء من حيث اللفظ أو من حيث المعنى قدر من التغير إيجابًا أو سلبًا. وكان الفكر الجديد فى الحالين إما أثرًا من آثار التحول التراثى الذاتى، وإما غاية من غايات التفكير الإنسانى. إذ إن هذا التفكير هو مصدر الفكر اللغوى الجديد، وهو موضوع هذا البحث، ومن المقبول طبعًا أن يكون الفكر اللغوى المقصود بما نقوله هنا منصبًا فى معظمه على تاريخ اللغة العربية لا ينحرف عنه إلا لسبب يدعو إلى الانحراف على نحو ما نراه فى تناول بعض الظروف التى سيأتى ذكرها فى موضوع هذا الفكر اللغوى الجديد.

دعنا نحدد نقطة التحول من القديم إلى الجديد فى الفكر اللغوى العربى بما كان من عودة المبعوثين الذين أرسلهم محمد على باشا إلى باريس أثناء استقلاله بحكم مصر، وما كان لهؤلاء المبعوثين من أثر فى نقل بعض صور النشاط العلمى والفنى إلى مصر، ثم ما كان لذلك من أثر فى ترجمة العلوم إلى العربية، وفى ارتجال الفكر على حد سواء. كانت تركة التراث عند هذا الحد تتمثل فى الثروة التى يحافظ عليها الأزهر الشريف من مأثور العلوم الإنسانية والدينية، ولهذا ستكون طريقة العرض فى هذا البحث انتقالاً مكررًا من وصف الظاهرة اللغوية كما كانت جزءًا

من التفكير التراثى، إلى وصفها بعد أن أصابها قدر من التحول إلى فكر لغوى جديد.

دلالة الصوت اللغوى:

ليس للصوت اللغوى فى ذاته دلالة، فلا يقال مثلاً إن معنى القاف يثير فى النفس معنى الشجاعة والعزة، ويختلف عن مدلول الكاف. غير أن الصوت اللغوى قد يسخر فى العرف اللغوى للدلالة على مفهوم فى علم الصرف يعبر عن وظيفة فى موقع ما، كحروف المضارعة وواو الجماعة وغيرها من اللواصق. أو على مفهوم فى علم النحو للدلالة. على علاقة رابطة بين عناصر السياق كحروف العطف أو الاستثناء أو أدوات الجمل.. ولم يفرق النحويون من السلف بين وظيفة اللواصق وعلاقة الروابط كما نفرق نحن الآن بينهما فى الفكر اللغوى الجديد، إذ نرى فى الإلصاق دليلاً على الوظيفة الصرفية ونرى فى التعليق وسيلة للربط النحوى بين عناصر السياق.

ورث الأزهر هذا التراث على نحو معيارى لا يسمح إلا نادرًا بتغير الدلالة، ولا يأذن بتغير معنى الحرف إلا فى حالات خاصة مثل استعمال واو الجماعة لتعظيم الفرد المخاطب (إلا أن يكون المخاطب هو لفظ الجلالة)، أو أن تستعمل الكاف للدلالة على السببية كما فى قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾. أما فى الفكر الجديد فقد كشف العلم عن وظائف للأصوات مفردة كانت أم مركبة، ولم يكن لهذه الوظائف موضع فى أفكار السلف، وبخاصة إذا كان الصوت أو كانت الأداة عرضة لتعدد احتمالات المعنى أو للنقل بحسب الأسلوب، كما يلى من قوله سبحانه:

* ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ [يس: ٣٥]. يمكن أن تكون "ما" موصولة أى من الذى عملته أيديهم أو "نافية" أى ولم تعمله أيديهم. غير أن فى الآية

قرينة على إرادة النفى هى قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ فالمرء إن أعد طعامه بنفسه فلا يشكر نفسه على ما قدم لنفسه، ويشبه ذلك ما فى الآية التاسعة والستين من سورة يس أيضًا وهى كما يلى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ إذ يمكن للضمير فى "له" أن يعود على النبى ﷺ أو على الشعر. ولكن المعنى واضح، ولولا وضوح المعنى للزم أن يقال: ، فيعود الضمير على النبى فقط، لأن ما ينبغى لتعلم الشعر هو علم العروض، ولم يكن هذا العلم معروفًا عند نزول القرآن.

أو ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ١ ـ ٢] أى لكن تذكرة لمن يخشى. فليس القرآن وسيلة لفرض الشقاء على النبى، ولكنه وسيلة للتذكير بتقوى الله، أو ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ [مريم: ٦٣] أى لكن سلاما.

أو ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠] بضم الهاء من "عليه" وذلك للحفاظ على تفخيم اللام من لفظ الجلالة. أما قوله: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف: ٦٣] فهو دليل الارتباك والاعتذار. ولذلك جاء تفسير الهاء بقوله ﴿ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ وهو يقصد أن أحضره.

أو ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٦] تحولت الدال من لفظ "دحاها" فى قوله جل شأنه "والأرض بعد ذلك دحاها" إلى طاء مفخمة لتأكيد القسم بواسطة التفخيم.

وربما خلا موقع الحرف فى السياق فقيل إن الحرف محذوف فى هذا الموقع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢]. فالحرف المحذوف فى أحد الموضعين أو كليهما هو الفاء، فإما أن نقدر الفاء قبل "قلت" وإما أن نقدرها قبل "تولوا" أو أن نقدرها فى الموضعين كليهما، ولم تسبق

الإشارة إلى تعدد هذه الاحتمالات فيما أعلم. ومن قواعد الحذف أيضًا أن الفعل الذى يتعدى إلى مفعول به إذا دل بلفظه على مفعوله فإن هذا المفعول يصلح للحذف كما فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم: ٤٣]. وقوله جل شأنه: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ (أى القطيع) وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (أى القطيع أيضا) قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى (الغنم)حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ (أغنامهم) وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا (أى القطيع)﴾ [القصص ٢٣ ـ ٢٤]. وما كان للفكر اللغوى الجديد أن يرفض هذه الأقوال التى ورثها عن السلف ولم يكن فيها ما يحول دون قبولها ودون صدقها.

الصيغة الصرفية:

ننتقل الآن إلى التعرض لتطور الفكر اللغوى فى فهم تقلبات الصيغة الصرفية والميزان الصرفى فى اللغة العربية كما عرفهما السلف. ثم ما رآه فيهما المحدثون أصحاب الفكر اللغوى الجديد. من المتبع فى البحث اللغوى أن اتجاه حركة الملاحظة فى تأمل الاستقراء الصرفى يختلف عن اتجاه نظيره النحوى، ومن ثم تكون العلاقة بينهما هى التقاطع، بمعنى أن الانتقال من صيغة صرفية إلى ما يليها فى مجموعتها فى الاشتقاق أو فى التصريف إنما يكون (رأسيًا) من أعلى إلى أسفل كما يلى:

أنا	أضرب
نحن	نضرب
أنت	تضرب (أنت بفتح التاء)
أنت	تضربين (أنت بكسر التاء)
أنتما	تضربان
أنتم	تضربون.... إلخ.

مما يمتنع فيه أن يوضع فى صورة سياق أفقى. وأن الانتقال من لفظ من ألفاظ الجملة النحوية إلى ما يصاحبه إنما يكون من اليمين إلى الشمال (أفقيًا) نحو: "أنت تضرب أخماسًا فى أسداس". أى أن النظرة الصرفية موقعية وأن النظرة النحوية سياقية، وأن العلاج الصرفى تصريفى والعلاج النحوى علائقى، لقد ألم النحاة العرب بذلك بتطبيقه ولم يتكلموا فى شأنه من الناحية النظرية. وظل هذا الأمر مسكوتًا عنه حتى تعلمناه فى الغرب تحت عنوانين هما: synchronic أى أفقى علائقى وdiachronic أى رأسى موقعى. فانتبهنا للفرق المهم بين الأمرين. ولاحظنا صدقهما فى نظام اللغة العربية.

وضع السلف للأسماء والصفات والأفعال (وهى المعروفة بالمشتقات) صورًا أصلية يسمى كل منها "أصل الوضع" يمكن أن يعدل عنها وأن يرد إلى صورتها الأصلية تبعًا لقواعد صاغها النحاة. وتتم كل درجة من درجات العدول بحسب قاعدة خاصة، فإذا تم الوصول إلى آخر الدرجات سميت النتيجة وزنا للكلمة أو زنتها. أما صور العملية من أولها إلى آخرها فتعرف بلفظ "صيغة". وهناك أيضًا أصل الاشتقاق وأصوله ثلاثة تسمى فاء الكلمة وعينها ولامها وقد تضاف إليها زوائد من الحروف يجمعها قولك "سألتمونيها". هذا ما استقل به النحاة وأصبح فكرًا لغويًا تقليديًا قديمًا. ونستطيع أن نضرب لذلك مثلاً كما يلى فى تصريف الفعل "لتبلون".

اللفظ: لتبلوونن (بضم الواو ومدها وفتح نون الرفع وتشديد نون التوكيد المشددة).

* تحذف نون الرفع لكراهية توالى الأمثال (طبقًا للقاعدة).
* يلتقى عندئذ ساكنان هما واو المد والعنصر الأول من نون التوكيد المشددة.
* تحذف واو المد بسبب التقاء الساكنين (طبقًا للقاعدة أيضًا) وتبقى الضمة على الواو بعد حذف المد.

* النتيجة: لتبلون بضم الواو وتشديد النون.

أصر الفكر اللغوى القديم على أن حروف الزيادة يجمعها قولك "سألتمونيها" ولم يعترف بظاهرة أخرى تأذن لكل حرف من حروف العربية أن يقع موقع الزوائد فى الصيغ الصرفية. ولقد سبق لى أن نبهت القارئ لكتابى "مناهج البحث فى اللغة" (١٩٥٥) ص ٢١٧ تحت عنوان "وسائل خلق الرباعى" إلى هذا الأمر وأوردت من أنواع الزيادة عددًا من الأنماط المختلفة للزيادة منها المضعف وأنماطًا أخرى من الرباعى أيضًا حيث تظهر الزيادة فيها فى مواقع الأصول الثلاثة. فالمضعف نحو:

لفلف	نخنخ	فتفت
بصبص	رجرج	لملم
شمشم	كشكش	حكحك
حفحف		

وأمثلة أخرى غيرها. وأما الزيادة فى مواقع الأصول الثلاثة فكما يلى:

دحرج (بزيادة الحاء)	بعثر (بزيادة العين)
سقلب (بزيادة السين)	عربد (بزيادة الباء)

(لاحظ: والحرب فيها وتر عردّ)

زغرد (بزيادة الزاى)

هذا الاتجاه جزء من فكر جديد.

مفردات المعجم:

نصل بعد ما سبق إلى المفردات المعجمية، وهى تمثل ثلاثة أنواع من أقسام الكلم هى الأسماء والصفات والأفعال، ومن علاقات هذه الأنواع بعضها ببعض ينشأ نظام المعجم الذى تحكمه المناسبة والمفارقة بين المعانى. والملاحظ فى كل قسم من هذه الأقسام أن بين كل لفظ من ألفاظه وألفاظ الأقسام الأخرى إما مناسبة

معجمية تسمح بورودهما معًا. وإما مفارقة معجمية تحول دون وجود علاقة نحوية بينهما فى الكلام. هذه المناسبة وتلك المفارقة كانتا موضع تفكير من النحاة والبلاغيين على حد سواء. ظهر ذلك النوع فى الفكر النحوى فى عبارات مأثورة كقولهم: "لا يضاف الشىء إلى ما فى معناه، ولا يخبر عن الشىء بلفظه" ولدى البلاغيين فى عبارات من قبيل قولهم: "إسناد اللفظ إلى من هو له" أو "إسناد اللفظ إلى غير من هو له". كما كان لغير هؤلاء وأولئك من السلف شعارات تشبه ذلك وتظل عامة غير مفصلة مثل قول المفسرين: "القرآن يفسر بعض بعضا" وكلام النقاد عن "ظلال المعانى" ونحو ذلك. وكان من نتائج هذا العموم فى دلالة هذه العبارات ندرة تطبيق هذه الشعارات القيمة (انظر تفسير الشنقيطى المسمى أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن مثلاً) ولم يأت التطبيق إلا فى أساليب علم البيان التى تبنى هذه المفاهيم على مبدأ نقل المعنى. فكان لا مفر من انتظار أن يجود الزمان بمن يعثر لهذه المبادئ على التطبيق الأمين.

ولم يبخل الزمان بظهور أجيال هنا وهناك فى أرض الله الواسعة لتعمل على تطبيق هذه الأفكار القيمة، إما فى حقل الاستعمال وإما فى حقل التنظير. فمن قبيل الاستعمال أن يظهر الفكر الجديد فى تطوير طرق الاتصال بواسطة اللغة من الشافهة إلى مختلف الوسائل الأخرى، ومن قبيل التنظير القول بأن رفض الإخبار عن الشىء بلفظه لا يحول دون التأويل ودون تطبيقه على تراكيب مثل قولنا: الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان، فنرى أن العبارة توحى بمعنى سليم. فالمبتدأ فى العبارة إقليم جغرافى والخبر عادات وتقاليد، أى أن الإخبار هنا لم يكن بذات المبتدأ عن ذاته.

وأما الشعار العظيم الذى يقول إن القرآن يفسر بعضه بعضا فإن معناه أوسع مما يشير إليه لفظه، فهو يصدق على النصوص بكل صورها، فلقد كانت نشأة علم لغة

النص بما يشتمل عليه من معايير نصية منها القصد والقبول والإعلامية والتناص نعمة انعم الله بها على أفهام البشر، وبخاصة مبدأ معيار السياقين: سياق النص وسياق الموقف، وإذا أذن لى السادة العلماء السامعون أن أسوق بعض الشواهد التى تدل على صدق ما أقوله فإنى سأورد الشواهد المذكورة من القرآن الكريم، لا لأطعن فى موقف المفسرين الذين اجتهدوا قدر طاقتهم حتى وصلوا إلى ما أتاحه لهم عصرهم، ولكن لأبين أن القرآن الكريم ما يزال يتطلب المزيد من الفهم ومن الفكر اللغوى الجديد، وفيما يلى بعض الشواهد:

* قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ [يوسف: ٢٣ ـ ٢٨].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾ تكريم ليوسف، من خلال تجاهل علاقة تبعيته لها، وامتهان لها لأنه لم يقل "سيدته. قوله: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ يقصد "سيدى" أى العزيز، والدليل أن العزيز قال لامرأته: ﴿ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ وأن يوسف استشهد بذلك عندما دعى لمقابلة الملك، وذلك بقوله عن العزيز: "إن ربى بكيدهن عليم".

قوله ﴿ لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ أى أحس بوجود سيده العزيز أمام البيت حتى إنهما وجداه عند نهاية استباق الباب بدليل "وألفيا سيدها لدى الباب".

قوله ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هو تحريض للعزيز ضد يوسف وتبرئة لنفسها.

قوله ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ هو العزيز وكانت شهادته فى صورة تفكير صامت وسير وتقسيم على نحو ما رأينا من قوله: "إن كان قميصه قد... إلخ".

* والشاهد الآخر من سورة القصص، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾.

لفظ "تصطلون" يدل على أن الرحلة كانت فى الشتاء، لأن الناس لا يصطلون فى الصيف ولم يذكر أحد من السلف هذه الملاحظة فيما أعلم.

* والشاهد الثالث يجمع بين سورتى هود والتحريم.

يقول الله تعالى فى سورة هود [٤٢ ـ ٤٨] ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

* وقال فى سورة التحريم ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [١٠]: . انظر إلى دلالة الألفاظ الآتية وحاول أن تستخلص المعنى (أو على الأصح: ظل المعنى) مما يلى:

* فخانتاهما. (ما المقصود بالخيانة؟).

* ليس من أهلك. (ما معنى هذا؟).

* إنه عمل غير صالح. (وما المقصود بذلك؟).

* فلا تسألن ما ليس لك به علم. (ما الذى يجهله نوح؟).

* إنى أعظك أن تكون من الجاهلين. (ما معنى هذا التحذير؟).

يبدو أن نوحا لم يكن يعلم بمحتوى قوله تعالى: فخانتاهما حتى أخبره الله سبحانه بما ورد فى سورة هود من المصارحات التى لم يكن لنوح علم بها".

ومن ذلك أيضًا مثالان آخران لاختيار اللفظ المناسب والعزوف عن استعمال غيره الذى ورد فى سياق آخر مماثل كما يلى:

* ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

* ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٢١].

لاحظ أن الإملاق فى الآية الأولى واقع فعلا على الآباء، ومن ثم وعدهم الله بالرزق لهم لا لأبنائهم، وأن حدوث الإملاق لا يتحقق إلا ببلوغ الأبناء الصغار كما يفهم من الآية الثانية فجاء الوعد برزق الأبناء بعد بلوغهم.

السياق الثانى: قوله تعالى:

* ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

* ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ

مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾.

لاحظ هنا كيف كان العمل المنسوب إلى لفظ الجلالة من قبيل الفعل فى حق الرجل ومن قبيل الخلق فى حق المرأة بسبب المناسبة المعجمية فى اختيار اللفظ. هذا النوع من الملاحظات ينتمى إلى الفكر اللغوى الجديد.

ومن ذلك أن تتوالى الجملتان أولاهما عامة المعنى والأخرى مفسرة لها كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾أى وأحرص على الحياة من الذين أشركوا. ثم يأتى تفسير هذا الحرص بقوله جل شأنه: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. فليس المراد أن الحرص بسبب الجبن.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فما بعد لفظ "الصمد" تفسير لمعناه.

ولقد سبق أن ذكرنا أن من الفكر اللغوى ما ردده علماء السلف على صورته المجملة ولم يحاولوا أن يمنحوه دراسة مفصلة إلا فى بعض ظواهر علم البيان عندما تكلموا عن ظاهرة النقل ووجه الشبه ولازم المعنى ونحو ذلك مما تقدم به علماء أصول النحو ونقاد الشعر فى هذا المجال. أما الجديد فى دراسة الفكر اللغوى فهو البناء على ما تركه الأقدمون وتوسيع الأفق فى هذا المجال على نحو ما نسوق لذلك من عدد من الشواهد. ومن هذه الشواهد ما يلى من أنواع الظلال:

١ - السؤال الوارد:

قال تعالى فى شأن يوم الحساب: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

السؤال هو: كيف ذلك واليوم يوم حساب؟ وهذا هو ظل المعنى وهو يتطلب الإجابة.

والجواب هو ما يأتى بعد ذلك مباشرة من قوله تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾. وحين ورد هذا المعنى مرة أخرى فى سورة القصص (٧٨) بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾: اشتملت إحدى الآيتين على تفسير الأخرى بطريق التناص.

٢- ظل الاستفهام الإنكارى جملة مثبتة:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾؟

أى لقد وجدك يتيمًا فآوى.

٣- مدلول المخالفة:

قال تعالى: ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ [هود: ٦٢].

أى لم تعد مرجوا كما كنت.

٤- دلالة الحذف:

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣] حذف لفظ "أفعل" من ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ والعبارة للتعجب بدليل ما بعدها من قوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ أى وما أعظم درايتك بها بحكم ما جاءك فى شأنها من الوحى وما بلغنك من أشراطها. ثم إن فى الحديث الشريف ما يشبه ذلك الحذف كما فى حديث أم زرع إذ تقول: "زوجى أبوزرع وما أبو زرع".

٥- قد يكون التعجب ظلا للاستفهام:

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [الرعد: ٣٢].

أى ما أشد ما كان عقابى!

٦- قد يكون الشرط ظلا للخبر:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

هذه جملة خبرية أشربت معنى الشرط فاقترن خبرها بالفاء، أى أن الشرط هنا من ظلال المعنى.

٧- قد يكون الأمر ظلا للخبر:

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أى على المطلقات أن يتربصن.

٨- قد يكون الدعاء ظلا للخبر:

﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠].

أى اللهم زدهم مرضا!

٩- قد يكون العرض ظلا للخبر:

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [هود: ٧٨].

١٠- قد يكون الالتزام ظلا للخبر:

"سمعًا وطاعة"!

١١- قد يأتى التعجب ظلا للخبر:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ !

١٢- قد يأتى التعميم ظلا للخبر:

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾!

١٣ - قد يأتي التعجب ظلا للشرط:

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ [الرعد: ٥].

١٤ - قد يأتي السبر والتقسيم ظلا للشرط:

﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾.

١٥ - قد يكون التمني ظلا للشرط:

﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾!

١٦ - قد تكون التسوية ظلا للشرط:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾.

١٧ - قد يأتي التعجب ظلا للنداء:

﴿ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾!

١٨ - قد تأتي الندبة ظلا للنداء:

"يا أسفا على يوسف"!

١٩ - قد يأتي الاختصاص ظلا للنداء:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ [الواقعة: ٥٢].

٢٠ - قد يأتي التمني ظلا للنداء:

﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾!

على الرغم من أن الشواهد التى اشتمل عليها هذا العرض مأخوذة من النص القرآني الكريم فلا يمكن أن يكون من العسير على أحد أن يطلع عليها، أقول: على رغم ذلك لم ير السلف من العلماء ما يؤلف بينها ويجمعها تحت عنوان واحد هم

واضعوه ومستعملوه وهو "ظلال المعانى، فتناولوها مفرقة لا يجمع بينها نظام، ولكن الفكر اللغوى الجديد وفق بينها كما يبدو هنا.

هذا ما استطاع الفكر اللغوى أن يصل إليه، وهناك أنواع أخرى من الفكر الجديد تنتمى إلى حقول علمية أخرى يزخر كل منها بما أنجزه من المصطلحات والآراء والرؤى فكان لهذه الأفكار فضلها الذى لا ينكر على حقل اللغة أيضًا.

الفكر الحديث في النقد

يقصد بالنقد التراثى النقد العربى ويخرج من دائرة هذا القصد ما تقرؤه اليوم من نقد يجرى على النهج التقليدى الموروث عن القدماء كالصولى والجرجانى والعسكرى وغيرهم. والمقصود بدلالات ما وراء الصياغة اللغوية ظواهر مما نعرفه من قراءتنا للمجازات التى جاء بها القدماء، وقد عبّر الصولى عن هذه الظواهر بأنها: "تحيط بها المعرفة ولا تدركها الصفة"، وشبهها بعضهم "بالرائحة العطرية التى تشم ولا تفرك"، فلقد تكلم الأقدمون عن الألفاظ ذات الجرس والحسنة التأليف كما تكلموا عن جزالة العبارة وسلاسة الأسلوب وحسن الديباجة وقوة السبك وعن الماء والرونق، وما يزال الذين يقرأون النقد المشتمل على هذه المجازات يخرجون مما قرأوا بانطباعات مجردة لا تنم عن شيء محدد، فلو طلب إليهم أن يصوغوا ما فهموا بعد القراءة فى لغة محددة المصطلحات واضحة المقاصد ما بلغوا من ذلك شيئًا على رغم ما وقر فى أنفسهم من انطباع ما دام هذا الانطباع لا تدركه الصفة.

ولقد خطر لى أن أشغل نفسى بمحاولة فهم المقصود بهذه المجازات بعد أن هيأ لنا مرّ العصور من أدوات الفهم ما لم يكن مثله ميسرًا للقدماء من السلف ولا سيما ما يستفاد اليوم من تقدم الدراسات اللغوية والأسلوبية من جهة، والدراسات النقدية والسيميولوجية من جهة أخرى، فخرجت من محاولتى هذه بفهم أرجو أن يكون على صواب فإن لم يكن فإننى أرجو له أن يفتح لغيرى باب التأمل فى هذا

الحقل من حقول تراثنا العربى النفيس، ولسوف يرى القارىء أن إيضاح بعض المجازات قد جاء شرحه بواسطة مصطلحات التراث نفسه، ولكن ربطه بهذه المصطلحات لم يكن مألوفًا لدى النقاد. أما البعض الآخر فقد حاولنا أن نفسره فى ضوء ما قدمه إلينا الدرس الحديث وفيما يلى إيضاح لهذه المفاهيم:

١ - الجرس:

فرّق اللغويون قبل أن يفرق العلماء المحدثون فى دراسة اللغة بين نوعين من الأصوات هما الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة، وكان الفرق بينهما حضور الأثر السمعى الناتج عن ذبذبة الأوتار الصوتية عند نطق الأصوات المجهورة، وعدم حضور ذلك عند نطق الأصوات المهموسة. ومن الواضح أن حضور هذا الأثر السمعى هو الجرس، ومن ثم لا ينسب الجرس إلى الأصوات المهموسة، ولا شك أن الأصوات المجهورة تقع من حيث الجرس فى طبقات أعلاها الحركات والمدود، وأدناها الأصوات الشداد، فليس للباء المشكلة بالسكون مثلا قوة إسماع يعتد بها ولو أنك حاولت إطالة النطق بها لحال احتباس هواء النفس وراء الشفتين دون ذلك لعدم إمكان استمرار الإضافة إليه، ومن ثم لا يمر هواء جديد بالأوتار الصوتية، فلا يحدث جهر ولا جرس بعد ذلك، وتصبح الباء بمجرد إقفال الشفتين وانحباس الهواء. وترتب طبقات الجرس فى الأصوات المجهورة هكذا:

١- الحركات والمدود (وأقوى الجرس جرس الألف والفتحة ويليه جرس الياء والواو/ الكسرة والضمة).

٢- الأصوات المتوسطة: ر ل م ن و ى (وأقواها جرسًا الواو والياء).

٣- الأصوات الرخوة: ذ ز ظ ع غ (ض كما فى النطق السعودى).

٤- الأصوات الشداد: ب ج د (ض كما فى النطق المصرى).

فإذا كانت الكلمة مكونة من حروف قوية الإسماع حسن جرسها وإلا فلا. أضف إلى ذلك أن حسن الجرس يرتبط أيضًا بحسن التأليف.

٢ - حسن التاليف:

إن حسن الجرس لا يتوقف على قوة الإسماع فقط لأن الأصوات إذا قوى إسماعها مع تقارب مخارجها دخل على جرسها القبح من مدخل آخر هو ما عرف باسم تنافر الحروف، أما إذا تباعدت المخارج فإن اللفظ يوصف بحسن التأليف. كما توصف الكلمة حين يتحقق لها الأمران بأنها "شعرية"، ولقد حاول المتأخرون من أمثال السبكى فى كتابه "عروس الأفراح" أن يضبطوا حالات حسن التأليف ضبطًا صوتيًا علميًا وجماليًا، فإذا أريد للكلمة العربية أن تكون فصيحة فى عرفهم فإنها ينبغى لمخارج حروفها أن تكون بحيث لا تتنافر الحروف، ولقد قسم السبكى مخارج الحروف العربية إلى مجموعات ثلاث سماها: المخارج القصوى (وهى مخرج الطبق وما وراءه)، والمخارج الدنيا (وهى الشفوية)، والمخارج الوسطى وهى ما بين هاتين المجموعتين (من الأسنان إلى الغار) وكان بعض الأقدمين قد رتب على ذلك "أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت"، وأنه "إذا تباعدت مخارج الحروف حسن التأليف". ويروى السيوطى عن السبكى أن ثمة اثنى عشر مكانا لتوالى المخارج تتفاوت من حيث الفصاحة وحسن التأليف، وعلى الرغم من أن رؤية السبكى لهذا الموضوع لا تصمد للتمحيص نراها ضوءًا كاشفًا للراغبين فى بحث هذه الظاهرة التى ترتبط بالذوق العربى فى صياغة المفردات أقوى ارتباط وهى ظاهرة جمالية ذوقية ما تزال تأبى أن تدركها الصفة وإن أحاطت بها المعرفة.

ومما يتصل بذلك كذلك ما نعرفه الآن باسم المناسبة الصوتية، هذه المناسبة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتقدم المخارج وتأخرها سواء كان التقدم والتأخر من صفات

للصوامت أم كان من صفات الصوائت ولهذه المناسبة جانب يخضع للتقعيد وجانب آخر يصرّفه الذوق، فأما ما ارتبط من ذلك بالتقعيد فمثاله ما نعرفه فى طرق الصياغة اللفظية باسم "طلب الخفة" أى الهرب من التقاء صوتين يأتى عن التقائهما ثقل. وهكذا عرفنا أن الياء والواو عدوتان، وأن الدال والزاى حين يلتقيان يطعن التقاؤهما فى عربية الكلمة، وكذلك الصاد والجيم، والقاف والجيم وهلم جرا، وكل قواعد التحوّل الصرفى من قبيل طلب الخفة، وأما الجانب الذوقى للمناسبة الصوتية فيبلغ أقصى مداه فى شيوع السجع فى بعض الصور. كما يمكن العثور عليه فى الاختيار الفردى للكلمات الشعرية والمؤشرات الأسلوبية الأخرى.

٣ - السلاسة:

إذا كان حسن الجرس وحسن التأليف من صفات الألفاظ المفردة فى الأصل (وإن بقى ذلك للألفاظ فى النص المتصل أيضًا) فإن السلاسة وما يليها من المصطلحات تشير إلى مفاهيم أسلوبية وإلى عناصر لغوية أكبر من اللفظ المفرد، فيقال للنص إنه سلس الأسلوب جزل العبارة حسن الديباجة قوى السبك له ماء ورونق، وفى رأيى أن المقصود بالسلاسة أساسًا إنما هو سهولة الأداء اللفظى، وذلك بخفة النص على اللسان لخلوه من التوعر والحوشية والتنافر والمعاظلة والغرابة، والأصل فى السلاسة أن تكون صفة للقياد، فيقال للحيوان إنه سلس القياد إذا لم يكن عصيًّا ولا نافرًا ولا متأبيًا، فإذا وصف الأسلوب بهذا الوصف فأولى به كذلك إلا يكون عصيا فى الأداء النطقى وألا تتنافر فيه الألفاظ وألا تتأبى فيه المعانى على قارئه أو سامعه.

٤ - الجزالة:

الجزالة صفة إيجاب سواء وصف بها القول أو التكوين والخلقة، وعكسها فى القول الرّكة وفى الخلقة الضالة والقماءة. فالجزالة قوة الكلام التى تبدو فى

التفخيم فى مقابل الترقيق، والشدة فى مقابل الرخاوة، والتشديد فى مقابل الإفراد، والطول فى مقابل القصر، والتكثير فى مقابل التقليل فمثال التفخيم ما نلاحظه عند مقارنة الفعلين فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ [سورة الشمس: ٦]. قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [سورة النازعات: ٣٠]، إذ جاء التفخيم مع القسم والترقيق مع مجرد الخبر، ومثال الشدة على مقابل الرخاوة ما نراه من فارق بين قضم وخضم، إذ جعل الأول لأكل اليابس والثانى لأكل الرطب، ومثال التشديد فى مقابل الإفراد تضعيف السين من كسَّر فى مقابل أفرادها فى كسر. ومثال الطول فى مقابل القصر فرق ما بين "مفاتح" و"مفاتيح" ومثال التكثير فى مقابل التقليل فرق ما بين قرّ واستقرّ. وينبغى أن نعلم أنه على الرغم من التمثيل بالألفاظ المفردة على نحو ما سبق لابد أن ننسب أثر ذلك إلى الألفاظ فى العبارة لا إلى اللفظ المفرد.

٥ - الديباجة:

يقال للكاتب إنه دبّج العبارة إذا جعل ألفاظها على قَدْر معانيها كالديباجة حين تكون على قَدِّ لابسها. وحسن الديباجة فى الكلام تناسب ألفاظه ومعانيه، ويتطلب ذلك حسن اختيار الألفاظ للمعانى. فلقد يحدث أن تترادف الألفاظ فيدل عدد منها على معنى واحد ولكن هذا الترادف لن يكون تامًا وإلا لنسب العبث والإسراف إلى اللغة، ولهذا نجد المترادفات تلتقى على مجمل المعنى وتفترق فى ظلال المعنى إن صح هذا التعبير، ومن هنا جاءت كتب الفروق فى اللغة لتزيل وَهْم الترادف التام من الأفهام، فإذا اتحد عموم الدلالة واختلفت ظلالها فى مجموعة ألفاظ مترادفة كان اختيار الظل المناسب من قبيل حسن الديباجة، ولا شك أن الاختيار من قبيل الأسلوب والأسلوب مما ينسب إلى النص لا إلى اللفظ المفرد.

وثمة نوع آخر من مناسبة اللفظ للمعنى اصطلح الناس على تسميته "حكاية الصوت للمعنى" أو "الحكاية" على سبيل الاختصار. لقد نسبنا إلى الجزالة منذ قليل أنها تعنى اختيار بعض الخصائص الصوتية فى مقابل البعض الآخر، وهى بهذا المعنى تقترب كثيرًا من معنى الحكاية دون أن تبلغه، لأن الحكاية أكثر من ذلك إغراقًا فى الإيحاء، حتى إنها لتكاد تبلغ به مرحلة دلالية شبيهة بدلالة أسماء الأصوات. ففى تكرار راء الخرير أو حاء الفحيح شىء من الإيحاء إلى المفهوم بتقليد أثره فى السمع شبيه بما فى لفظ "طق" من دلالة على صوت الكسر والقصف، وفى كل لغة طائفة من الألفاظ ذات الحكاية يستعين بها الناس فى تحسين ديباجة كلامهم ولكن ظاهرة الحكاية محدودة لا تكاد تبلغ حد التقعيد والاطراد.

٦ - السبك:

السبك إحكام علاقات الأجزاء. ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة وقرينة الربط النحوى من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعى الاختيار الأسلوبى، ورعاية الاختصاص والافتقار فى تركيب الجمل. وفيما يلى بيان ذلك:

المقصود بالمناسبة المعجمية تلاقى حقلين من حقول المعجم فى معناهما بحيث يجوز للفظ من أحد الحقلين أن يرد فى تركيب واحد مع لفظ من الحقل الآخر وهذا هو الذى يقصده البلاغيون عند قولهم: "إسناد الفعل إلى من هو له" أما إذا لم يلتق الحقلان فإن الإسناد يكون إلى غير من هو له. وهذه المناسبة بذاتها شرط من شروط الإفادة التى يتوقف عليها الاعتراف بان سلسلة منطوقة بعينها كلام أو لغو، فإذا قال قائل: "فهم الهواء قميصه" فليس بين كلمات هذا القول مناسبة؛ لأن الفعل "فهم" يتطلب فاعلاً عاقلاً وليس الهواء كذلك (أى أن الفعل قد أسند إلى غير من هو له) وهذا الفعل نفسه يتطلب مفعولاً معقولاً غير محسوس ولكن القميص محسوس. أضف إلى ذلك أن الهواء ليس له قميص حتى يمكن أن يتعدى إليه

الفعل. هذه المفارقة المعجمية بين عناصر القول هى سبب انتفاء الإفادة. وهذا الانتقاء أقوى مطعن يمكن أن يوجه إلى "السبك".

هذه المفارقة المعجمية التى رأيناها فى التركيب السابق هى عليا درجات المفارقات لأنها لا يمكن معها تبرير التركيب بيانيًا، وإن أمكن إعرابه نحويًا، إذ يمكن أن يقال: فهم فعل ماض والهواء فاعل إلخ، ولكن هناك درجة من المفارقات دون ذلك تخضع للتبرير فينتهى الأمر إلى قبول الجملة بقدر من التأويل البيانى.

ويمكن شرح هذا التأويل كما يلى: المعروف أن المعنى علاقة عرفية تربط الدال بالمدلول وهذا الطابع العرفى للعلاقة شرط لوصف المعنى بأنه لغوى. ومعنى أن العلاقة عرفية أنها موضع اتفاق بين أعضاء المجتمع، وأن العنصر اللغوى لا يستحق هذا الوصف إلا إذا تعارف الناس على الربط بينه وبين مدلول معين، وقد يحدث مع بعض المفارقات المعجمية أن يعمد المتكلم إلى استبدال علاقة فنية بالعلاقة العرفية بين الدال والمدلول. هذه العلاقة الفنية لابد لها من قرينة تدل على قصدها وعلى الترخص فى العلاقة العرفية. وهكذا يمكن للمجاز أن ينقذ الجملة من أن تنسب إلى الإحالة وعدم الفائدة، ففى قولنا: "بكت السماء" اسناد الفعل إلى غير من هو له، لأن السماء لا تبكى. ولقد كان ذلك يكفى لوصم الجملة بالإحالة وعدم الفائدة، غير أن التبرير البيانى يأتى لإنقاذ الجملة، فينشىء علاقة فنية هى المشابهة بين نزول المطر والبكاء (أى نزول الدمع) ويجعل لفظ السماء قرينة على إرادة التشبيه من حيث إن السماء ليس من طبعها البكاء، وهكذا يقوى سبك الجملة على رغم المفارقة المعجمية.

وتتوقف قوة السبك كذلك على حسن استخدام قرينة الربط وهى تكون بإعادة الضمير إلى مرجع ما وبالإشارة وبالموصول وبأل وبالوصف وبالتكرار، فإذا قلت: "هذا هو الرجل الذى تمزق قميص، فليس بين أجزاء الجملة من سبك إلا أن

نضيف القميص إلى ضمير الرجل فتقول: "تمزق قميصه". ويمكن الربط بالإشارة إذ توضع الإشارة موضع ضمير الفصل الذى لا محل له من الإعراب فيصبح قوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ فى قوة قول القائل "ولباس التقوى هو خير". وكذلك يكون الربط بالموصولات بأنواعها فيكون الموصول صالحًا أن يحل محله الضمير، نحو ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣] أى لنهلكنهم وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] أى أجرهم وقوله: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] أى ولكنهم وقوله: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٢٢] أى لهم. وقد يكون الربط بأل نحو: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠ ، ٤١] أى مأواه. وقد يكون بالتكرار نحو: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨] إذ تكرر لفظ الجلالة وموضع التكرار صالح للضمير. وقد يكون الربط بالوصف نحو: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٢]، أى فقاتلوهم، فالربط بأى من هذه الطرق وسيلة لقوة السبك إذ يأخذ بعض الكلام بحجز بعض، كما يقول عبد القاهر فى دلائل الإعجاز وبدونه تضعف الرابطة بين أجزاء الكلام.

والمعروف أن الرتبة بين عناصر التركيب العربى من نوعين: أحدهما الرتبة المحفوظة والثانى الرتبة غير المحفوظة، أما الرتبة المحفوظة ففى إهدار حفظها إهدار لقوة السبك فلا وجه لتقديم الصلة على الموصول ولا المجرور على الجار ولا التابع على المتبوع وهلم جرا. ولو قد حدث ذلك لخرج الكلام من حظيرة الاستعمال العربى وأصبح لغوًا نائيًا عن الإفادة وعن أصول التركيب العربى

النحوى كليهما. أما فى نطاق الرتبة غير المحفوظة فإن الأمر يخضع للاختيار الأسلوبى. ولما يعلقه المتكلم من ظلال المعانى على التقديم والتأخير، ومعنى هذا أن الرتبة غير المحفوظة قد تخضع لاختيار المتكلم من حيث حفظها وعدمه ثم يبقى السبك قويًا فى كلتا الحالتين. وآية ذلك ما نجده من قوة السبك فى قوله تعالى: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٦] إذ تقدم المفعول لأجله على المفعول به وصفته وتقدم جميع ذلك على الفعل والفاعل.

وتتوقف قوة السبك على رعاية صورة التضامّ بين الكلمات، إذ قد تفتقر الكلمة إلى أختها بحسب الأصل كافتقار الجار إلى المجرور، أو بحسب التركيب، كافتقار المضاف إلى المضاف إليه. وقد تختص الكلمة بمدخول معين كاختصاص "لا" النافية للجنس بالنكرة، واختصاص كاد بالمضارع فى خبرها واختصاص "إذ" الظرفية بالدخول على الفعل. ومن ذلك ضرورة الذكر إذا لم يقم دليل على المحذوف وعدم دخول الحرف على الحرف، وعدم وصف الضمير أو جعله مضافًا، وعدم الفصل بالأجنبى بين المتلازمين، وغير ذلك من أصل التركيب العربى، فلو أن متكلما ترخص فى أصل من هذه الأصول لصادف إنكارًا أو أصاب لبسا أو أهدر معنى، ولكن من حقنا أن نتهم قوله بضعف السبك.

٧ - الماء والرونق:

كثيرًا ما نصف الكلام بالجفاف وبخاصة النصوص العلمية الخالصة. وكثيرًا ما وُصف النحو بهذا الجفاف، لأن نصوصه لا تبعث فى النفس شوقًا إليها ولا استمتاعًا بها. والمعروف أن الجفاف قلة الماء أو عدمه، ومن هنا صح أن يوصف النص الذى يبعث فى النفس استمتاعًا به عند القراءة وشوقًا إليه بعدها بأن له ماء ورونقًا، ولكن الأمر لا ينبغى أن ينتهى بهذا الشرح المجمل الذى يبرر كلمة من خلال استعمال ضدها، فمن المعروف أن للكلام فيما وراء صياغته اللغوية صورًا من الإيقاع توصف أحيانًا بالرشاقة والخفة، وأحيانًا أخرى بالثقل والكزازة، وإنك

لتقرأ لكاتب فى موضوع يراه الناس مشوقًا فيصدك إيقاع كلامه عن القراءة، وتقرأ لكاتب آخر فى تبسيط العلوم (وقد ذكرنا أن النصوص العلمية توصف بالجفاف) فيجذبك إيقاع كلمه إليه، فتلقى إليه قياد نفسك ومجمل حسك، فلا يصرفك عنه إلا انتهاؤك من قراءته. فما المقصود بهذا "الإيقاع" وما بواعثه؟ هذا ما تجيب عنه الأسطر الآتية إن شاء الله.

المدخل إلى الكلام عن ظاهرة الإيقاع إنما يكون بواسطة الكلام فى المقاطع العربية. وينبغى أن نشير منذ البداية إلى أن الإيقاع أعم من الوزن، إذ يمكن أن يتصف الكلام بالإيقاع دون أن يكون موزونًا وزن الشعر. وحسبنا فى شرح المقاطع أن نضع قاعدة تعرف بها بداية المقطع ونهايته والمعروف أن سنام المقطع هو الحركة أو المد ولكن تيسير الشرح ربما رخص لنا أن نقول:

* كل متحرك فهو بداية لمقطع (لاحظ أن لفظ متحرك = سابق لحركة أو مد.. وهكذا نحصل فى اللغة العربية على المقاطع التالية (ص = حرف صحيح، ح = حركة، م = مد):

١- ص ح

٢- ص ح ص

٣- ص م

٤- ص م ص

٥- ص ح ص ص

والمقاطع الثلاثة الأولى هى مقاطع السياق المتصل أما الأخيران فهما لا يكونان إلا عند الوقف أو اغتفار التقاء الساكنين. مثل المقطع الأول ما نجده فى "كتب" مبنيًا على الفتح، ومثال الثانى "لم يكتب" ومثال الثالث "ما فيها"، والرابع "قال"، وكذلك أول مقاطع "دابّة" والخامس "قبل" وثانى مقاطع "دويبّة". ويمكن دراسة النبر فى اللغة العربية بإحدى وجهتى نظر: أولاهما فى

الإفراد، والثانية فى السياق المتصل. والنبر الافرادى نبر الصيغة الصرفية والسياقى نبر الإيقاع، ولكل من نوعى النبر عدد محدود من القواعد المطردة التى يمكن أن تنضبط بها أجراس المقاطع علوّا وانخفاضًا. ذلك أن النبر إنما هو وضوح فى السمع لبعض مقاطع الكلمة أو السياق أكثر مما يكون من الإسماع فى المقاطع الأخرى: أرأيت إلى من يقوم خطيبًا فيضرب بجمع يده على المنضدة التى أمامه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا عند نطق المقاطع التى يقع عليها النبر، ويقع النبر فى لفظ "جدة" على كسر الجيم، وفى "النادى" على الألف التى بعد النون، وفى "الثقافى" على الألف التى بعد القاف. ولا أجد متسعًا من مساحة هذه الأوراق لتفصيل القول فى قواعد النبر، فمن شاء فليرجع إلى كتاب "اللغة العربية ـ معناها ومبناها" لصاحب البحث.

ولقد يضطر المرء أحيانًا إلى الكلام عن نبر أولى وآخر ثانوى. فإذا طالت الكلمة العربية فأصبحت بوزن كلمتين قصيرتين ألقى عليها نبران آخرهما أوّلى قوى، وأولهما ثانوى أضعف إسماعًا من صاحبه، فإذا نظرنا إلى كلمة مثل "مستقيم" وجدناها تساوى من حيث مطلق الحركات والسكنات كلمتين مثل "خير حال" إذ يقع نبر على فتحة الخاء فى "خير"، ونبر آخر على الألف فى "حال". وهكذا تعتمد كلمة مستقيم على قوة الإسماع فى موضعين منها: أولهما ضمة الميم وثانيهما ياء المد. وثانيهما أوضح من أولهما.

وإذا نظرنا إلى السياق المتصل العربى وجدنا نوعى النبر المذكورين يقعان دون نظر إلى حدود الكلمات. وسبب ذلك أن السياق يدخل على الكلمات من اللواصق وحروف المعانى والأدوات ما قد يكون فى صورته على حرف واحد، فيبدو كأنه جزء من بنية الكلمة تتغير به البنية، فيدعو إلى تغيير موقع النبر فيها، والمسافات بين نبر فى السياق ونبر آخر هى الأساس الذى يقوم عليه الإيقاع، هذه المسافات قد تتساوى تساويًا دقيقًا (وهذا نادر) فيبدو إيقاعها قويًا أقرب ما يكون إلى طبيعة

الوزن نحو "من تأنى نال ما تمنى" إذ يقع النبر على مقطع ويترك مقطعًا بانتظام هكذا (ويتمثل النبر فى الخط الذى تحت المقطع):

من ت أن نا نا ل ما ت من نا

ولكن المسافة بين النبرين فى الحالات الأخرى قد تكون بطول مقطع واحد، وقد تصل إلى ثلاثة مقاطع كما نرى فى قوله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ إذ تبدو على الصورة التالية:

لى ل تل قد ر خي رن من ال ف شهر

فبين النبر الأول والثانى مقطعان لم يقع عليهما نبر، وبين الثانى والثالث واحد، وبين الثالث والرابع اثنان، وبين الرابع والخامس واحد. ولا يطعن اختلاف المسافات فى الإيقاع كما أن الزحافات والعلل لا تطعن فى وزن الشعر.

هذا عامل من عوامل الإيقاع أما العامل الآخر فهو قصر الجمل وتواليها متساوية الأبعاد مترابطة المعانى من خلال التبعية أو التفسير أو الجواب أو نوع آخر مما أشرنا إليه تحت الكلام عن السبك، فعندئذ يجد السامع فى السياق من الإيقاع ما يعين على خلق الأثر الوجدانى فى النفس، كالذى نجده فى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ وهذا النوع من إيقاع الجمل يقف بالكلام فى منتصف الطريق بين النثر البسيط وبين الشعر.

لقد كنا نتكلم عن الماء والرونق، ولقد قلنا إن الماء يذهب بالجفاف ويضفى على الأشياء الرونق، أى أنه حيثما وجد الماء كان الرونق، ومن هنا أطرد الربط بينهما بحرف العطف فى النقد التراثى فقيل للنص إنه "له ماء ورونق" فما الماء المقصود؟ الذى يبدو لى أن الماء هنا مجاز عن الإيقاع، سواء كان هذا الإيقاع من خلال

مسافات النبر، أم من أطوال الجمل. وهكذا يمكن أن نفسر من الظواهر التى وراء الصياغة اللغوية للنص ما عرفه القدماء من خلال الانطباع، ولكنهم لم يستطيعوا تحليله ووصفه، فكان بالنسبة إليهم كما قال الموصلى: "تحيط به المعرفة ولا تدركه الصفة".

والله ولى التوفيق،،

النقد الأدبى عند العرب	مندور
عروس الأفراح	السبكى
المزهر	السيوطى
اللغة العربية ـ معناها ومبناها	تمام حسان
دلائل الإعجاز	عبد القاهر

المداخلات على بحث الدكتور تمام حسان

الدكتور حامد الشنبرى.. وفى الجرس مثلاً نجده تحدث عن أن طبقات الصوت تحدد الجرس فى الكلمة وكذلك مدى تدخل هذا الجرس فى حسن التأليف، بحيث يصبح تقارب المخارج فى أحرف الكلمة الواحدة سببًا فى صعوبتها وتباعد المخرج يؤدى إلى سلالة الكلمة وسلامة النص.

بعد ذلك أقول إننى أتمنى لو أن الدكتور تمام حسان تعرض لمصطلح "الوضع والاستعمال وأثره فى الديباجة وحسن الكلام" وذلك أننا نعرف أن الكلمة توضع لمعنى وتستعمل داخل النص لمعنى آخر.

الدكتور تمام حسان: أخى وصديقى الدكتور لطفى عبد البديع يعترض بفكرة الآيات الملبسة وأنا أعترف بأن "آلم" و"آلمر" متشابهة وملبسة ولا أحد يعرف ما المقصود بها تمامًا ولذلك فإن الردّ الطبيعى عند السؤال عنها هو "الله يعلم بمراده من ذلك" ولكن كلما جاءت آية قرآنية فيها تركيب نحوى يكون عرضة للبس فإن القرآن يأتى بعد ذلك لتحديد معنى معين يوضح موضع اللبس، ولكن القضية هى أننا قد نختلف فى هذه القرينة التى عثرت عليها، ومن هنا فإننا لو أخذنا كل الآيات التى قال عنها النحويون بأن فيها أعرابين، (وفيها أعرابان معناه فيها لبس لأن الإعراب صنو المعنى) فإننا نجد أن أحد هذين الإعرابين أو الاحتمالات عليه دليل فى موضع آخر من النص القرآنى.

وقد اعترض الدكتور لطفى بالإحالة وقال إنها عدم مطابقة الكلام للواقع، ولكن الإحالة تأتى أحيانًا حينما تقول كلامًا لا معنى له كأن تقول مثلاً: حلكف الجعبور بقعاصة الفيفانه، وهو كلام تستطيع أن تعربه فتقول حلكف فعل ماض والجعبور فاعل وهكذا ولكن يظل لا معنى لهذا الكلام. وهذا يعنى أنه يحمل مستوى من الدلالة.

وربما تستطيع أن تجعل لهذه الكلمات عنصرها المعجمى ولكنه لا معنى له عند التركيب.

فإذا ارتقينا بعد ذلك إلى جملة يمكن أن يقترح لها أحد معنيين فهذا هو اللبس، وعلى هذا الأساس فإن اللبس يأتى إما نتيجة لفقد العنصر المعجمى أو للانحراف بهذا العنصر المعجمى كأن تأتى بكلمتين لا تلتقيان فتؤدى إلى الدلالة المقفلة التى لا يمكن حلها.

ولكننا فى القرآن الكريم لا يمكن أن نجد آية ملبسة أو فيها لبس إلا ووجدنا القرآن الكريم يأتى بحلها فى آية أخرى ويوضح معناها ويزيل اللبس الكامن فيها والأمثلة على ذلك كثيرة.

أما الدكتور شكرى فيقول: إن المحدثين يتعمدون الإحالة وهذا ما أردت أن أقوله حينما قلت إن الإحالة هى أن تأتى بكلمتين ليس بينهما رابطة معجمية.

والأخ الدكتور كمال أبو ديب يقول إنه لم يدرك موقف القدماء من هذه المصطلحات وأنا كنت أتمنى لو أنه قرأ هذا البحث قبل أن ألقيه ولكنه لم يفعل، وقد نصحنى أن أشير إلى أمسبون، والواقع أن هناك كثيرين تعرضوا لهذه المسائل ولكنى أحببت أن أجعل البحث عربيًا.

ويتساءل الدكتور كمال: كيف يكون اللبس موجودًا وملغى فى نفس الوقت؟ وأقول إنه وجد بالتركيب وألغته القرينة.

ويقول الدكتور كمال: قد أقول غدًا إن تأويل تمام يحتاج إلى وضع جديد وأقول: لا مشاحة فى هذا ولكنك تحتاج فى ذلك إلى قرينة.

أما استعمالنا لكلمة "فاصلة" فإننا نقول إنها أصبحت مصطلحًا فنيًّا يختلف عن السجعة والقافية ولم يعد معناها دينيًّا فحسب.

والأخ الدكتور الطرابلسى يقول: إن سبب الغموض ربما كان العلاقة الاعتباطية، ولكنى لا أرى ذلك لأن السبب هو أن اللغة متناهية والأفكار لا متناهية، فوسائل اللغة وأدواتها محدودة بينما وظائفها لا محدودة ولذلك يأتى اللبس.. فاللبس سببه ضيق اللغة.

وطلب الدكتور الشنبرى أن يكون هناك بيان لمصطلح الوضع والاستعمال، وهذا المصطلح ملبس ومبهم فهناك وضع للكلمة ووضع للجملة وهى معانى متعددة ونحن قد تجنبنا هذه المعانى الملبسة..

مداخلة من الدكتور حمادى صمود: أو أن أسأل الدكتور تمام حسان، فهو قال إن المعانى تفوق الكلمات وهى مقولة قديمة من الجاحظ، وسؤالى هو كيف نعرف هذه المعانى خارج اللغة أى كيف نعرفها ونحن لا نعبّر عنها؟

د. تمام حسان: أنت لديك كلمات مثل مفاتيح الكمبيوتر تستدعى بها هذه الكلمة أو تلك، ففى يدك الكلمات وفى رأسك الكلمات.

د. محمد برادة: جوهر السؤال هو كيف تدلّل على أن المعانى أكثر من اللغة، وهى قضية تتعلّق بجوهر الشعر، ذلك أن اللغة واسعة وهى تحاول أن تكسّر محدودية اللغة؟

د. تمام حسان: أنت تحاول أحيانًا معنى ويستعصى عليك فتعترف أنك لا تعرف كيف تعبّر عنه ولذلك فالمعانى أوسع من اللغة.

دكتور حمادى صمود: يا دكتور.. الجاحظ قبل ألف سنة تحرج من القطع فى هذه المسألة وقال: إن المعانى قبل أن تحيط بها اللغة موجود فى هيئة معدوم.. ولم يجرؤ أن يقطع بهذا..

ثالثًا : غيبيات فى دراسة النص القرآنى

١٣ - اللغة العربية والهوية الإسلامية

١٤ - مفهوم الوحى فى القرآن الكريم

١٥ - الوحى والتوحيد

١٦ - الألوهية والربوبية

١٧ - الرسالة والنبوة

١٨ - رب يوسف كما يفهم من القرآن الكريم

١٩ - دراسات فى النص القرآنى

٢٠ - أكذوبة الغرانيق

اللغة العربية والهوية الإسلامية
كما يعبر عنها القرآن الكريم

كانت الديانات قبل الإسلام ذات طابع محلى أو قومى. مثال الديانات المحلية ديانة البوذية والزرادشتية والبراهمية وكلها ديانات ذات حدود جغرافية فى مناطق شرق آسيا، ومثال الديانات القومية التى تخاطب قومًا بعينهم الديانة اليهودية والمسيحية. فالأولى كانت لإخراج بنى إسرائيل من مصر (وإن اشتملت على محاولة هداية فرعون) والثانية جاءت من أجل هداية الخراف الضالة من بنى إسرائيل، ولم يصرفها إلى الطابع العالمى إلا أباطرة الرومان.

أما الإسلام فقد جاء منذ البداية: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠]. وخاطب الناس جميعًا بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] وخاطب النبى بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وأمره أن يقول للناس عن القرآن: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]. فكل من بلغه أن قرآنا نزل على محمد ﷺ مخاطب بالدعوة إلى الإسلام أينما كان مكانه فى هذا العالم. لهذا كان الإسلام آخر الديانات وكان محمد خاتم الرسل. فلم نجد بعد الإسلام فى الزمن دينا ولا بعد محمد ﷺ رسولاً، وإن وجدنا فإنما نجد كثرة الضلالات وتعدد المضلين.

نزل القرآن الكريم على محمد ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] دعاه أول الأمر إلى القراءة: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] وأشار إلى وسيلة

الوصول إلى المادة المقروءة بقوله: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [العلق: ٤]. ثم انقطع الوحى مدة من الزمن فظن النبى أن الله قد تركه فاشتد ذلك عليه حتى عاد الوحى بقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [٢ ـ ٤] فكانت هذه النزلة الثانية خيرًا من الأولى لأنها فتحت الباب لنزول عقيدة وشريعة وأخلاق وعلاقات وآداب سلوك. تلك هى الأمور التى يمكن الاعتماد عليها فى محاولة فهم الهوية الإسلامية، فالمقصود بهذه الهوية التكوين الثقافى بمفهومى الثقافة؛ وهما المفهوم التعليمى التحصيلى والمفهوم الأنثروبولوجى الاجتماعى.

كان جمهور المخاطبين بهذه الدعوة عند ظهورها محدودًا بإنذار عشيرته الأقربين تمهيدًا للتوسع حتى تصبح الدعوة عامة لجميع البشر. وهكذا تحولت الدعوة من عشيرة النبى ﷺ إلى كل من سكن شبه جزيرة العرب. وكان هؤلاء طوائف متعددة على النحو التالى:

١ - **الأميون**: وهم أفراد القبائل العربية فى الحاضرة والبادية. وقد جاء اسمهم على هذا النحو للتفريق بين أبناء "الأمة" العربية وبين الجاليات الكتابية التى تشاركهم فى سكنى الجزيرة، وأشهرها اليهود والنصارى، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢] ليجعل هذا الإرسال فى مقابل ما سبق من إرسال رسل من أهل الكتاب، ولقد وقر فى أذهان اليهود دائمًا أن الله أباح لهم مخاشنة الأميين (أبناء الأمة العربية) فكانوا (ما يزالون) يقولون: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران: ٧٥]. ثم إن العرب لكونهم أمة غير قارئة ولا كاتبة كانت حالهم هذه سببًا فى تطور معنى الأمية إلى الجهل بالقراءة والكتابة، وجعل ذلك فى مقابل مفهوم أهل الكتاب، وهكذا قام التقابل بين مصطلحين يدل أحدهما على أمة تجهل القراءة والكتابة ويشير الآخر إلى جاليات ذات كتب.

٢ - **أهل الكتاب**: والمقصود بالكتاب هنا ما يشمل العهد القديم (التوراة وما

أضيف إليها) والعهد الجديد (الإنجيل). والعهد القديم كتاب اليهود، أما العهد الجديد فهو للنصارى.

أ – كان اليهود يسكنون يثرب وخيبر وفدك وغير ذلك من واحات شبه الجزيرة. وكانوا ذوى وضع اجتماعى ورخاء اقتصادى ملحوظ، كما كانت لهم مؤسساتهم الدينية التى يقوم عليها أحبارهم، وكان هؤلاء الأحبار يقرأون فى التوراة بشارة بأن نبيًا سيظهر فى الأرض العربية فيظنون ـ فيما يبدو ـ أنه سيكون منهم. فكانوا لهذا ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة: ٨٩]، أى يقولون إنهم سيكونون أعز جانبًا من الأميين بظهور هذا النبى، "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به".

ب – أما النصارى فكانوا موزعين بين مواقع مختلفة فى شبه الجزيرة إما مستقرين فى موقعهم كأصحاب الأخدود فى اليمن وإما طوافين منشغلين بالدعوة إلى المسيحية من النساطرة أو من اليعاقبة، وهؤلاء وأولئك يشملهم قول امرئ القيس:

أصاح ترى برقًا أريك وميضه ... كلمح اليدين فى حبى مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهب ... أمال السليط بالذبال المفتل

فكان لكل من العرب واليهود والنصارى هويته التى تختلف عن هوية الآخر أو تصطدم بها.

٣- أخلاط أخرى:

هم أفراد من أبناء الأمم الأخرى من فرس وروم وحبش إما فى عداد الموالى أو من الأرقاء أو أصحاب المصالح المختلفة، وكان نصيب كل من هذه الهوية يتمثل فى نسبته إلى المصدر الذى قدم منه. ومن هنا سمعنا عن سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى وغيرهم من الغرباء المستضعفين الذين أعزهم الله باعتناق الإسلام.

دخلت الدعوة الإسلامية منذ البداية فى مواجهة حازمة ضد ثلاثة من الأعداء يبدأ اسم كل منهم بحرف الشين وهم:

١- الشرك.

٢- الشيطان.

٣- الشهوة.

أما الشرك الذى تمثل فى عبادة آلهة من دون الله فأشهر صوره كانت عبادة الأصنام، وهى أهم ما فى تراث الأميين الذين يقولون: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]. والمقصود بالأمة هنا الطريقة والاتجاه. وكانت عبادة الأصنام سببًا فى رفعة شأن قريش، لأن قريشًا كانت لها سدانة الكعبة ومن حولها أصنام القبائل، فكان القرشيون حراصًا على هذا الوضع الذى يرفع من شأنهم بين القبائل. وكان ذلك سببًا من أسباب إصرارهم على مقاومة الدعوة إلى الإسلام. ومع ذلك كان المشركون يعلمون أن الله هو الخالق: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١]. وقد سمى عبد المطلب ابنه: عبد الله، وكانوا يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]. ومعنى ذلك أن لفظ الجلالة لم يكن كلمة ارتجلها المسلمون بل كان هذا اللفظ من ألفاظ اللغة العربية فى عصورها المختلفة، ومع ذلك وعلى رغم هذه الحقيقة انصرف الجاهليون إلى عبادة الأصنام من دون الله، وجاءت الدعوة الإسلامية لتبطل هذا الشرك، وتجعل العلاقة بين الإنسان وربه مباشرة لا وساطة فيها لصنم ولا لعبد صالح حى أو ميت، وذلك جزء من هوية المسلم.

والشيطان عدو للإسلام والمسلمين. ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦] ذلك بأن الشيطان يدعو إلى الضلال، ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ

يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١]. ولقد أجمعت الكتب السماوية على أن الشيطان الأكبر (إبليس) كان سببًا فى إغواء آدم وتوجيهه إلى معصية ربه، ومن ثم فى إخراجه من الجنة، وحين طلب الشيطان من الله أن يمهله إلى يوم البعث بقوله: ﴿ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤] أجابه الله تعالى إلى ما طلب فلم يشكر ربه على هذه الإجابة وإنما قال: ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٨ ـ ١١٩]. فهو مسلط على الضعفاء من خلق الله: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١٢٠]. أما أصحاب الهوية الإسلامية النقية من عباد الله فلا سلطان له عليهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

والعدو الثالث للإسلام شهوات النفس الأمارة بالسوء. وهى ثلاث أنواع أيضًا:

١ - اللذة الحسية.

٢- حب المال.

٣- حب الغلبة.

ففى حرص الإسلام على كسر شرة الشهوة الحسية دعا المسلم إلى إنشاء العلاقة الزوجية المشروعة ودعا من استطاع الباءة أن يتزوج وحرم الزنا. وحين نظر على زيادة عدد النساء على عدد الرجال أباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة: ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء: ٣]، ولم يجعل ذلك دون قيد، فاشترط القدرة على العدل بينهن: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ٣].

والمقصود بهذا القيد كسر الشهوة الحسية المطلقة بعد إباحة التعدد، والمعروف أن بديل التعدد فى أغلب الحالات يتحول إلى الفساد والإفساد كما نشاهد فى

المجتمعات الغربية ومن محاربة الشهوة الحسية تحريم الخمر التى هى أم الكبائر والنهى عن تناول الأعراض والتجسس والغِيبة وغير ذلك من المفاسد.

وأما حب المال فحسبنا أن نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ١٥ ـ ٢٠]. فيظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى يبتلى الإنسان بكثرة المال فيرى الإنسان نفسه فى نعمة وإن لم يكن له منها إلا المال، ويبتليه بضيق الرزق فيرى فى ذلك إهانة له. وهو فى حال السعة لا يكرم اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، وإنما يبالغ فى استهلاك المال وما يحصل به عليه من تراث الدنيا، هكذا يرفض الإسلام الافتتان بالمال، ويجعل المال ملكًا لله، كما يجعل الإنسان مخولا التصرف فيه ومحاسبًا على طريقة إنفاقه، ومن ذلك أيضًا أن الله حرم الربا وبعض التصرفات المالية المشبوهة، وشرع الزكاة وأوصى بالصدقة وجعل للفقراء والمحرومين نصيبًا مفروضًا من أموال الأغنياء كما جعل حسن التصرف فى إنفاق المال طريقًا إلى الجنة.

وحارب الإسلام شهوة الغلبة بأن دعا إلى التواضع وأنكر الكبر والتباهى وفرض السلطة وإهدار الأنفس بغير حق والظلم واحتقار الضعفاء والسخرية منهم. كما أنكر التمييز بين الناس بسبب النسب أو اللون أو العرق، وجعل الفضل بينهم معلقًا على التقوى دون غيرها، تلك هى ثوابت الدعوة الإسلامية التى ينبت على الحكمة والموعظة الحسنة، والتى تسعى إلى تثقيف المسلم ثقافة تسلكه فى عداد عباد الله الصالحين الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦]. وتلك آيات تبين الكثير من عناصر الهوية الإسلامية، كما تبينها أيضًا الآيات الأولى من سورة المؤمنون.

انبلج صبح الإسلام فنشأت ظروف ومواقف لم تكن قائمة من قبل. وبدأت

سلسلة من التحولات جعلت الأمة تبحث عن وسيلة تصل بها إلى غايتها فلم تجد أداة لبلوغ هذه الغاية أجدى ولا أعظم أثرًا من اللغة التى بها نزل القرآن وجرى بها تبليغ الدعوة. لقد أعاد الإسلام صوغ كل شىء لم ينسجم مع تعاليمه، وكان نزول القرآن بلسان عربى مبين ثورة بكل المقاييس، سواء فى مجال اللغة ذاتها من حيث هو نص معجز، أم من حيث العقيدة لأنه يبشر بدين يخاطب البشر جميعًا ولا يقف عند حدود قومية بعينها، أم من حيث الشريعة التى أبطلت ثقافة الجاهلية بأكملها وأحلت محلها شريعة نظمت أحكام السلوك والعادات والتقاليد، وبنت المجتمع الجديد على أسس من العدالة والأخوة والمساواة، وأذابت الفروق بين الأعراق والألوان، وبين الفقراء والأغنياء، ثم جاء وعد الله لعباده صادقًا إذ قال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [غافر: ٥٤].

كانت اللغة العربية بهذا وعاء للتعاليم الإسلامية، كما كان القرآن بنصه العربى مفتاح الدعوة ودستورها وصوتها المسموع فى كل مكان. ففى آياته نص العقيدة وشرحها وأحكام الشريعة وقواعد السلوك ومكارم الأخلاق. فكان العلم بمعانى نصوصه ضروريًا لفهم مطالب الدين الجديد. فأقبل المسلمون عندئذ على القرآن طلبًا لفهم نصه، ووفاء بالدعوة إلى قراءته فى الصلاة بحفظ الفاتحة وعدد من قصار السور لتكون عبادته صحيحة، وليطمئن قلبه إلى حسن ثواب الآخرة، وهكذا جعلت اللغة العربية تتجاوز حدودها الجغرافية إلى بلاد لم تعرفها من قبل، وإلى السنة لم يكن لها سابق نطق بها، فانتهى الأمر بالعربية إما إلى مشاركتها للغات المحلية فى البلاد الإسلامية وإما إلى اجتثاث اللغات المحلية وحلول العربية محلها على نحو ما وقع فى بلاد العالم العربى الحاضر بين الخليج والمحيط.

وبعد القرآن الكريم تأتى السنة النبوية المطهرة التى تفصل ما أجمله القرآن، وينبغى أن نشير هنا إلى أن السنة إما أن تأتى فى صورة قول أو عمل، أما العمل فمثاله أن القرآن لم يحدد كيفية أداء الصلاة وإنما حددها عمل النبى ﷺ إذ طلب إلى

المسلمين أن يصلوا كما رأوه يصلى، وأما القول فيكفى أن نشير إلى الصحاح من روايات الأئمة من أمثال البخارى ومسلم، وكما عنى المسلمون بالقرآن كانت عنايتهم بالسنة.

قلنا إن العرب كانوا يجهلون القراءة والكتابة فلم تكن لهم ثقافة بالمعنى الفكرى وإن كانوا أصحاب ثقافة ثرية بالمعنى الأنثروبولوجى كما يتضح من الشعر العربى الذى سمى بحق "ديوان العرب" أى أرشيف ثقافتهم الشعبية، وتاريخ أحداثهم، حتى ليمكن أن نضعه بكل اطمئنان إلى جانب القرآن والسنة فى تشكيل الهوية العربية، وإلى حد ما الهوية الإسلامية، لأن الشعر العربى كان وسيلة للدلالة على عربية النص القرآنى كما كان مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ وتحديا للفصحاء أن يأتوا بسورة من مثله.

وإذا لم يكن للجاهلين ثقافة فكرية فإن النص القرآنى مكن العرب والمسلمين من بناء الثقافة الإسلامية إذ كان القرآن سببًا فى نشأة الدراسات اللغوية من النحو إلى البلاغة، وكان استخراج الأحكام الفقيهة من هذا النص سببًا فى نشأة أصول الفقه.

وكان فهم الآيات التى تشرح العقيدة الإسلامية سببًا فى نشأة الفرق والمذاهب، كما كانت محاولة فهم النص سببًا فى نشأة علم التفسير، وأدى النظر فى نصوص السنة إلى نشأة علمى السند والرجال، وأدى تفهم الشعر وتذوقه إلى نشأة النقد الأدبى.. وهلم جرا، مما صاغ للناس نوعًا من الهوية إن كان مبناه على أصول عربية فإن كيانه كان هوية إسلامية بنيت على أصول عربية، ومن الغريب أن هذه الجهود الفكرية لم تكد تبدأ على أيدى العرب حتى تلقاها أبناء العالم الإسلامى من الموالى على نحو وضع العرب فى مؤخرة المشتغلين ببناء صرح الحضارة الإسلامية إذ ظلوا فى موضع القيادة السياسية، وتركوا هذه الجهود الفكرية الخلافة للموالى وغيرهم من أبناء البلاد الإسلامية فيما بعد. وحسبنا أن نشير إلى سيبويه والكسائى والبخارى ومسلم والجاحظ وعبد القاهر وابن جنى والزمخشرى وابن سينا

والبيرونى والغزالى وغيرهم من أبناء البلاد الإسلامية من كبار الأئمة الذين بنوا هويتنا الإسلامية من خلال ما تركوا من تراث كتب باللغة العربية، أما الأئمة العرب فكانوا قليلين ومنهم أبو عمرو بن العلاء وابن شهاب الزهرى ومحمد بن إدريس الشافعى ومالك بن أنس ابن اسحق الكندى. وهذا النفر القليل لا يعد كافيًا إلى جانب البحر الزاخر من إخوانهم من غير العرب مما كان سببًا فى تحويل الهوية العربية إلى هوية إسلامية أوسع مدى يعتز بها أبناء العالم الإسلامى ويحسون من خلالها بالأخوة الإسلامية والانتماء إلى الكتاب والسنة وما بنى عليهما من ثقافة إسلامية.

عندما دب الضعف والتحلل فى بنية الدولة العباسية نشأت دويلات إسلامية تعترف بتبعيتها للخلافة ولكنها تحتفظ لنفسها باستقلال ذاتى تدبر به أمورها. ومن هذه الدول الدولة البويهية والسامانية والغزنوية والحمدانية والأغلبية والفاطمية وغيرها من الدول الصغرى. وكان من الطبيعى أن تضعف الرابطة الرسمية بين المسلمين بسبب هذا التعدد، ولكننا على عكس ذلك نلاحظ ازدهار الفكر والأدب فى هذه الفترة حتى إننا إذا أردنا أن نحدد فترة الازدهار فى الثقافة الإسلامية قلنا إنها كانت فى القرن الرابع الهجرى. ثم استشرى الضعف السياسى فى العالم الإسلامى مما أدى إلى سقوط الخلافة العباسية، وقيام خلافة أخرى هى الخلافة العثمانية التى حافظت على القوة العسكرية للمسلمين، ولكنها لم يكن لها من الحس الثقافى ما يدعوها إلى المحافظة على المد الفكرى للثقافة الإسلامية. ومن هنا تسرب الضعف إلى الجانب الثقافى فى العالم الإسلامى، ولولا الأزهر وغيرته على التراث الدينى الإسلامى لا نقطع حبل الوصل بين ماضى المسلمين وحاضرهم.

قام الأزهر بدور المتحف الذى يحافظ على النفائس دون إضافة إليها. وتركه العثمانيون لهذا الدور بعد أن ألغوا الاجتهاد، وقدموا لغتهم التركية لتكون لغة الدواوين، فقام الأزهر بهذه المهمة بغيرة وإخلاص، وقصده أبناء المسلمين من

مختلف أنحاء العالم الإسلامى، فكان سببًا من أسباب المحافظة على الهوية الإسلامية والإبقاء على الوعى بها دون إضافة إلى رصيدها، وهكذا خيم الظلام على العقل الإسلامى طوال مدة الحكم العثمانى، وأصبح النشاط العقلى يبدو فى صورة الشروح والحواشى دون الإبداع.

ثم تثاءب العالم الإسلامى وتمطى وفتح عينيه بظهور بعض الجماعات الإسلامية فى مختلف الجهات، كالوهابية والسنوسية وظهور الدولة العلوية فى مصر. وكان لكل من هذه الحركات دوره المختلف من التصوف إلى التأصيل إلى القوة العسكرية الطامحة إلى التنوير والانتفاع بمعطيات الحضارة الغربية، ويهمنا عند هذه النقطة أن نلقى الضوء على هذا التطور الأخير (أقصد تولى محمد على حكم مصر واليًا تابعًا للدولة العثمانية مع وجود الأزهر والتراث الإسلامى فى دائرة سلطته). مما يعطى الفرصة لأول احتكاك بين الهوية الإسلامية والحضارة الحديثة.

كان محمد على رغم أميته ذكيًا طموحًا فتمكن بذكائه وطموحه من الاستقلال بمصر عن سلطة الخلافة العثمانية، وأن يدرك الطريق إلى النهوض بالدولة التى استقل بها، فاتجه إلى الاستعانة بالغرب وبفرنسا بصفة خاصة، كانت الآثار الثقافية للحملة الفرنسية التى غزت مصر قبيل ولايته عليها بقليل ما تزال موضع إعجاب من المثقفين المصريين، وكانت الثقافة الفرنسية المتحررة من الأطر الفكرية للعصور الوسطى بعد الثورة ذات جاذبية خاصة لدى مستشارى محمد على، فنصحوه بتنشئة طائفة من الشباب المصرى المزودين بتربية ثقافية عصرية، وأن يتم ذلك بإرسالهم إلى فرنسا للحصول على هذه التربية الثقافية من خلال التخصص فى فروع مختلفة من العلم الحديث.

وفى الوقت ذاته أنشأ محمد على عددًا من المدارس الابتدائية والثانوية على النظام الحديث فى التربية، وأمر بترجمة المؤلفات التعليمية والعلمية من الفرنسية إلى

العربية، وبتأليف الكتب المدرسية لخدمة هذا الغرض، فكان ذلك بداية لنشأة نوع جديد من التعليم الحديث يختلف طابعًا وغاية عن التعليم الأزهرى. فظل هذان النوعان من التعليم قائمين جنبًا إلى جنب فى مصر إلى يومنا هذا: تعليم أزهرى وتعليم عام.

أرسل محمد على البعثات إلى فرنسا واستعان بعلماء من فرنسا من أجل دعم الجهود المحلية فى غرس جذور علمية مختلفة فى التربة المصرية كالطب وغيره، وهكذا استعان محمد على بعطاء عنصرى الزمان والمكان: فأما الزمان فقد هيأ لمحمد على ولاية على مصر ومنح فرنسا تفوقا على بقية الشعوب الأوربية نظرًا لنتائج الثورة والتحرر من قيود العصور الوسطى، وأما المكان فقد أعان محمد على بوجود مصدر يستمد منه طلاب البعثات التى يرسلها إلى فرنسا، وذلك هو الأزهر. ثم إن جهود محمد على كانت فى النهاية خضوعًا لضرورات العولمة الثقافية لإمداد اللغة العربية بمدد من الكفاءة الإضافية يجعلها قادرة على أداء دورها فى تنمية العقلية الإسلامية.

إن الناظر إلى مظاهر الهوية الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى لن يفشل فى العثور عليها فى صور مختلفة بين التطرف والاعتدال، وقد يكون التطرف فى صورة الإرهاب أو فى صورة التأصيل، كما يكون الاعتدال فى صورة السماحة أو فى صورة التوكل، وبين هذه الصور الأربع نجد المواقف تختلف بين ما نراه فى أفغانستان وفلسطين ونيجيريا والفلبين والبوسنة والشيشان وكشمير وغيرها من مواطن الاحتكاك بين الهوية الإسلامية وغيرها من الهويات، ولو حاولت الكشف عن طبيعة الهوية الإسلامية فى كل هذه الأحوال لوجدت الثقافة الإسلامية بلغتها العربية هى المصدر الأساسى لهذه الهوية، ولوجدت عناية المسلمين بلغة القرآن دليلاً لا يخطئه الفهم على اعتزاز الأمة الإسلامية بهذه اللغة. إن مسابقات حفظ القرآن لتظهر بوضوح أن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يعتزون بكتاب الله

وبلغته العربية حتى إن كانت نشأتهم قامت على استعمال لغة غير لغة القرآن، وإن ما نسمع عنه من تسابق الولايات النيجيرية إلى إقامة الشريعة الإسلامية قانونًا للسلطة والحكم ليدل على مدى إكبارهم للهوية الإسلامية، وإن ما نعلمه من إحساس المسلمين فى مختلف بقاع الأرض بتميزهم الدينى والثقافى عن سواهم لدليل على شعورهم بهذه الهوية. أضف إلى ذلك أن عددًا من الدول الإسلامية غير العربية كالصومال وجيبوتى وجزر القمر لم تجد من المنظمات ما تنسب إليه إلا الجامعة العربية.

إن اللغة العربية ستبقى حية ولن تموت. ذلك ما يدل عليه وعد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه إذ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. إن المرء ليدرك ما يبشر به حاضر اللغة العربية من مستقبل مزدهر يتناسب مع طموح أبنائها إلى الوصول لمستوى مشرف يذكرهم بما كان لأجدادهم من ماض مجيد اتسعت به رقعة لغتهم فى أرض الإسلام. إن اللغة العربية ما تزال تحتل مكانًا مرموقًا بين اللغات الأخرى على الرغم مما أصاب العرب من ضعف سياسى ومن بعد عن مركز القيادة فى العالم. ومن الأدلة على هذا المركز المرموق للغة العربية ما يلى:

١- أنها واحدة من عدد من اللغات التى تستعمل فى المحافل الدولية.

٢- أنها إحدى اللغات ذات الاتساع الإعلامى من خلال الأقمار الصناعية.

٣- أن لها وجودًا فى المؤتمرات العلمية وفى الأوساط العلمية.

٤- أن الأدب العربى المعاصر يحظى بالترجمة إلى اللغات الأخرى.

٥- أن نمو اللغة العربية فى حقل المصطلح يجعل من الممكن فى يومنا هذا أن تتسع لغة العرب لجهود الترجمة فى الكثير من حقول المعرفة.

٦- أن الإنتاج العربى فى العلم والأدب يحصل اليوم على جوائز علمية.

٧- أنه بعد اعتماد التعليم من خلال العربية على التلقين وحفظ النصوص أصبح العالم العربى اليوم يزخر بالجامعات ومراكز البحوث، وينشىء المدن العلمية لأول مرة فى تاريخه.

٨- أن الدراسات اللسانية والنقدية التى تتناول اللغة العربية تشهد فى الوقت الحاضر نهضة تذكرنا بما كان لها فى الأيام الخوالى من عناية باللغة والإنتاج اللغوى.

٩- إن اللغة العربية استوعبت الآن أساليب جديدة لم تكن لها من قبل كأساليب المسرح والسينما والصحافة والإعلان والدعاية بصورها المختلفة.

١٠- أن الشعر العربى يخضع فى حاضره لتجربة جديدة يروج أصحابها لها وإن كنا ﴿لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] لأن هذا الشعر بعيد عن تقاليد الشعر العربى وما تمتاز به من وسائل الإطراب الصوتى، وتعزف عما سماه السلف "عمود الشعر".

كل هذه العناصر التى تدعو إلى الاطمئنان إلى مستقبل اللغة العربية وإلى أثرها فى تحقيق الهوية الإسلامية لا تمنعنا من التحذير من ظواهر خطرة نراها نتعارض مع هذا المستقبل، وتدعو إلى الاحتراس من إهمال مقاومتها، من هذه الأمور:

١- هرولة بعض المثقفين إلى تطعيم حديثهم بالكلمات الأجنبية التى لها ما يقابلها باللغة العربية من الألفاظ المشهورة. وذلك طلبًا للوجاهة.

٢- استعمال لغة الإعلان لأسماء أجنبية لمؤسسات عربية، وكتابة أسماء عربية بحروف لاتينية.

٣- كثرة عدد المدارس التى تعلم أبناءنا باللغات الأجنبية وانعكاس ذلك على هوية هؤلاء الأبناء.

٤- الخضوع القومى لسلطان العولمة وتفضيل المنتجات الأجنبية فى مجال الثقافة على

المنتجات الوطنية، كما فى معروضات التلفزيون والسينما... إلخ، وكما فى تفضيل مشاهدة الإعلام الأجنبى على مشاهدة الإعلام الوطنى.

هذه جوانب ذات أثر غير مباشر على الهوية الإسلامية بسبب عدم التمسك بوسيلة الوصول إليها وهى اللغة العربية.

مفهوم الوحى فى القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

تشير هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة أنواع من طرق الاتصال بين الله سبحانه وتعالى وبين المصطفين من عباده: النوع الأول قد يكون إلهامًا وقد يكون نفثًا فى القلب (كما يقول القرطبى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن) وقد يكون رؤيا منامية، ولكل من هذه الأمور أمثلة واردة فى نص القرآن الكريم أما الإلهام فهو صورة من صور العلم اللدنى الذى يمنحه الله لعبد من عباده كما يتضح من الأمثلة الآتية:

أولاً: الإلهام:

١ - إبراهيم والأجرام السماوية:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].

٢- رجل العلم اللدنى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٠-٦٥].

٣- ذو القرنين:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٣-٨٩].

ثانيًا النفث فى الفؤاد:

٤- أم موسى عليه السلام:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ..... وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص ٧-١٣].

٥- يعقوب ورحلة أبنائه:

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف ٦٣-٦٧]. وقال تعالى أيضا على لسان يعقوب: ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٦].

ثالثا: الرؤيا في المنام:

٦- إبراهيم وابنه الذبيح:

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١-١٠٧].

٧- رؤيا يوسف:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف: ٤-٦]. وقال سبحانه على لسان يوسف: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

من وراء حجاب:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه ٩-٢١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١-١١].

هذه هى الطرق الثلاث التى تحقق بها الاتصال بين الله وعباده المخلصين (بفتح اللام) بقصد التكليف بعمل أو برسالة ما. وإذا تأملنا الحالات السابقة التى ذكرها القرآن الكريم ونقلنا نصوصها خطر ببالنا قوله تعالى: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨] وأدركنا أمرين:

* أن الله سبحانه خلق العباد من أجل العبادة، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلا يتصور الإنسان أن يمر بالخلق جيل لا يدعى إلى العبادة بإحدى هذه الطرق المذكورة.

* أن وسيلة الدعوة إلى العبادة قد تكون النص وقد تكون القدوة كما رأينا فى النماذج السابقة.

الوحى والتوحيد

فى عنوان موضوع هذه الندوة قضايا ثلاث:

١ - العربية لغة الوحى.

٢- العربية لغة الوحدة.

٣- كيف نحافظ عليها.

وقد بدا لى عند قراءة هذا العنوان أن الكلام مطلوب بالنسبة إلى القضايا الثلاث. ولهذا كان علىّ أن أتناول كل واحدة منها على حدة:

أولاً: العربية لغة الوحى:

ليس فى لغات العالم لغة تدل بالكلمة المفردة على معنى واحد لا تتعداه إلا أن يكون المدلول من قبيل المصطلح أحيانًا. فإذا كانت الكلمة مصطلحًا فقد يكون لها معنى واحد كأسماء العلوم مثلاً وقد يكون معناها متعددًا كما يتضح من تعريف بعض المفاهيم إذ يقال إن معناه لغة كذا واصطلاحًا كذا. أما ألفاظ المعجم فإن كل لفظ منها يدل على عدد من المعانى كل منها بطريق الاحتمال ولا يتعين لهذا اللفظ أحد هذه المعانى إلا فى السياق. انظر مثلاً إلى الفعل "ضرب" وانسبه فى إفراده إلى معنى ما وسترى أن ذلك غير ممكن. أما فى السياق فإن المعنى يتعدد نحو: ضرب الولد أخاه - ضرب الله مثلاً - ضرب له موعدًا - ضرب له قبة - ضرب عليه ضريبة - ضرب ٥×٦ - ضرب فى الأرض - ضرب أخماسًا فى أسداس إلخ.

ومن الكلمات ذات المعانى المتعددة كلمة "الوحى". فقد تدل هذه الكلمة على تأهيل وحفز كما فى:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾.

﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ - ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾.

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾.

وقد يدل الفعل على الإلهام نحو:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾.

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾.

وقد يدل على إشارة نحو:

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾. ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ﴾.

وقد يكون الوحى تكليفًا للمَلَك بإجراء أمر معين:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾.

وقد يكون الوحى كلامًا من الله يلقى من خلال وسط مادى معين نحو:

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾.

ولا يدل لفظ الوحى بأى من هذه المعانى على أكثر من رسالة قصيرة. أما الوحى القرآنى فهو كتاب عظيم يشتمل على عقيدة وشريعة وآداب سلوك وقصص ودعوة إلى دين قيِّم وحياة أخرى تشتمل على الثواب والعقاب، وقد جاء كل ذلك بلسان عربى مبين فاستحقت العربية أن تسمى لغة الوحى.

ثانيًا: لغة الوحدة:

يمكن أن توضح مدلول هذه الصفة فى اتجاهين أحدهما قومى والآخر إسلامى.

أ - من الناحية القومية: لا شك أن العربية وسعت مفهوم الرباط القومى والثقافى بين جماعة من شعوب الشرق الأوسط المختلفة الأعراق وضمت هذه الجماعة تحت لقب واحد هو "الأمة العربية" التى تمتد رقعتها الجغرافية بين الخليج والمحيط يضمها لسان واحد وتراث واحد وهدف واحد.

ب - من الناحية الإسلامية: إن القرآن الكريم دستور الإسلام وهو كتاب عربى مبين، يتقرب المسلمون بتلاوته إلى الله ويصلون بقراءته ويدعون الله بما اشتمل عليه من دعاء وابتهال لا فرق فى ذلك بين عربى وعجمى وهكذا تصبح اللغة العربية وهى لغة القرآن رباطًا يوحد المسلمين فى عقيدة واحدة.

ثالثًا: كيف يمكن لنا أن نحافظ على هذه اللغة؟

أ - من حيث المفردات المعجمية: من المعروف أن بعض اللغات يلجأ إلى الاقتراض من البعض الآخر، وأن الاقتراض لا يكون فى مجال القواعد ولا طرق تركيب الجملة وإنما يتسع المجال فى اقتراض المفردات وبخاصة فى نطاق المصطلحات وألفاظ الحضارة. ولقد اقترضت اللغة العربية الكثير من المفردات من اللغات المجاورة ووضع العلماء ذلك ضمن حقائق فقه اللغة تحت عنوان "التعريب".

ومن الطريف أن اللغويين والمعرّبين ارتضوا عرفًا لهم فى التعريب يقوم على ارتضاء مقابلات صوتية بين حروف الكلمات. ومن ذلك ما يلى:

١ - نقلوا صوت C الأجنبى إلى صوت القاف نحو موسيقى وطوبيقا وتحويل اسم إقليم برقة فى ليبيا من Cyrenaica إلى القرين وتحويل اسم Cyprus إلى قبرص.

٢ - تحويل صوت Y إلى الضمة كما فى قاف القرين وقاف قبرص وسين سوريا.

٣- تحويل صوت V إلى الواو أو إلى الباء كما فى لفظ avasta وهو كتاب المجوس الذى عرب إما إلى أوستا وأما إلى أبستاق وكذلك بلنسيه وقرطبة.

٤- تحويل التاء الأجنبية إلى طاء عربية كما فى ريطوريقا وبوطيقا وإيطاليا.

٥- تحويل P إما إلى صوت الباء أو صوت الفاء كما فى تحويل Ponticus مرة إلى فندق وأخرى بندق.

٦- تحويل الكلمة الأجنبية إلى الأوزان الصرفية العربية قدر الإمكان كما فى لفظ فلسفة وهو طقة وإقليم وقسطاس وسجّيل.

بعد كل هذه الإجراءات يصبح اللفظ المعرب فى مستوى اللفظ العربى من حيث القبول فى الاستعمال ويصدق هذا على ما يتم تعريبه فى أيامنا هذه من المصطلحات وألفاظ الحضارة لأن تعريب هذه الألفاظ يتم فى إطار عرف لغوى خاص بالنسبة للمصطلح وعام بالنسبة لألفاظ الحضارة.

أما أن يبيح بعض الأفراد لأنفسهم أن يتحدوا العرف العام فيطلقوا ألسنتهم بتحريف الكلمات أو استعمال الألفاظ الأجنبية التى تدل على مسميات لا صلة لها بمجتمعاتنا فذلك جريمة فى حق المجتمع. وحسبنا أن تصطك أسماعنا بألفاظ مثل:

مارينا ـ هانوفيل ـ بيفرلى هيلز ـ جراند مول ـ تكييف جولدى ـ أوليمبيك إليكتريك ـ باور تربو ـ كاريار ـ أفريكانو إلخ من المسميات الغربية على بيئاتنا ولغتنا.

وأوغل فى الإنحراف من ذلك أن تُمسخ الألفاظ العربية لتحاكى صيغًا أجنبية مثل حنفيكو وفرجللوا (بتحريف لفظ الجلالة) وتاكى (بدلا من تقى الدين) إلخ فى تحدٍّ ظاهر للعرف اللغوى وعدوان على كرامة اللغة القومية.

ومن اكتساب اللغة (أى لغة) أن يكون بطريق الممارسة ولبس طريق التلقين. ذلك أن التلقين يقدم إلى طالب اللغة قواعد يدعى لها الاطراد مع وجود ما يفند

هذه الدعوى. فأول ما يطعن فى هذه الدعوى وجود قواعد أخرى فرعية تتحدى القواعد الأصلية لأنها تتمتع بأمن اللبس. من ذلك جواز الابتداء بالنكرة وجواز الإخبار بظرف الزمان عن المبتدأ المادّى إلخ كما يشتمل نظام اللغة العربية على أمور من نقل اللفظ من وظيفته الأصلية فى حدود النظام إلى وظيفة أخرى ومن تعدد المعنى للفظ الواحد ومن جواز الترخص فى التعبير عند أمن اللبس. وكل ذلك يطعن فى فكرة الاطراد التى يقوم عليها التلقين ويؤدى إلى الاعتراف بما يسميه ابن جنى "شجاعة اللغة". ولنا أن نسوق الأمثلة الآتية لهذه الظواهر:

١ - قاعدة فرعية	ولا يجوز الابتدا بالنكرة مالم تفد
٢ - العدول عن أصل الوضع	كل قواعد التصريف
٣- النقل	ما ـ من ـ أى ـ الظروف ـ المبهمات
٤ - تعدد المعنى	ضرب ـ تقول "أنت وهى" ويقولون طاعة
٥ - إضافة المصدر	أنت أولى بالإنصاف ـ ودع أذاهم.
٦ - ما	وما عملته أن يهم
٧- إلا	إلا تذكرة لمن يخشى ـ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى
٨- الترخص	شهد الله ـ وإذ اعتزلتموهم ـ همزة لمزة الذى ـ مقامًا محمودًا الذى قالتا أتينا طائعين.

هذه الإجراءات كلها من صميم نظام اللغة ولكنها لا تتفق مع تلقين القواعد كما يحدث فى حجرة الدراسة.

من هنا كانت الممارسة هى الطريق السليم لاكتساب اللغة وأشهر الممارسات ما مررنا به جميعًا من اكتساب لهجاتنا الدارجة بحيث نتكلمها دون أن نخطىء ولكننا لا نعرف لها نحوًا ولا صرفًا. ليس ذلك فحسب؛ بل إن اللغة العربية الفصحى

تحظى فى نشاطنا الاجتماعى ببعض الممارسة: فنحن نصلى بها ونتعاقد بها ونراسل أهلنا بها وإن كانوا أميين وتستمع إلى خطبة الجمعة بها ونقرأ الصحف بها ولكن هذه الأمور جميعًا تتم بممارسة لغة غير سليمة يتقبلها العرف العام على علاتها وينصرف عنها إلى الدارجة فى حياته اليومية.

الأمر إذًا يحتاج إلى التفكير فى إصلاح جانب الممارسة وذلك لا يتم إلا فى محيط العملية التعليمية بإحلال الممارسة محل التلقين وتنويع صورها بحيث يكون طالب اللغة هو الممارس وهو صاحب الدور الإيجابى فى الاكتساب على نحو ما كان عند اكتسابه للغة الأسرة. ولعل من وسائل ذلك ما يلى:

١- توجيه خطط التعليم إلى العناية بشحذ نشاط التلميذ واستنباط طاقاته الإيجابية فى التعلم والعدول عن طابع التلقين والحفظ.

٢- التوسع فى صور النشاط الثقافى فى خارج أسوار المدرسة وتحويل الرحلات المدرسية إلى مناسبات للتعلم مع استعمال اللغة الفصحى قدر الإمكان.

٣- تشجيع المجدّين من الطلاب بالإطراء والجوائز بحيث يثير هذا التكريم دوافع المنافسة عند بقية الطلاب.

٤- جعل الصحافة المدرسية من مفردات خارج الفصل الدراسى وتدريب الطلاب على إدارتها واستعمالها.

٥- حفز وسائل الإعلام المسموعة والمرئية إلى استعمال الفصحى السليمة بقدر الإمكان وإفساح المجال للغة الفصحى فى برامج الأطفال.

٦- الانتفاع ببرنامج مكتبة الأسرة والقراءة للجميع والجهود الأخرى التى تبذلها السيدة الفاضلة سوزان مبارك فى خدمة ثقافة الطفل لأن هذه البرامج صورة من صور الممارسة التى تنأى بالعملية التعليمية على التلقين والحفظ.

الألوهية والربوبية

أولاً: خصائص الألوهية

١ - العبادة

٢ - الوحدانية

٣ - الخلد

٤ - الإحياء والإماتة

٥ - المُلْك

٦ - القهر

٧ - الطَّول

٨ - العلم

٩ - القسم (الإبلاء)

١٠ - القدرة

١١ - الحياة

١٢ - الحمد

١٣ - القوامة

١٤ - العظمة

١٥ - الهيمنة والجبروت

ثانيًا: خصائص الربوبية:

١ - السيادة.

٢ - الحماية

٣ - المِلْك

٤ - المغفرة

٥ - الرحمة

٦ - العزة

٧ - العطاء (الهبة) (الثواب)

٨ - التقبل

٩ - العون والعطاء

١٠ - الرجاء والدعاء

١١ - الرضوان

١٢ - القسم (الأسلوب)

١٣ - الحساب

١٤ - الحمد

الحمد لله على السراء والضراء

الشكر على السراء فقط

الألوهية

أولاً: العبادة:

١ - ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾.

٢ - ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ - ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾.

ثانيًا: الوحدانية:

١ - ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.

٢ - ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾.

٣ - ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.

٤ - ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.

٥ - ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾.

٦ - ﴿ مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾.

٧ - ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾.

٨ - ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾.

٩ - ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾.

١٠ - ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

١١ - ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

١٢ - ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾.

١٣ - ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾.

١٤ - ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾.

١٥ - ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

١٦ - ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾.

١٧ - ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

١٨ - ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

١٩ - ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾.

٢٠ - ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾.

٢١ - ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

٢٢ - ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾.

٢٣ - ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

٢٤ - ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

٢٥ - ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

٢٦ - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾.

٢٧ - ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ثالثًا: الخلق:

١ - ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾.

٢ - ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾.

٣ - ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ - ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾.

رابعًا: الإحياء والإماتة:

١ - ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾.

خامسًا: المُلْك:

١ - ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٢ - ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ - ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾.

سادسًا: القهر:

١ - ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

سابعًا: الطَّوْل:

١ - ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

ثامنًا: العلم:

١ - ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

تاسعًا: القسم (الإيلاء) لم يرد القسم باسم الجلالة فى القرآن وإنما ورد القسم بالرب.

عاشرًا: القدرة:

١ - ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ - ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

٢ - ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

حادى عشر: الحياة:

١ - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

ثانى عشر: الحمد:

١ - ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾.

ثالث عشر: القوامة:

١ - ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾.

رابع عشر: العظمة:

١ - ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

خامس عشر: الهيمنة:

١ - ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾.

الربوبية:

أولاً: السيادة:

١ - ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ - ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ - ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾.

٢ - ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾.

٣ - ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾.

٤ - ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

٥ - ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

٦ - ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾.

٧ - ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾.

ثانيًا: رعاية:

١ - ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾.

٢ - ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾.

٣- ﴿ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾.

٤- ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

٥- ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾.

ثالثًا: الملك:

١- ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

٢- ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾.

٣- ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾.

٤- ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾.

٥- ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾.

٦- ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾.

٧- ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾.

رابعًا: المغفرة:

١- ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾. ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾.

٢- ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾.

٣- ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ﴾.

٤- ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

سابعًا: العطاء:

١- ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾.

٢- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾.

٣- ﴿ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾.

٤- ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾.

٥- ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾.

٦- ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾.

٧- ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

٨- ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾.

٩- ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾.

١٠- ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

١١- ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾.

١٢- ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾.

ثامنًا: إجابة:

١- ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ.... قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ......

٢- ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ...... فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا ...

٣- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً .... فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي....

٤- ﴿ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ﴾......

٥- ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾.... ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾.....

٦- ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾.... ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾....

٧- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾.. ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾...

٨- ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.....﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا ﴾....

٩- ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾....﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾.

١٠- ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

تاسعًا: الاستعانة:

١- ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾.

٢- ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾.

٣- ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾.

٤- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾.

٥- ﴿ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾.

٦- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾.

٧- ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

١- ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾.

٢- ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾.

٣- ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾.

٤- ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾.

٥- ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾.

٦- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾.

٧- ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾.

٨- ﴿ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾.

٩- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾.

١٠- ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾.

١١- ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾.

١٢- ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

١٣- ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾.

١٤- ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾.

١- ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾.

عاشرًا: القسم: (الأسلوبى)

١- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾.

٢- ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾.

٣- ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾.

٤- ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾.

٥- ﴿ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾.

٦- ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾.

حادى عشر: الحساب:

١- ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾.

٢- ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾.

٣- ﴿ إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴾.

٤- ﴿ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ﴾.

١ - الرحمن:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [الفاتحة: ١] المهيمن.

﴿ أعوذ بالرحمن منك ﴾ [مريم: ١٨] المهيمن.

﴿ كان للرحمن عصيا ﴾ [مريم: ٤٤] المهيمن.

﴿ عذاب من الرحمن ﴾ [مريم: ٤٥] المهيمن.

﴿ فليمدد له الرحمن ﴾ [مريم: ٧٥] المهيمن.

﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن ﴾ [مريم: ٨٥] المهيمن.

﴿ إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ [مريم: ٨٧] المهيمن.

﴿ أن دعوا للرحمن ولدا ﴾ [مريم: ٩١] المهيمن.

﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ [مريم: ٩٢] المهيمن.

﴿ إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ [مريم: ٩٣] المهيمن.

﴿ سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [مريم: ٩٦] المهيمن.

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه: ٥] المهيمن.

﴿ وإن ربكم الرحمن ﴾ [طه: ٩٠] المهيمن.

﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ [طه: ١٠٨] المهيمن.

﴿ إلا من أذن له الرحمن ﴾ [طه: ١٠٩] المهيمن.

﴿ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الأنبياء: ٤٢] المهيمن.

﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾ [الأنبياء: ١١٢] المهيمن.

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٢٦] المهيمن.

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٣] المهيمن.

﴿ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يس: ١١] المهيمن.

﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾ [يس: ٢٣] المهيمن.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الزخرف: ١٩] المهيمن.

﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الزخرف: ٢٠] المهيمن.

﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الملك: ١٩] المهيمن.

﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ [الملك: ٣] المهيمن.

﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [النبأ: ٣٨] المهيمن.

٢ - **الضالين:**

﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة].

٣ - **الكتاب:**

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] القرآن.

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ٥٣] التوراة.

﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ٧٨] الكتابة.

﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١٠١] التوراة.

﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠١] القرآن.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] التوراة.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١٤٤] التوراة.

﴿ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ١٧٦] القرآن.

﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ٢١٣] كل الكتب.

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [آل عمران: ٣] القرآن.

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ﴾ [آل عمران: ٢٠] التوراة.

﴿ يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧٨] التوراة.

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] أى كتاب.

﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ [آل عمران: ٨١] أى كتاب.

﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ [آل عمران: ١١٩] كل الكتب.

﴿ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥] قضاء.

﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤] فريضة.

﴿ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣] فريضة.

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [النساء: ١١٣] القرآن.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [المائدة: ٤٨] القرآن.

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [المائدة: ٤٨] التوراة والإنجيل.

﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] سجل.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] القرآن.

﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] القرآن.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١١٤] التوراة.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] قضاء.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] سجل.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [هود: ١٧] التوراة.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] موعد.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الإسراء: ٢] التوراة.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧] القرآن.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف: ٤٩] السجل.

﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: ٣٠] الإنجيل.

﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ [طه: ٥٢] سجل.

﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨] أى كتاب.

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٦٢] سجل.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النور: ٣٣] المكاتبة.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥] سجل.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أى كتاب.

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦] قضاء.

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [فاطر: ٢٥] التوراة.

﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ [الشورى: ١٥] جميع الكتب.

﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [الشورى: ٥٢] القرآن.

﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [ق: ٤] سجل.

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾ [النبأ: ٢٩] كتابة.

﴿ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ﴾ [المطففين: ٧] سجل.

﴿ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [المطففين: ١٨] سجل.

٤ - **الآخرة:**

﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] المعاد.

﴿ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [البقرة: ٨٦] المعاد.

﴿ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾ [البقرة: ٩٤] المعاد.

﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢] المعاد.

﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر: ٣] المعاد.

﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة: ٢٠١] المعاد.

﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٧] المعاد.

﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ٤٥] المعاد.

﴿ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ٧٧] المعاد.

﴿ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] المعاد.

﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ [الأنعام: ٣٢] المعاد.

﴿ وَلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ ﴾ [الأعراف: ١٤٧] المعاد.

﴿ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ [هود: ١٠٣] المعاد.

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [يوسف: ٥٧] المعاد.

﴿ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [يوسف: ١٠٩] المعاد.

﴿ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [النحل: ٣٠] المعاد.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ [الإسراء: ٧] الثانية.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ ﴾ [الإسراء: ١٠٤] الثانية.

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ [النمل: ٦٦] الثانية.

﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [القصص: ٧٠] الثانية.

﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ [الزمر: ٢٦] المعاد.

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: ٢٥] الثانية.

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٥] الثانية.

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [الليل: ١٣] الثانية.

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤] الثانية.

٥ - **مستقر:**

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ [البقرة: ٣٦] استقرار.

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام: ٩٨] ظهر الأب ورحم الأم.

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ [الأنعام: ٦٧] وقت يصدق فيه.

﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ثبت.

﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود: ٦] مراحل حياتها.

﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [الحج: ٥] نبقى.

﴿ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٣] مستقر.

﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤] موضع قرار.

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨] لمغربها.

﴿ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [طه: ٤٠] تطمئن.

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥١] يطمأنن.

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ابقين.

﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ [مريم: ٢٦] اطمئنى.

﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦] استقرار.

﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] إقامة وماء.

﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [ص: ٦٠] المستقر.

﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر: ٣٩] مستقرا.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢١] ظهر الأب.

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [النمل: ٦١] مستقرًا.

﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر: ٦٤] مستقرًا.

﴿ مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤] نعمة واطمئنان.

﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩] نعمة واطمئنان.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة: ١٢] مكان القرار.

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: ٣٨] دائم.

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ [النمل: ٤٠] ماثلاً.

٦ - رحيم:

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨٢].

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٨٩].

﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٤]

﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩].

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [هود: ٤١].

﴿ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩].

﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ٧].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحج: ٦٥].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٩].

﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ٥].

﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢].

﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس: ٥٨].

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨].

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢].

﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف ٦٤].

﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٧ - **الحق:**

﴿ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [الأعراف: ٣٠] وجب.

﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾ [الإسراء: ١٦] صدق.

﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحج: ١٨] وجب.

﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ [السجدة: ١٣] صدق.

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [الزمر: ١٩] وجب.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦] وجبت.

﴿ وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠] يصدق.

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ٤٢] الصدق.

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٦١] الاستحقاق.

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ٩١] الصدق.

﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ١٢١] كما ينبغي.

﴿ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ١٧٦] بالصدق.

﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٢] بالصدق.

﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الدين واجب السداد.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمران: ٦٢] الصادق.

﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [آل عمران: ٧١] الصدق.

﴿ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ [آل عمران: ٨٦] صدق.

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الصدق.

﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٠] الصدق.

﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦] مباح.

﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ٣٠] الصدق.

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ٦٢] الحقيقى.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ٧٣] بما يحق له.

﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٧٣] الصدق.

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ٨] القسط.

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٨] الصدق.

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنفال: ٥] بالوعد الصادق.

﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [يونس: ٥] بما يحق له.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [يونس: ٣٢] الحقيقى.

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢] الصواب.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾ [يونس: ٣٥] للصواب.

﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [يونس: ٣٦] اليقين.

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [يونس: ٨٢] ينفذ.

﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [هود: ٤٥] الصادق.

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ [هود: ٧٩] نصيب

﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ [يوسف: ٥١] الصدق.

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٤] الصدق.

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [إبراهيم: ١٩] بما يحق له.

﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر: ٨] إلا عندما يحق العذاب.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر: ٨٥] بما يحق لله.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣] بالاستحقاق.

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ٤٤] الصادق.

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [طه: ١١٤] الحقيقي.

﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنبياء: ٩٧] الصادق.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المؤمنون: ٤١] بالصدق.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [لقمان: ٣٠] الصادق.

﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [سبأ: ٢٦] بالعدالة.

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الزمر: ٦٩] بالعدالة.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧] بالصدق.

﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾ [الشورى: ٢٤] يوقع الصدق.

﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [الأحقاف: ١٧] صادق.

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ق: ١٩] بالموت المقدور (بالقدر).

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٩] نصيب.

﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦] واجب.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥١] صدقًا.

﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣] قضاء.

﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٤١] فرضه.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦] نصيبه.

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أولى.

٨ - عدل:

﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة: ٤٨] عديل.

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ ﴾ [النساء: ١٢٩] تقسطوا.

﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة: ٩٥] عديل.

﴿ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] يتخذون عديلا.

﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ [الأنعام: ٧٠] بديل.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] عدالة.

﴿ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٠] يجعلون له عديلا.

﴿ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩] يقسطون.

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠] يتخذون عديلا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠] القسط.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] قسطًا.

٩ - جهل:

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ [البقرة: ٢٧٣] الذى لا يعلم.

﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] المعتدين.

﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] العدوان.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] يريدون.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] المعتدين.

﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الأنعام: ٥٤] بغير علم.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] المعتدين.

﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٢٩] المعتدين.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] المعتدون.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] تعتدون.

﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] المعتدين.

﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] العدوان.

﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] المعتدون.

﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٣] تعتدون.

﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] العدوان.

﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الحجرات: ٦] بغير علم.

١٠ - أمه واميون:

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] جماعة.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] جيل.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] طائفة.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤] جماعة.

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] جماعة.

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦] جماعة خيّرة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف: ٣٤] جماعة.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] جماعة.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٩] جماعة.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤] جماعة.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [يونس: ٤٩] جماعة.

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: ٨] فترة.

﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] فترة.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ [الرعد: ٣٠] جيل.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢] جماعة.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] إمام.

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣] جماعة.

﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] طريقة.

﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] جماعات.

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٨] جماعات.

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٠] جماعات.

﴿ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] العربى. (المنسوب إلى الأمة لا إلى الجالية).

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ٧٨] لا يكتبون.

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران: ٤٠] العرب.

﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران: ٧٥] العزب.

١١ - لبس:

﴿ لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩] خلطنا.

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ٤٢] تخلطوا.

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ٦٥] يفرقكم.

﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] يخلطوا.

﴿ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥] حيرة.

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] مخالطات.

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦] مخالطة.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [الفرقان: ٤٧] وقت ملابسة ومخالطة.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [النبأ: ١٠] وقت ملابسة.

١٢ - الدين:

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة] البعث.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ [البقرة: ١٣٢] الإسلام.

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] اتباع العقيدة.

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] العقيدة.

﴿ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الأعراف: ٢٩] العقيدة.

﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ [الأنفال: ٧٢] العقيدة.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ [التوبة: ٣٦] العقيدة.

﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾ [يوسف ٧٦] شريعة.

﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٥] البعث.

﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ [النحل: ٥٢] الحكم.

﴿ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٢] شريعة.

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢] البعث.

﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] العقيدة.

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ ﴾ [الروم: ٤٣] العقيدة.

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ﴾ [الشورى: ١٣] العقيدة.

﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [الذاريات: ٦] البعث.

﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ ﴾ [النور: ٢٥] الحساب.

﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٣] محاسبون.

﴿ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢] العقيدة.

﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ١٤] العقيدة.

﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الذاريات: ٦] البعث.

﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ [الذاريات: ١٢] البعث.

﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٦] معرّضين للحساب.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المعارج: ٢٦] البعث.

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المدثر: ٤٦] البعث.

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٥] البعث.

١٣ - الأيمان: القسم:

﴿ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

﴿ أَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ [المائدة: ٥٣] [الأنعام ١٠٩] والنحل والنور.

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩].

﴿ أَوْ يَخَافُوٓا أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ [المائدة: ١٠٨].

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢].

﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٢].

﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٣].

﴿ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١].

﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ [النحل: ٩٢].

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا ﴾ [النحل ٩٤]

﴿ وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ [النور: ٥٣].

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ جُنَّةً ﴾ [المجادلة: ١٦] مخبأ.

﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَـٰنِكُمۡ ﴾ [التحريم: ٢].

﴿ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَـٰنٌ عَلَيۡنَا ﴾ [القلم: ٣٩].

١٤ - **الأيمان: اليد اليمنى:**

﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ ﴾ [النساء: ٣].

﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ ﴾ [النساء: ٢٤].

﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُم ﴾ [النساء: ٢٥].

﴿ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [الكهف: ١٨] الجانب الأيمن.

﴿ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ ﴾ [النور: ٣٣].

﴿ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

﴿ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات: ٢٨] كما قال إبليس: "ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم... إلخ".

﴿ مَطۡوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿ فَأَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ [الواقعة: ٨].

﴿ وَأَصۡحَـٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٢٧].

﴿ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِم ﴾ [الحديد: ١٢].

﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ [المعارج: ٣٧].

﴿ إِلَّآ أَصۡحَـٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [المدثر: ٣٩].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ [البلد: ١٨].

١٥ - الأيمن: الميمون:

﴿ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ ﴾ [طه: ٨٠].

﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾ [القصص: ٣٠].

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾ [مريم: ٥٢].

١٦ - الفتح:

﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ ﴾ [المائدة: ٥٢] النصر.

﴿ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام: ٤٤] أغدقنا.

﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] لا يقبلون عند الله.

﴿ ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩] أقض.

﴿ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ ﴾ [الأنفال: ١٩] النصر.

﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ ﴾ [يوسف: ٦٥] كشفوا.

﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ﴾ [الحجر: ١٤] ضد الإغلاق.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ ﴾ [الأنبياء: ٩٦] أطلقت.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ﴾ [المؤمنون: ٧٧] سلطنا.

﴿ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا ﴾ [الشعراء: ١١٨] اقض.

﴿ ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [سبأ: ٢٦] يقضي.

﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾ [الفتح: ١] تضرناك.

﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] نصر.

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [القمر: ١١] ضد الإغلاق.

﴿ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ ﴾ [الحديد: ١٠] النصر.

﴿ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف: ١٣] نصر.

﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ [النبأ: ١٩] ضد الإغلاق.

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] النصر.

١٧ - مستقر ومستودع:

﴿ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦]

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام: ٩٨]

﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود: ٦]

﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦]

﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [طه: ٤٠]

﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [الحج: ٥].

﴿ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٣].

﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤] قرار.

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨].

١٨ - الوزن:

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ٨] الحساب.

﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩] ثقل.

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] احترامًا.

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] الحساب.

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢] غلبت حسناته.

﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الشعراء: ١٨٢]

﴿ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧] بالصدق والعدل.

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ [الرحمن: ٨] توازن البيئة.

﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الحديد: ٢٥] العدل.

﴿ ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [القارعة: ٦] غلبت حسناته.

سماحة الإسلام

البقرة ٥٣- ٨٧- ١٣٦- ١٩٠- ٢٠٨- ٢٥٦- ٢٦٣- ٢٧٤- ٢٨٦.

آل عمران ٣ (٣٥- ٦٤)- ١٠٤- ١١٣ (١٣٣- ١٣٧)- ١٩٩.

النساء ٥٨- ٩٤- ١٣١- ١٣٦- ١٤٨.

المائدة ٥- ٨- (٤٤- ٤٨)- ٨٢- ١١٠.

الأنعام ٩١- ١٠٨- ١١٤- (١٥١- ١٥٢).

الأعراف (١٩٩- ٢٠١).

الأنفال ٦١.

التوبة ٤- ٣٦.

يونس ٤١- ٩٤.

هود (١٢- ١٤)- ١٧.

يوسف ١٠٣.

الرعد ١٣ - ٣٦.

النحل ٦١ - (٩٠ - ٩٢) - (١٢٥ - ١٢٨).

الإسراء ٢ (٢٣ - ٣٨).

مريم ١٦ - ٣٠ - ٤١

الحج (٣٩ - ٤١)

المؤمنون ٥٠ - ٩٦.

الفرقان (٦٣ - ٧٦).

القصص ٢ - ٥٥.

العنكبوت ٤٦ .

لقمان (١٥ - ١٩).

الزمر ٥٣.

غافر ٧٠.

فصلت ٣٤.

الشورى ١٣ - (٤٠ - ٤٣).

الجاثية ١٤.

الأحقاف ١٢ - ٣٥.

الفتح ١٧.

الحجرات ٦ - (١١ - ١٢).

الرحمن ٦٠.

المجادلة (٩ - ١١).

الممتحنة ٨.

الطلاق ٧.

الرسالة والنبوة

ينادى الله سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ بلفظ الرسول حينا فيقول: "يأيها الرسول..." وبلفظ النبى حينًا آخر فيقول: "يأيها النبى..."، فيمر بعض القراء بالنداءين دون انتباه للفرق بينهما. ولكن بعضًا آخر من هؤلاء القراء يتخطى اللفظ المفرد إلى ما يصاحبه من ألفاظ أخرى فى سياق الآية، فيصل إلى دليل على الفرق بين المعنيين كما فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]، فيرى أن فرق المعنى يبدو من استعمال لفظى "بلغ" و"جاهد"، لأن المعنى يجعل أولهما واسطة بين الله سبحانه وبين عباده، ويجعل الآخر تكليفًا منه سبحانه لعباده بالسعى إلى بناء وضع جديد مطابق لما يُبلغه سبحانه للعباد، ولما كان الوصول إلى هذه الدرجة المبدئية من المعنى لا يكفى للإحاطة بما وراء ذلك من التفصيل لم يكن هناك بد من استكشاف المزيد من المعلومات التى توضح طبيعة مادة البلاغ وطبيعة الوضع المطلوب، وكلاهما يلتمس فى نصوص القرآن الكريم.

دعنا إذن نلق نظرة على موضوع الرسالة وما أحاط معها بحياة الرسول ﷺ من ظروف وأحداث، عرف أهل مكة الرسول ﷺ بلقب الصادق الأمين بناء على أمور دفعتهم إلى تكريمه بمثل هذه الألقاب، من ذلك أن السيدة خديجة رضى الله عنها ائتمنته على أموالها وتجارتها وهو دون الخامسة والعشرين من عمره الشريف، فرحل لأداء هذه المهمة إلى الشام فى نفر من القائمين بمثل هذه المهمة. فلما عادت القوافل إلى مكة تحدث المشرفون على القوافل عما رأوه أثناء الرحلة ومن أحاديثهم ما تناول

سيرة محمد ﷺ بالثناء حتى رق قلب خديجة رضى الله عنها له وانتهى الأمر بزواجها منه وهو فى الخامسة والعشرين من عمره الشريف.

ومن ذلك أيضًا ما وقع له وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره حين أعادت قريش بناء الكعبة فلما بلغ البناء مستوى الحجر الأسود اختلف زعماء قريش فيمن يقوم بوضع الحجر الأسود فى مكانه من المبنى حتى كادوا يقتتلون للحصول على هذا الشرف، ثم اتفقوا على الاحتكام إلى أول قادم إلى الحرم فكان هذا القادم محمدًا ﷺ. فلما احتكموا إليه كان رأيه الذى ارتضوه أن يؤتى بثوب فيبسط ويوضع الحجر عليه ثم يمسك كل من هؤلاء بطرف منه ويتعاونوا فى حمله ونقله إلى قرب مكانه من المبنى ففعلوا وامسك الرسول بالحجر ووضعه بنفسه فى مكانه المعد له مع علامات الرضى والقبول من زعماء قريش، وهذا وغيره هو سر دعوته بالصادق الأمين.

ثم اعتاد ﷺ التوحد فى غار حراء ليخلو بنفسه للبعد عن عبادة الأصنام والتعبد على طريقة إبراهيم عليه السلام، فجاءه الوحى وهو بالغار وأقرأه ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾. ولقد غطه الملك فى هذه النزلة الأولى حتى بلغ منه الجهد. فذهب إلى بيته متعبًا وقص ما رآه وما سمعه على أهله فآمنت به خديجة وتبعها على بن أبى طالب وزيد بن حارثة ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم جميعًا. ثم انقطع نزول الوحى فلم يره ثلاث سنين فوجد المشركون فى ذلك فرصة للسخرية من النبى قائلين إن رب محمد ودعه وقلاه فحز ذلك فى نفس النبى وتألم أيما ألم. ثم نزل الوحى للمرة الثانية فطمأنه بسورة ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (أى أن هذه النزلة أفضل من النزلة الأولى وما صاحبها من ألم) ثم ساق له من الأدلة عددًا من المناسبات التى كانت ثوانيها خيرًا من أوائلها فقال: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ فإذا كان آواك من يتم فلا تقهر اليتيم وإذا كان هداك من ضلال فلا تنهر من جاء يسألك عن أمور الدين وإذا كان أغناك من عيلة فحدث بنعمة الله عليك. ثم أمره بأن ينذر عشيرته الأقربين.

كان أهل مكة على يقين من صدق الرسول وأمانته ويعلمون أنه إنما يبلغهم أمورًا جاء بها الوحى ولكنهم لا يريدون لهذا الدين الجديد أن يبطل تراث آبائهم المشركين لأن هذا التراث الوثنى وضعهم فى مستوى الزعامة بين القبائل العربية وأن الأجدر بمن ينقل حديث السماء أن يكون أحد الملائكة ومن ثم نجد سورة الفرقان تروى بعض ما قالوه بصدد اعترافهم بهذه الاعتراضات: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧]. وهم يقصدون بهذا الكلام لازم معناه أى ما لهذا الذى يدعى الرسالة ثم يفرز فضلات ما يأكل ويروج تجارة غيره فى الأسواق؟ ألم يكن الأولى به أن يكون معه ملك؟ وقد أجاب الله هذه الكناية بجواب يقصد به المعنى الصريح بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠]، لأن ذلك هو طبع البشر.

إن الله سبحانه وتعالى لا يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم، وكان محمد ﷺ من خير من يحسن استعمال لغة قومه والدليل على ذلك واضح فى نصوص السنة المطهرة. أما فى القرآن الكريم فإن لغة الوحى فى سموها وجمالها تكريم للرسول ليبين لقومه مطالب السماء. إن من يلقى نظرة على ما نزل من النصوص القرآنية على الرسول ﷺ ليجد هذه النصوص تدور حول ما يلى:

١ - الغيبيات:

وخير مثال للغيبيات ما تشتمل عليه سورتا الرحمن والواقعة من كلام عن درجات العباد يوم القيامة. ففى سورة الواقعة انقسم العباد بين ثلاث درجات،

يستحق كل منها جزاء خاصًا. هذه الدرجات هى: السابقون المقربون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال. وفى سورة الرحمن يبدأ التقسيم بالثقلين وهما الجن والإنس، ثم ينقسم كل منهما إلى ثلاث درجات أيضًا مع صرف التقسيم إلى أنواع الجزاء، يقول تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] أى أن إحداهما للجن والأخرى للإنس. ثم يذكر جزاء الدرجة التالية فيقول: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٢]. وهما لأصحاب اليمين من الطائفتين. أما أصحاب الشمال فقد جاء ذكرهم فى الواقعة ولم يأت لهم ذكر فى سورة الرحمن إلا عرضًا حين سماهم الله تعالى "المجرمين" ولم يمنحهم إمكان السؤال عن ذنوبهم لأنهم يعرفون بسيماهم. ثم يساقون كما تقول سورة الواقعة إلى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم.

٢ - آيات الله:

يرد ذكر الآيات فى القرآن الكريم على معنيين أولهما العلامات الدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى والثانى للدلالة على آيات القرآن الكريم.. ويأتى التفريق بين الدلالتين باقتران الآيات القرآنية بلفظ التلاوة أو التنزيل على نحو ما نجده فى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]. أما دلالة لفظ آية على معنى العلامة أو الدليل فذلك غالب فى النص القرآنى وبخاصة فى سورة البقرة والأعراف والأنعام ويونس والنحل والشعراء والروم وغيرها. هذا وقد يذكر لفظ آية مع إيرادها فى النص القرآنى وقد يكتفى بذكر المضمون دون إيراد اللفظ. مثال ذلك ما نجده فى سورة النمل من مضامين الآيات بعد قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩]. حيث يسوق النص عددًا من الآيات دون ذكر لفظ آية، وتلك هى: ﴿ خَلَقَ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ و﴿ جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ و ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ و ﴿ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ و ﴿ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ و (يعلم الغيب) إذ يقدم لكل واحدة من هذه الآيات بقوله "أم من فعل كذا" ثم يعقب على ذلك بقوله : "أ إله مع الله"؟

٣ - الدعوة إلى اتباع الإسلام والنهى عن الكفر:

وذلك فى سياق واحد. وقد أطلق القرآن الكريم على تلازم الأمرين باطراد لفظ "المثانى" التى اشتمل عليها القرآن الكريم وبخاصة ما اشتملت عليه فاتحة الكتاب. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧]، ويقول جل شأنه: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر: ٢٣]. فالمثانى فى فاتحة الكتاب تنبنى على التقابل بين الألوهية والربوبية كما تنبنى فى القرآن العظيم على التقابل بين طاعة الطائعين من العباد ومعصية العاصين وجزاء كل من الطائفتين فى مثنوية لا تتخلف. انظر إلى البيان التالى لما فى سورة الفاتحة:

الألوهية		الربوبية
	الله	
﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ الرحمن		﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الرحيم
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾		﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

وواضح من هذا البيان أن لفظ الجلالة "الله" شامل للوصفين، فهو إله ورب فى كل الأحوال.

٤ - سير القرون الأولى:

ومما ينتمى إلى مفهوم الرسالة أيضًا سير القرون الأولى وقصص الأنبياء

السابقين، وقد عد القرآن العظيم ذلك من أدلة صدق الرسول ورسالته فى الدعوة إلى الإسلام. فأورد بعد الانتهاء من سرد نصوص هذه السير إشارات تشير إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن مشاركًا فى هذه المناسبات ولا حاضرًا فى أثناء وقوع هذه الأحداث، وفى ذلك دليل على أن نص الحدث جاء عن طريق الوحى لا عن طريق الذاكرة. وذلك كما يلى:

* ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

* ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٤٩].

* ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

* ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

* ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٤].

* ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

* ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

* ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤].

* ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٤٥].

* ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦].

* ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

* ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

* ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ [ق: ٢٢].

* ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وآيات أخرى تدل على صدق دعوى الرسول ﷺ.

والرسالة بكل مالها من سمو ونبل هى وسيلة إلى غاية أهم منها هى النبوة أى العمل على بناء مجتمع إسلامى يتجاوب مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فمن الضرورى أن يجمع الإسلام بين عباد الله المسلمين فى مجتمع واحد وأن تتجه عناية الله سبحانه وتعالى إلى تنظيم هذا المجتمع فى ظل مصدرين لا مصدر واحد كما رأينا فى موضوع الرسالة هذان المصدران هما الكتاب الذى كما رأينا منذ قليل يشتمل على النصوص المباشرة الموجهة إلى الرسول ﷺ والمسبوقة بعبارة "يأيها النبى...." وإلى الذين آمنوا بندائهم أيضًا بالإجابة على أسئلة تبدأ الإجابة عليها بعبارة "قل..." وبعضها وارد ذهنيًا كالذى دعا إلى الإجابة عن سبب استغفار إبراهيم لأبيه [التوبة: ١١٤] فكأن سائلاً سأل: لماذا منع النبى أن يستغفر لعمه أبى طالب ولم يمنع إبراهيم عن الاستغفار لأبيه وكلاهما كان مشركًا؟ فجاء الجواب عن هذا السؤال الوارد.

من السور القرآنية التى عنيت ببناء المجتمع ما نزل من هذه السور بالمدينة المنورة على وجه الخصوص، ومن أهمها سورة البقرة وما اشتملت عليه من الأسئلة. ثم آل عمران والأنفال والتوبة والأحزاب والفتح والحجرات والمجادلة والطلاق والتحريم. وإلخ. وقد اشتملت نصوص بناء المجتمع الإسلامى على أمور أهمها الأخوة الإسلامية والأخلاق والجهاد والمعاملات والعلاقات الأسرية والأحداث والغزوات وأهل الكتاب والمنافقين. وهنا نتذكر مرة أخرى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] لنقول إن المقصود بهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يهدى عباده إلى التقرب منه والاعتراف بفضله وذلك بالحمد (الثناء) له إلها معبودًا وبالشكر له ربًا منعمًا (اللهم لك الحمد بما تعاليت ولك الشكر بما أوليت) ولم يشأ سبحانه أن يكلفهم أفرادًا بهذه العبادة بل فرضها على جموعهم ليكون عرف الجماعة فى الإقبال على العبادة وسيلة حفز للأفراد.

واقتضت حكمة الله تعالى أن يخرج آدم من الجنة ويجعله وذريته خلفاء له فى الأرض، ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف: ٢٤]. أى وحياة قصيرة. هذه العداوة المشتركة المتبادلة ألقت بظلها بين بنى آدم والشيطان، كما كان لها أثر مشابه بين بعض بنى آدم وبعضهم الآخر. فجعل الله من وسائل صلاح الخلافة أن يكلف الله رسله من بنى آدم بالعمل بواسطة الوحى والرسالة على تكوين مجتمعات إنسانية ليكون الناس فى هذه المجتمعات أطوع لأوامر الله وأكثر ترحيبًا بعبادته. ولقد شاءت إرادة الله سبحانه أن يجعل هذه الحياة الدنيا متاعًا (إمهالاً إلى أجل معلوم) سريع الزوال مبنيًا على اختبار قدرة الفرد من بنى آدم على الطاعة والوفاء بتنفيذ أحكامه. فإذا لم يقبل الإنسان على الطاعة كان من حصب جهنم. فإذا طلب رحمة الله قال له خزنة جهنم: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧]. ثم استقر هذا المذنب فى النار خالدًا فيها أبدًا. أما نزيل الجنة فإنه يظل فى نعيمها خالدًا فيها أبدًا. فالحياة الآخرة حياة خلود بالنسبة للطرفين، والحياة الدنيا قصيرة زائلة بالنسبة إليهما، أو على الأصح هى فترة الاختبار التى تنتهى بالنجاح أو الرسوب، والتى من أجلها جاءت الخلافة فى الأرض.

فالرسول داع بالرسالة إلى العبادة، والقرآن سجل الرسالة الذى يميز بين ما يرضى الله ومالا يرضيه ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (من الكتب السابقة) ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وكلا الرسول والرسالة مسخر لبناء المجتمع المسلم والحرص على بقائه وحمايته، ولقد قدر الله سبحانه أن يكون القرآن خاتم الكتب وأن يكون محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، لأنه أيضًا مصدق ومهيمن.

ويبقى لنا أن نستعرض ما فى سور القرآن الكريم من مخاطبة النبى. ودعوته إلى بناء المجتمع الإسلامى. جاء الإسلام وفى شبه جزيرة العرب طائفتان من الناس، أولاهما غالبية عظمى من المشركين الذين يعبدون آلهة غير الله ويعدون آلهتهم

شركاء الله، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨] ومن هذه الفئة من ادعى الإسلام زورًا وهم المنافقون. والفئة الثانية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يتبعون كتبًا غير القرآن، وقد صدق القرآن كتبهم وكان مهيمنًا عليها، فأما موقف النبوة من أهل الكتاب فقد لخصه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وأما الفئة المشركة (الكافرون والمنافقون) فقد قال الله تعالى فى حقهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣] وقال أيضًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب: ١] وقال كذلك: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٨]. أى لا تخف إيذاءهم إياك لأن الله حافظ لك منهم، ولعل فى هذه الآيات ما يوضح اختلاف نظرة الإسلام إلى أهل الكتاب عنها إلى الكافرين والمنافقين. وفيما يلى شواهد من مختلف السور القرآنية موجهة إلى النبى ﷺ بأحكام تعينه على بناء المجتمع الإسلامى الفاضل. كان توجيه الله سبحانه وتعالى للنبى على النحو التالى:

البقرة: أسئلة وإجابات عن الأهلة والنفقة والخمر والمحيض والعلاقات الأسرية وظواهر اقتصادية كالربا وكتابة الدين.

آل عمران: العزاء عن الهزيمة التى وقعت فى غزوة أحد.

النساء: المواريث والعلاقات الأسرية والقتال.

المائدة: المأكولات المحرمة علاقات الولاء والعداء.

الأنعام: آداب الطعام.

الأعراف: قل من حرم زينة الله.

الأنفال: مخلفات غزوة بدر من توزيع الغنائم والتحريض على القتال ومعاملة الأسرى.

التوبة: مخلفات غزوة تبوك من معاملة المشركين والمواقيت والعهود والمنافقين وطوائف الأعداء والمخلفين ومسجد الضرار.

النحل: الوفاء بالعهد والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن

الإسراء: وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا.

النور: حد القذف والزنى وآداب الزيارة والاستماع إلى الرسول.

الفرقان: اتهامات وردود وذكر لعباد الرحمن.

العنكبوت: آداب الجدال مع أهل الكتاب.

لقمان: وصايا وأداب.

الأحزاب: الدعوة إلى عدد من الإصلاحات مع توجيه النداء للنبي.

محمد: قتال الذين كفروا وتنديد بالبخل.

الحجرات: آداب عامة.

المجادلة: الظهار والنجوى والتفسح والولاء.

الحشر: الفيء.

الممتحنة: الولاء.

التغابن: تحذير من تأثير الأزواج والأولاد والفتنة.

الطلاق: أحكام الطلاق.

التحريم: مجاهدة الكفار والمنافقين وعدم طاعة الحلافين.

المزمل: أمر بمباشرة العبادة بالليل.

المدثر: أمر بمباشرة الدعوة والإنذار.

القيامة: عدم التسرع فى القراءة.

عبس: عتاب ونصح.

هذه هى مهمة النبوة، وكلها تنصب على بناء المجتمع الإسلامى وتمثل أنشطة فى الحياة العامة ووسائل النجاح والعزة.

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

رب يوسف (عليه السلام)
كما يفهم من القرآن الكريم

ورد لفظ "رب" فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ربما كان أوضحها وأكثرها تنوعًا فى الدلالة ما اشتملت عليه سورة يوسف (عليه السلام). ففى السورة المذكورة يرد لفظ "رب" ليدل حينًا على الله سبحانه وتعالى أو يدل على العزيز الذى اشترى يوسف بثمن بخس دراهم معدودة وتارة على الملك الهكسوسى الذى جعله على خزائن الأرض. كان يوسف عندما اشتراه العزيز حدثًا لم يتجاوز مرحلة الطفولة، ولهذا كانت توصية العزيز لامرأته أن تكرم مثواه لعله يكون فى المستقبل نافعًا للأسرة أو فى مقام الولد للعزيز وزوجته. وظل يوسف ينمو حتى بلغ مرحلة الشباب ليكون حسن الطلعة قوى البنية رضىَّ المعشر يدعو من يراه إلى الإعجاب به والرغبة فى القرب منه، ولم تكن امرأة العزيز عندئذ قد جاوزت مرحلة الشباب وإن كانت أكبر سنًا من يوسف الذى كانت فى استقباله وهو طفل ليكون (حسب وصية العزيز) فى رعايتها. لقد منحته امرأة العزيز عندئذ قبولاً وحنانًا، أما بعد نموه وبلوغه مرحلة الشباب فقد تحول القبول إلى الرغبة والحنان إلى الحب، حتى لقد فطنت جاراتها إلى ذلك فتنا قلن سيرتها فقلن: ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٠]. ويشير هذا القول من النسوة إلى أن الأمر لم يتجاوز المراودة وأن يوسف رافض لما تريده امرأة العزيز، حتى جاء اليوم الذى تسجل وقائعه سورة يوسف، فكان ما يلى:

١ - قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

ويلاحظ هنا ما يلى:

* أن المقصود بلفظ "الرب" هو العزيز الذى كان قد أمر زوجته أن تكرم مثواه.

* أن الهاء التى تكررت فى قوله "إنه" مرتين فى الآية تدل على الشأن فيهما. فكأنه يقول: هناك أمران يحولان دون الاستجابة أولهما: أن سيدى أكرم مثواى فلا ينبغى لى أن أسىء إليه، والثانى أن الظالمين لا يفلحون.

* المقصود بلفظ "الرب" فى هذه الآية هو العزيز.

٢ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

ويلاحظ هنا ما يلى:

كان يوسف فى الوقت الذى تتكلم فيه عنه هذه الآية أصغر سنًا من أن يوصف بالنبوة، ومن ثم لم يكن معصومًا من الوقوع فى الخطأ. فإذا قال النص "وهم بها" فلا حرج فى اعتقاد ما قيل، ولكن عناية الله بالصالحين من عباده يسرت ليوسف أن يرى ما يدل على وجود العزيز خارج الباب يكاد يفتحه ليدخل بيته، إذ «ألفيا سيدها لدى الباب» وكان ذلك عندما كاد يوسف يضعف ويستجيب لرغبة المرأة. فلولا أن رأى البرهان على وجود ربه (أى العزيز) بالباب لهم بها. ولذلك دلالة على أمرين:

* الأول أن المقصود بربه فى هذه الآية هو العزيز.

* والثانى ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾.

فالأمر إذن ليس أمر عصمة وإنما هو توفيق من الله لأحد عباده المخلصين (بفتح اللام).

٣- قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ [يوسف: ٢٥ -٢٦].

وفى هذه الآية ما يلى:

* دليل على ما فهمناه من عبارة "برهان ربه"، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾.

* تضارب اتهام زوجها لها وادعاؤها بعد أن سُقِط فى يدها أن الإهانة لم تكن موجهة إليها هى وإنما كانت موجهة إليه هو من خلال العدوان على أهله.

٤- قال تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٢٦ - ٢٩].

ولدينا هنا ما يلى:

* واضح أن العزيز كان أرجح عقلاً من أن يقبل كلامها على علاته. فلقد قام بعملية سبر وتقسيم للمواقف انتهى بها إلى معرفة الكاذب والصادق من الخصمين. عندئذ طلب إلى يوسف أن يُعرض عن ذكر الأمر فلا يخبر أحدًا عن ما كان. ثم أقبل على امرأته يطلب منها الاستغفار عما ارتكبت من ذنب يعلم الناس أنه أحد خطايا النساء إذ قال لها: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾.

* كان قول العزيز لامرأته: ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ يعنى أنها ارتكبت خطيئة لا خطأ، فلو أراد الخطأ لقال: من المخطئين.

٥- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٠].

ما كان لهؤلاء النسوة أن يعلمن بما يحدث من امرأة العزيز لولا علاقة الجوار، فهن جاراتها دون شك. وكما يحدث من الجارات دائمًا بادر هؤلاء النسوة بإذاعة هذا الخبر حتى انتهى إلى سمع امرأة العزيز.

٦ - قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣١ - ٣٢].

رددت امرأة العزيز إنذارها ليوسف بالسجن إلا أن يستجيب لرغبتها معلنة إصرارها على هذا الموقف، وأعانها على هذا الإصرار ما رأته من افتنان النسوة بجمال يوسف حتى لقد أحدثن بأيديهن جروحًا أثناء تقشير الفاكهة التى قدمت لهن بعد قول امرأة العزيز ليوصف ﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ أى قدم لهن الفاكهة.

أما العزيز فقد تذكر ما كان من مطالبته ليوسف أن يعرض عن كشف المستور من هذه الفضيحة، فذهب به الظن إلى أن يوسف هو الذى لم ينفذ ما طلب منه وأنه هو الذى سرب الخبر. وهكذا رأى أن ينفى الفضيحة عن أهل بيته بإلقاء الجريرة على يوسف، وخطر بباله ما تكرر من وعيد امرأته ليوسف بالسجن فبدا له أن يلقى به فى غياهب السجن وأن يبقيه به مدة غير طويلة بمقدار ما تسمح للناس بنسيان هذه القصة. ولكن العزيز لم يجعل صلب القضية الداعية لسجن يوسف ما وقع بين يوسف وزوجته وإنما جعله ما وقع للنسوة اللاتى قطعن أيديهن افتتانًا بجمال يوسف. ويبدو أن العزيز أعلن ليوسف هذا القرار فكان رد يوسف على ذلك قوله: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٥].

٧- قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٦- ٣٨]. ثم شرع يوسف بعد ذلك في تأويل ما رآه الفتيان فقال: ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف: ٤١ – ٤٢].

يلاحظ على ما جاء فى هذه الآيات ما يلى:

* أن زميلى السجن رأيا لسبب ما أن يوسف قادر على تأويل الرؤيا فطلبا منه تأويل ما رأوا.

* أن يوسف أعلن عن استعداده لذلك ثم بدأ فى الإعلان عن دين آبائه لأول مرة وكأنه يتوقع من الزميلين أن يبوحا بذلك فيعلم الناس قدره وما أصابه من ظلم.

* ويدل على هذا الجانب الأخير قوله للناجى من الفتيين: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ أى عند الملك

٨- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ

وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٢-٤٦].

يلاحظ فى سياق هذه الآيات ما يلى:

* تأكيد ما سبق من قوله جل شأنه: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ وذلك بقوله هنا: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ أى تذكر بعد فترة من الزمن.

* كـان الملك من ملوك الهكسـوس، ولو كان من الفراعنة لاتخذ فى حاشيته منصب موظـف خاص بتفسير الأحـلام (كما يمكن أن يتوقع من الثقافة الفرعونية). ولـمَّا عمم الدعـوة للمـلأ ثـم لما كـان هـناك ما يدعـو لقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾.

* هناك جملة محذوفة قبل نداء المسجون السابق ليوسـف هى "فأرسـلوه فقال مناديًا له:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾.

٩- قال تعالى على لسان يوسف:

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩].

فى هذا التأويل من التفصيل الزمنى والعملى ما يتجاوز طابع تفسير الرؤيا وما

يدل على أن من قاله ليس شخصًا من غمار الناس. ولقد أدرك الملك ذلك فاتخذ القرار التالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ [يوسف: ٥٠].

جاء رسول الملك إلى يوسف يدعوه إلى لقاء الملك فتذكر يوسف ما يلى مما مر به من الأحداث:

* قول العزيز لامرأته: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.
* وقوله لها ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾.
* جراح أيدى النسوة اللاتى كن فى ضيافة امرأة العزيز.
* بلوغ مدة السجن زمنا أطول من المطلوب لنسيان الواقعة والذى وصف بعبارة "حتى حين".
* فأثار ذلك عتبًا فى نفسه على العزيز الذى أعطاه من الأمل غير ذلك فلم ير يوسف بأسًا فى أن يرد الرسول إلى (ربه) قائلاً:

﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠]. والمقصود بالرب هنا هو العزيز الذى قال لامرأته: "إن كيدكن عظيم".

١٠ - دعا الملك النسوة فجيء بهن فسألهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٥١].

ولم يكن للنسوة علم بما اشتملت عليه الشكوى التى تقدم بها العزيز. فكان جوابهن:

﴿حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: ٥١].

وهنا صحا ضمير امرأة العزيز فقررت أن تبوح بما خفى من الأمر فقالت: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ

لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥١-٥٣].

وهنا ينتهى فصل من فصول قصة يوسف ويبدأ فصل آخر هو فصل رجل الدولة. وقد جاء تفصيل ذلك الشأن فى كتابى "البيان فى روائع القرآن".

وملخص ما سبق أن لفظ "رب" كما ورد فى سورة يوسف قد يراد به الله سبحانه وتعالى، وقد يراد به العزيز الذى اشترى يوسف من جماعة السيارة، وقد يراد به الملك.

دراسات فى تراكيب النص القرآنى

مقدمة: أولاً القرآن:

القرآن الكريم رسالة الله إلى عباده أوحى بها إلى بشر ممَّن خلق وشرَّف يحملها رجلاً خصه من بين عباده بالأمانة وطهارة القلب واللسان فكان هذا الرجل محمدًا ﷺ، وكان العرب فى جاهليتهم يرفعون الفصاحة مكانًا عليًا ويجودون من استعمالهم للغة ويربطون بين القدرة اللغوية وبين المرؤة والسيادة بين النساس حتى لقد كثر فيهم الخطباء اللسن والشعراء الفحول وفرسان الكلمة فى كل محجة من محجات الحياة. ولم تكن العرب أمة قارئة ولا كاتبة فحين أراد الناس أن يحتفظوا بذكريات أمجادهم أن تضيع مع الأيام والليالى شحذوا حوافظهم وذواكرهم لاستيعاب هذه الأمجاد بعد أن صاغوا تاريخها أجمل صياغة شعرية أو غير شعرية، ثم كان من بينهم الحاذقون فى نقد الكلام يفضلون بعضه على بعض بفكرة آبدة أو عبارة ناصعة ومن ثم لم ير المقاويل بدا من حسن الإعداد واختيار ما يرون من الكلام أنه أولى بالتداول بين الناس.

وحين أرسل الله تعالى رسله فى أمم قد خلت قبل نبينا عليه الصلاة والسلام زود كل رسول من رسله بمعجزة يؤيده بها لأنها خارقة للسنن المشهورة ولقوانين الحياة المألوفة أو لأنها عقوبة أنزلها على المكذبين بهذا الرسول. ولقد نبأنا الله من أخبار هؤلاء الأنبياء ومعجزاتهم فى مواقف كثيرة من النص القرآنى فعرفنا طوفان نوح وريح عاد وناقة صالح ونار إبراهيم وخسف قرية لوط ونجاة يونس من الحوت

وإخلاف أيوب عمن هلك من ولده وضاع من صحته ولكن ثلاثة من الرسل اختصهم الله بمعجزات من جنس ما برع فيه أقوامهم وأولئك هم أصحاب الكتب المنزلة: موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. فأما موسى فقد أرسله الله إلى فرعون الذى كان يزعم أنه إله معبود وأن له كهنة يستطيعون أن يسحروا أعين الناس ويسترهبوهم وأن يأتوا بسحر عظيم ما نزال تسمع عنه فى عبارات مثل "لعنة الفراعنة" أو إقامة "رصد" على كل كنز من كنوزهم فمن قدر له أن يفتح هذا الكنز أصابه الرصد بمكروه وهذه أمور يشيع تصديقها حتى فى أوساط المثقفين والمشتغلين بعلم المصريات. فلما أعطى الله موسى معجزة اختار له تلك على صورة يظن الناس أنها سحر وما هى بسحر إن هى إلا تأييد من الله نصربه موسى ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾. وأما عيسى فقد أرسل فى زمان الدولة الرومانية وكان الرومان قد ورثوا علم اليونان بالطب وأضافوا إليه معارفهم هم فبرعوا فى الطب فاختار الله لعيسى معجزة يظن من يراها أنها براعة فى الطب وما هى بذلك أن هى إلا تأييد من الله لعبده عيسى فكان يبرئ الأكمة والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله وينبئ الناس بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم ويخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله. فكيف أيد الله نبينا محمد بمعجزة من جنس ما برع فيه قومه؟

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤] والنبى ﷺ خاطب قومه بلسانهم العربى. ولو وقف به الأمر عند هذا الحد فجاء القرآن نصا عربيًا عاديا لما كان هناك مما يستحق أن يلفت انتباهًا أو يثير عجبًا أو يبعث فكرة أو يشخذ قلمًا. ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، لأن هؤلاء العرب الذين كانوا كما ذكرنا يعتزون بقدرتهم على التفوق والتحليق فى أجواز الفصاحة والإتيان بما يستحق الخلود من القول وقفوا مبهوتين أمام نص القرآن، فلقد وهب الله محمدًا القرآن وجعله معجزة له من جنس ما برع فيه قومه. ومعنى أن القرآن معجزة أنه لا يمكن لبشر أن يأتى بمثله مهما أوتى من البلاغة والدليل على

ذلك أن الحديث الشريف وهو من كلام أفصح العرب على الإطلاق محمد رسول الله ﷺ لا يرقى إلى طبقة الفصاحة القرآنية ولا يدانيها فما بالك بمن هم دون رسول الله فى الفصاحة من سائر العرب. فما المقصود بعبارة "إعجاز القرآن"؟ ذهب بعض العلماء إلى أن الإعجاز باللفظ (والمراد التراكيب والأساليب) وذهب بعضهم إلى أن الإعجاز بالمعنى (لما فيه روائع الحكم وجوامع الكلم وتشريع الأحكام وتنظيم العلاقات بين العبد وأخيه والعبد وربه) وجمع قوم بين اللفظ والمعنى فقالوا إن الإعجاز بهما. وذهبت طائفة إلى أن الإعجاز بالصرفة (أى يكون الله تعالى قد صرف الناس عن الإتيان بمثل القرآن) وهو قول يتنافى مع حقائق التاريخ لما عرفناه من أن بعض مدعى النبوة جاءوا بكلام تاقوا به إلى تقليد القرآن وإلى أن بعض ضعاف العقائد فى صفوف المسلمين أنفسهم بدا عليهم (وأن لم يصرحوا بذلك) أنهم يحاولون هذه المحاولة الفاشلة فإن لم يكونوا حاولوا فقد اتجهت إليهم التهمة على الأقل. بما بدا من أحوالهم والله يغفر لمن يشاء والله واسع عليم.

ولما كان موضوعنا الذى نحاول إلقاء الضوء عليه هو دراسات لغوية وأدبية فى القرآن والحديث. فإن حظنا من دراسة القرآن سيكون مقصورًا على اللغة (المفردات والتراكيب) والأدب (الأساليب) وذلك ما سنجده إن شاء الله فى الصفحات التالية.

١ - الفاصلة القرآنية:

حين سمع الكافرون من عبدة الأصنام تلاوة القرآن لأول مرة حاروا فى أمر القرآن فلقد كانوا يعرفون من ضروب الكلام فى أيامهم الشعر والخطب والسحر وسجع الكهان ولم يكن القرآن فى تركيبه وأسلوبه يشبه واحدًا ولا أكثر من واحد من هذه الأضرب ولكنهم لم يدعوا للقرآن أنه من قبيل الخطابة لأن الرسول لا يقوم بالقرآن خطيبًا بينهم ولم يجعلوه من سجع الكهان للوضوح الناصع فى العبارة القرآنية والغموض الملبس فى معظم سجع الكهان. فلم يبق لغلوهم فى القرآن إلا

أن يلتمسوا له نسبًا يربط بينه وبين السحر حينًا ثم بينه وبين الشعر حينًا آخر. قالوا أن القرآن سحر لأنه يفرق بين المرء وعشيرته فالمسلمون من سحره يقطعون الوشائج بينهم وبين أولى أرحامهم فيستحبون المؤمنين من غير أقربائهم على الكفار من أهليهم وكان السحر بزعمهم هو الأمر الوحيد الذى يصل ويقطع على هذا النحو فاتهموا القرآن بأنه قول ساحر. ثم وجدوا فى الشعر قوة العبارة والتصرف فى التراكيب وفحول المعنى وشجاعة الأخيلة وسمو الجمال كما وجدوا له وزنًا وقافية. ولقد تخيلوا فى القرآن مشابه من ذلك فادعوا أنه شعر وأن محمدًا عليه السلام شاعر. وسنحاول هنا أن نقصر كلامنا على ما غَمَّرَهُمْ من أمر الفاصلة القرآنية فنفردها ببعض القول ونحاول أن تبرز من صفاتها وطرقها ما يوضح خصائصها التى تباعد بينها وبين خصائص الشعر:

إذا نظرنا فى الكلام العادى بأية لغة وجدنا لهذا الكلام إيقاعًا يتميز به عن الكلام بلغة أخرى ويعود هذا الإيقاع إلى أن مجرى السياق يشتمل على مقاطع يقع عليها النبر ومقاطع أخرى لا يقع عليها والنبر إظهار أحد المقاطع فى الكلمة للسمع يجعله أعلى وأوضح فى الأذن من المقاطع الأخرى فى الكلمة ذاتها فإذا سمعنا كلمة "معهد" وجدنا الميم المفتوحة أوضح فى السمع من بقية الكلمة مثلها كمثل اللام المضمومة فى "اللغة" والباء المكسورة فى "العربية" وهكذا تشتمل عبارة "معهد اللغة العربية" على ثلاثة مقاطع منبورة يكتنف كلا منها مقاطع أخرى أقل وضوحًا فى السمع. وإنما يأتى الإيقاع من تشابه المسافات بين النبر والنبر. أقول "التشابه" ولا أقول "التطابق" لأن التطابق من خصائص الوزن والوزن إنما يكون للشعر. والنبر فى القرآن "متشابه" يأتى عنه الإيقاع وليس متطابقًا فلا يجيب مطالب الشعر الموزون. والمعروف أن الإيقاع يختلف قربًا وبعدًا من الغاية الفنية للنص فمن الكلام ما تتقارب فيه المسافات بين النبر والنبر يثير فى النفس هزة ذرقية وفنية لا يثيرها كلام آخر تختلف به المسافات المذكورة اختلافًا كثيرًا، اقرأ قوله تعالى:
﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾

[الرعد: ١٧]. واحسب المسافة المقطعية ميم "السماء" وميم "ماء" وسين "سالت" وهمزة "أودية" وقاف "قدرها" إلخ واستشعر فى نفسك جمال الإيقاع وستجده إن شاء الله. ولكن هذا الإيقاع على جماله ما كان له أن يعد وزنًا وما كان لأذن أن تخطئ فى التمييز بينه وبين الوزن، ومن هنا لم تكن دعوى الكافرين بأن القرآن شعر منصبة على نسبة الوزن إلى القرآن.

ففى الشعر إلى جانب الوزن قافية. وتقفية الشعر تتطلب تطابق خواتيم الأبيات من الناحية الصوتية وقد جعل الالتزام بالقافية جزءًا من "عمود الشعر" الذى لا يكون الشعر شعرًا بدونه كما أن البيت (أى الخيمة) لا يكون بيتًا إلا بها يعتمد عليه من عمود وعماد. وللقرآن خواتيم للآيات متشابهة من الناحية الصوتية تسمى "الفواصل" استمع الكافرون إليها فغرتهم عن ملكاتهم وأذواقهم فربطوا بالباطل بينها وبين القوافى ثم ادعوا أن القرآن قول شاعر. وأن المتأمل فى الفاصلة القرآنية ليرى فارقًا عظيمًا بينها وبين القافية يمكن تلخيصه على النحو التالى:

أولاً: تتطلب القافية التطابق التام بين عدد من الحروف فى آخر البيت اقرأ مثلاً قصيدة شوقى:

سلوا قلبى غداة سلا وتابا ... لعل على الجمال له عتابا

وسترى أن القافية هنا مكونة من "ألف وباء وألف" وأن ذلك يلتزم فى نهاية كل بيت فلا يقبل فى القصيدة بيت إذا كانت نهايته "بيا" أو "وبا" أو "أنا" أو "أبى" أما الفاصلة فلا تتبنى على شئ من ذلك. فإذا قرأت سورة الحج مثلاً وجدت فواصل الآيات تنتهى بكلمات لا تقفية بينها وهذه الفواصل بالترتيب هى:

عظيم ـ شديد ـ مريد ـ السعير ـ بهيج ـ قدير ـ القبور ـ منير ـ الحريق ـ للعبيد ـ المبين ـ البعيد ـ العشير ـ ما يريد ـ ما يغيظ ـ من يريد ـ شهيد ـ ما يشاء ـ الحميم ـ الجلود ـ حديد ـ الحريق ـ حرير ـ الحميد ـ أليم ـ السجود ـ عميق ـ الفقير ـ العتيق ـ

الزور ـ سحيق ـ القلوب ـ العتيق ـ المخبتين ـ ينفقون ـ تشكرون ـ المحسنين ـ كفور ـ قدير ـ عزيز ـ الأمور ـ ثمود ـ لوط ـ نكير ـ مشيد ـ الصدور ـ تعدون ـ المصير ـ مبين ـ كريم ـ الجحيم ـ حكيم ـ بعيد ـ مستقيم ـ عقيم ـ النعيم ـ مهين ـ الرازقين ـ حليم ـ غفور ـ بصير ـ كبير ـ خبير ـ حميد ـ رحيم ـ كفور ـ مستقيم ـ تعملون ـ تختلفون ـ يسير ـ نصير ـ المصير ـ المطلوب ـ عزيز ـ بصير ـ الأمور ـ تفلحون ـ النصير.

ويتضح من ذلك أن الفواصل القرآنية لا تعتمد على التقفية ولا تلتزمها لأن نهاية الفاصلة قد جاءت على حروف مختلفة على النحو التالى:

اء = ١	و ب = ٢
يج = ١	ود = ٣
يد = ١٢	ور = ٨
ير = ١٧	يق = ٦
يم = ١٢	ون = ٦
ين = ٦	يظ = ١
يز = ٢	وط = ١

وليس الأمر مقصورًا على سورة الحج بل أنك لتجد الفاصلة لا تلتزم فى صور القرآن بصورة عامة فإذا التزمت لم يلتزم منها ما يصلح أن يكون تقفيه وإنما تحرص الفاصلة على اتجاه صوتى عام وليس على أصوات بعينها. فقد تلتزم الفاصلة مدا ضيقًا (واوًا أو ياء) متلوّ بحرف أنفى (ميم أو نون) كما فى يونس والحجر والنحل والمؤمنون أو تلتزم مدًا ضيقًا فقط ويأتى ما بعد المد غير مقيد كما فى لقمان والسجدة وقد تلتزم ألفًا مطلقة كما فى الكهف والأحزاب والفتح والطلاق والجن والمزمل والدهر وقد تلتزم ألفًا مقصورة كما فى الأعلى والليل أو ألفًا تتلوها الغُنَّةُ الأنفية

مطلقًا كما فى الرحمن أولاً يكون ثمة التزام للفاصلة وذلك ما نجده فى الأغلب الأعم من سور القرآن الكريم. ولا تجد واحدًا من الأمور التى التزمتها الفاصلة يصلح أن يكون قافية. قالوا والميم فى الشعر لا تتناسب مع الياء والنون وكذلك لا يكفى للقافية أن تعتمد على وجود المد الضيق قبل الحرف الأخير من البيت مع حرية اختيار هذا الحرف الأخير فكلمة "إدريس" لا يصلح لقافية فيها "نوح" ولو كان ما قبل الآخر فيهما مدًا ضيقًا. وكذلك لا يكفى للقافية أن يكون الحرف الأخير ألفًا مطلقة فلا يجتمع فى قوافى القصيدة الواحدة أن تستعمل "عجبا" و"هسا" أو "تسلما" و"كثيرا" أو "رحيما" و"عزيزًا" كما فى سورة الأحزاب. ومغزى كل هذا أن مطالب الفاصلة تختلف اختلافًا تامًا عن مطالب القافية.

ومع ذلك تأتى الفاصلة فى نهاية الآية لتحقق للنص جانبًا جماليًا لا تخطئه الأذن لأنها على أى حال تضفى على النص نوعًا من النظام والتقسيم إلى فقرات تتفق فى الكثير من الأحيان مع مكان الوقف وتتفق أكثر من ذلك مع أطوال نفس القارئ وتمنح أذن السامع إحساسًا بالوصول إلى مرحلة على طريق متواصل تحف به من الجانبين روائع المعنى وروائق الإيقاع. وقد تكون الفاصلة جزءًا لا يتجزأ من الكلام السابق نحو: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤ -٧٩]. فكل آية تنتهى بكلمة وثيقة الصلة النحوية

بما قبلها وشديدة الارتباط المعنوى به أيضًا، فكلمة "مفسدين" حال مما سبقها ولفظ "مؤمنون" خبر إن وكذلك الحال فى "كافرون" وهكذا. ولكن الفاصلة قد تأتى أيضًا بعد تمام المعنى فتكون تذييلاً للآية أو تعليقًا على محتواها كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٢ –١٥٥]. فقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ إنما جاء بعد تمام المعنى فكان تذييلا للآيات أكسبها جمالا وحدد معالم كل آية على حدة لتتميز كل آية منها عن الأخرى وإبراز ما لها من مضمون خاص.

والملاحظ أن هناك انسجامًا وتآلفًا بين مضمون الآية ومضمون التذييل فليس فى القرآن آية مضمونها العقاب تنتهى بتذييل يدل على الوحدة وليس فى القرآن من آية فيها رضوان من الله على المؤمنين تنتهى بتذييل ينص على أن الله شديد العقاب وهلم جرا.

يتكلم البلاغيون عن أغراض التقديم والتأخير فيوردون من ذلك عددًا يتجه كله تقريبًا إلى رعاية مطالب المعنى ولكننا ربما لمحنا فى القرآن تقديمًا وتأخيرًا لرعاية مطالب الفاصلة فيحدث من اختلاف الرتبة بين الكلمات فى السياق ما يجعل الكلمة الأخيرة من الآية منسجمة مع الفواصل المحيطة بها. وقد يكون هذا بتقديم الجار والمجرور عن متعلقة كقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣]. أو قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] أو تقديم المفعول على الفعل كما فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٧]. بل أن ذلك ليبدو أوضح ما يكون إذا نظرنا إلى قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨] ووضعنا إزاءه قوله فى سورة النساء: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦، ١٥٥] بل إن الأحداث التاريخية قد يتقدم منها فى الذكر ما تأخر فى الزمن وقد يحدث عكس ذلك وكلاهما لمناسبة الفاصلة كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤].

فلقد تقدم عيسى فى الآية على هرون وتقدم سليمان على داود صاحب الزبور وجاء فى آخرهم موسى الذى كلمه الله تكليمًا.

وقد يتخذ الطباق أو المقابلة صورة ملائمة للفاصلة. فإذا وضعنا "صدقت" فى أحد طرفى الطباق توقعنا أن يكون الطرف الثانى "كذبت" ولكننا نقرا فى الآية الكريمة ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٧]. ومثل ذلك أننا إذا وضعنا فى أحد الطرفين لفظ "تهتدى" توقعنا فى الطرف الآخر لفظ "تضل" ولكننا نرى الآية الكريمة تأتى على صورة أخرى وهى: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٤١]. وربما كانت الحكمة فى هذا

التعبير مزدوجة بمعنى أنها راعت أمرين أولهما الفاصلة والثانى أن مجرد عدم الاهتداء للعرش أيسر من أن يوصف بأنه ضلال لأن الضلال أقوى دلالة على الزيغ الملابس للعناد ولذلك كثر وصف الكفار به ونحن نعلم من سياق النص أنها تابت وأقرت بأنها ظلمت نفسها وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

والمعروف أن القرآن يتسع للنحو ولا يتسع له النحو لأن النحو مجاله ما اطرد من الاستعمال اللغوى وأما القرآن فيهيمن على اللغة كلها ما اطرد منها وما لم يطرد. هذا من جانب وهو من الجانب الآخر سنة متبعة لأنه مروى عن النبى ﷺ الذى تلقاه عن جبريل عليه السلام وقد رواه الصحابة والتابعين ومن تبعهم بالتواتر فما كان من القرآن فوق قواعد النحو فهو بلسان عربى مبين وإن تحدى القاعدة التى وضعها النحاة وقد يكون هذا التحدى فى غير الفاصلة كما سنرى فيما بعد وقد يكون فى الفاصلة ذاتها. والمشهور فى الاستعمال النحوى (المتفق مع القواعد) أن الألف المطلقة فى نهاية النطق (أى فى الوقف) تنوب عن الفتحة مع التنوين ومن ثم يخلو الاسم المختوم بها من "أل" لأن حرف التعريف يتنافى مع التنوين فى الكلمة الواحدة. ولكن منذا الذى لا ينزه القرآن عن قيود النحاة وهو يعلم أن اللغة العربية أوسع من صنيع النحاة بدليل أنهم هم أنفسهم اعترفوا بطرق استعمال فصيحة خارج قواعدهم سموها القليل أو النادر أو الشاذ واشتمل منهجهم على قاعدة تقول: "الشذوذ لا ينافى الفصاحة"[1]. إذا عرفنا هذا فإننا لا ينبغى أن نسلط قواعد النحو على قوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: ١٠]. وقوله: ﴿ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٦] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

ولقد تتعدد الفاصلة فى آيات متتابعة ومعناها مع التعدد واحد أو شبه واحد،

---

(١) فيض نشر الانشراح من روض طى الاقتراح لابن الطيب الشرقى ص ٢٣-١٢٤. مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط رقم د ١٩١٥.

وذلك لغرض من التعدد لولاه "لأجزأت عن جميع ذلك فاصلة واحدة. مثال ذلك أن المؤمنين لا يؤمنون إلا وقد أيقنوا بما آمنوا به ولا بد أن يكون ذلك عن تدبر ودلالة عقلية ومن ثم فهم يعقلون. ومعنى ذلك أن: ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ و﴿ يُوقِنُونَ ﴾ و﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ و﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ وهذه الفواصل الأربع تتوالى فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٣-٦].

فهذه الآيات أو الدلائل ساقها الله لمن كان له عقل يوصله إلى اليقين والإيمان وإذا لم يهتد بها الناس فبأى حديث بعد ذلك يؤمنون، ومغزى كل ذلك أن التعدد فى الفواصل إنما جاء لسلب الإيمان واليقين والعقل عن الكفار مع كثرة البراهين والآيات المحسوسة ذات الدلالات الواضحة بل على الرغم من هذه البراهين والآيات.

إن بعض الفواصل القرآنية يأتى قبل أن تستكمل الجملة عناصرها النحوية استصحابا للطابع النغمى وحفاظًا عليه أن يتخافت بسبب طول الجملة وليكون أداء الفاصلة غرضها أبلغ وأتم انظر على سبيل الشاهد إلى قوله تعالى فى فاتحة الكتاب: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٣-٤] أو قوله فى سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢-٣].

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ

كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٧-١٩]. أو قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٤٠-١٤١] أو قوله تعالى: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٠-١٠١]. ومعنى هذا أن الفاصلة القرآنية لا تدل بالضرورة على تمام المعنى ومن ثم تصبح وظيفتها فى القرآن غير نحوية ولا دلالية. فإذا لم يكن للفاصلة غرض نحوى ولا دلالى فماذا يكون الغرض منها؟ يبدو مع التأمل أن غرضها جمالى يرتبط أشد الارتباط بموسيقى النص القرآنى.

٢ - تراكيب القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وإذا كان القرآن إلهى المصدر ولكنه عربى اللسان فإنه لا يمكن فهمه فهمًا صحيحًا إلا إذا كان النظر فى تراكيبه من نوع النظر فى التراكيب العربية والأساليب العربية وفى نطاق ما أنشأه علماء العربية واللغة والبلاغة وغيرها من مناهج وطرق للبحث. وإذا التزم الناظر فى تراكيب القرآن بجهود العلماء السابقين من سلفنا الصالح فلا بد أن يتناول النص القرآنى الكريم بمصطلح هؤلاء العلماء لأنه لا يستطيع أن يستخرج حقائق التحليل العلمى إلا بواسطة المصطلحات المذكورة. وإذا كان السلف قد أطلقوا على بعض القراءات القرآنية لفظًا مثل "الشاذة" فإنهم لم يكونوا

يقصدون بهذا اللفظ أى مساس بقدسية النص القرآنى أو تناول غير كريم لقراءة بعينها من قراءات القرآن، لأن المصطلح لا يستعمل بالمعنى اللغوى وإنما يستعمل بمعناه الاصطلاحى وليس فى المعنى الاصطلاحى لكلمة "شاذة" ما ينعكس انعكاسًا سيئًا على هذه القراءة. وإذا قال أحدهم فى إعراب قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] أن الباء زائدة فإن ذلك لا يعنى أن فى القرآن حشوا (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) بل يعنى أن الباء فى موضعها قد جاءت لزيادة المعنى وأن كان التركيب بدونها مستوفيًا لشروط الوضع النحوى إذ يمكن الوصول إلى المعنى البسيط من تركيب مثل: وما ربك ظلامًا للعبيد فحين جاءت الباء أكدت نفى الظلم عن الله تعالى وقديمًا قالوا: "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى" فهذه "الزيادة" هى التى نسبت إلى الباء وليست الزيادة بمعنى الحشو.

وكذلك يكون فهم القول بالحذف. فليس المقصود بنسبة الحذف إلى شىء من التركيب القرآنى أن فى كلام الله تعالى نقصًا نكمله نحن أو يكمله قوم آخرون من السلف أو الخلف. بل المقصود أن جزءًا من التركيب قد أحاط به من القرائن المقالية أو الحالية ما جعل فهمه واضحًا فأصبح ذكره حشوا لا مبرر له ومن ثم اعتمد النص على القرائن فلم يذكر هذا الجزء من التركيب. وعلى هذا يجرى الاستعمال اللغوى بكافة أنواعه. فإذا سألك سائل كيف أنت؟ فإن أمثل الطرق أن ترد عليه قائلاً: بخير وسيكون هذا الرد المتسم بالحذف مغنيًا عن رد آخر استوفى أركان الجملة وهو: أنا بخير. فالضمير "أنا" ورد ضمنًا فى السؤال فى صورة الضمير "أنت" لأن أحدهما يتحول إلى الآخر باختلاف التكلم والخطاب أى باختلاف أدوار المخاطبة ومن ثم يصبح ذكره لا ضرورة له لأنه أصبح حشوًا فى الكلام. ولا يلزم ذكره إلا فى مواقف خاصة كحين تعليم اللغة أو إرادة معنى إضافى يفهم من خارج اللفظ نحو: أنا بخير "أما أنت فلا" ونحو ذلك. فالحذف عند وجود القرائن على المحذوف أفضل الخيارين فى التركيب فلا يعد نقيصة فى

الأداء وإنما يعد اقتصادًا لغويًا يستحق الإطراء وأن يعد فى مراتب البلاغة العليا. وشرط ذلك على أى حال أنه "لا حذف إلا بدليل" وهذا الدليل هو الذى سميناه القرينة منذ قليل.

ويقال مثل ذلك فى كل مصطلح من مصطلحات النحو واللغة والبلاغة كالقلب والنقل والإعلال والإبدال والفصل والمعرّب والغريب والقبلى والمجاز والكناية والتورية ونحو ذلك فهذه الكلمات ألقت وراءها وزر معانيها اللغوية التى تنسب إليها فى المعجم واصطبغت بصبغة الدلالة الاصطلاحية على فكرة من أفكار المنهج فمثلها مثل (س) أو (ص) فى الجبر لم تعد تدل على حرف أبجدى وإنما انتقلت من ذلك إلى الدلالة على أية كمية مجهولة. بعد هذا التقديم الذى لم يكن منه نقف نحن بصدد دراسة تراكيب القرآن.

أ- بنية الكلمة:

تحرص اللغة أكبر الحرص على أمن اللبس لأن اللغة أداة اتصال بين أطراف مختلفة فإذا كانت العبارة عرضة للبس لم يتحقق الغرض المرجو من الاتصال ومن هنا قامت الشروط الصوتية والصرفية والنحوية حارسًا على تحقيق القرائن التى يتبين بها المعنى وحسبنا أن نقرا فى هذا المجال عبارة ابن مالك التى يقول فيها: "وأن يشكل خيف ليس يجتنب". أما حين يتحقق القدر الكافى من القرائن للدلالة على المعنى فقد كان الفصحاء يترخصون فى بعض القرائن لا يفرقون فى ذلك بين شعر ونثر. فأما فى الشعر فقد نسب الأقدمون ذلك إلى الضرائر ونحن نعلم أنه كان للشاعر مندوحة فى بعض رخصه ولكنه فضل الترخص وهو أدرى بما يقول وأما فى غير الشعر فقد تباينت أوصاف الترخص بين الشاذ والنادر والقليل والغلط والقبلى والمصنوع والمنحول وغير ذلك وقد كان القدر المشترك بين كل ذلك أنه ترخص فى القرينة عند وضوح المعنى بدونها. وهذا الترخص مقبول من الفصحاء بشرط واحد عبر عنه بعضهم بعبارة "الرخصة مشروطة بمحلها" ويقول أبو هلال

العسكرى[1]: والتوسع يلزم موضعه المستعمل فيه ولا يتعداه، أى أن المحدثين وهم غير فصحاء لا يقبل منهم الترخص فى اللغة وإنما يعد ذلك منهم من قبيل الخطأ فى الاستعمال.

والقرائن التى يمكن الترخص فيها فى اللغة العربية هى البنية والإعراب والربط والرتبة والتضام وكتب النحو مليئة بتأويل ذلك بإرجاعه إلى أصل من أصولهم بواسطة القول بالزيادة أو الحذف أو الفصل أو الإضمار أو التقديم أو الإعراب المحلى أو التضمين أو نيابة شىء عن شىء أو التعويض أو الفك أو السبك أو الإعلال أو الإبدال أو النقل أو القلب إلخ. والقرآن كما ذكرنا جاء بلسان عربى فكان فى أعلى طبقات الفصاحة وكان فوق الحدود الضيقة التى انحصرت فيها قواعد النحاة إذ عنى النحاة بالمطرد ولكن اللغة تشتمل على المطرد وغيره وليس غير المطرد يمطعون فى فصاحته لأن الشذوذ لا ينافى الفصاحة. ومن هذا المنطلق نبدأ النظر فى بنية بعض الكلمات التى وردت فى القرآن الكريم مثل:

﴿ بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران: ٩٦] = مَكَّة

﴿ سِينِينَ ﴾ [التين: ٣] = سَيْنَاء

﴿ كُبَّارًا ﴾ [نوح: ٢٢] = كَبِير أو أَكْبَر

﴿ يَهِدِّيَ ﴾ [يونس: ٣٥] = يَهْتَدِي

﴿ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة: ٩٨] = مِيكَائِيل

﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٠] = إِلْيَاس

﴿ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] = عَجِيب أو أَعْجَب

﴿ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس: ٤٩] = يَخْتَصِمُون

---

(١) الفروق فى اللغة ص ٢٦.

﴿ كِذَّابًا ﴾ [النبأ: ٢٨] = تَكْذِيبًا

وقد يكون بعض ذلك مراعاة للفاصلة مثل ﴿ سِينِينَ ﴾ و﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ و﴿ كُبَّارًا ﴾ و﴿ عُجَابٌ ﴾ و﴿ كِذَّابًا ﴾ ولكن البعض الآخر لا يقع موقع الفاصلة مثل ﴿ بِبَكَّةَ ﴾ و﴿ وَمِيكَالَ ﴾ و﴿ يَهِدِّيَ ﴾ أما ﴿ يَخِصِّمُونَ ﴾ فإن الفاصلة يمكن أن تتحقق بها سواء أجاءت على حالها أم على صورة "يَخْتَصِمُونَ".

وفى قواعد النحاة أننا إذا أشرنا إلى اسم صريح قلنا: هذا محمد فقدمنا الإشارة وأخرنا الاسم الصريح أما إذا أشرنا إلى الضمير فأشهر الخيارين أن نضع الضميرين (ها التنبيه والاشارة) فتقول: "ها هو ذا" ونحن نقصد "هذا هو" وفى القرآن قوله تعالى:

١ - ﴿ هَٰأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢ - ﴿ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

٣ - ﴿ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النساء: ١٠٩].

٤ - ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٥].

بهذا يتضح لنا أن القرآن فوق قواعد النحاة فهو يسع النحو ولا يسعه النحو وربما صلح ذلك لأن يكون جانبًا من جوانب إعجازه.

ب - الزيادة:

سبق أن قلنا إن نسبة الزيادة إلى عنصر لغوى ما لا تعنى أبدًا أن ذكر هذا العنصر من قبيل الحشو وإنما هو من قبيل زيادة المعنى أو بعبارة أخرى من قبيل توكيد المعنى. ومـن هذا القبيل زيادة حرف الجر وحرف النفى وحرف العطف وغير ذلك.

فمن قبيل حرف الجر الزائد ما فى قوله تعالى:

١ - ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

٢ - ﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٣ - ﴿ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ [هود: ٢٩].

٤ - ﴿ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: ١١٣-١١٤].

٥ - ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦].

ومن قبيل زيادة حرف النفى ما أولا فى قوله تعالى:

١ - ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

٢ - ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢].

٣ - ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ [فاطر: ١٩-٢١].

٤ - ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ٢٩].

٥ - ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [البلد: ١].

٦ - ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [المعارج: ٤١].

ومن زيادة حرف العطف ما تجده فى قوله تعالى:

١ - ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٢ - ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٣- ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ٣٧].

٤- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

٥- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥].

٦- ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام: ٩٢].

٧- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

٨- ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].

٩- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٤].

١٠- ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣]. ويجوز فى الواو هنا أن تكون للحال فى ضوء قوله تعالى: ﴿ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾.

ومن زيادة غير ذلك من الحروف ما فى قوله تعالى:

١- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] والحرف الزائد هو "ما".

٢- ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣] والحرف الزائد هو "ما".

٣- ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦] والزائدة تشمل "فيما".

٤- ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ [الرعد: ٤٠] والحرف الزائد هو "ما".

٥- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] والحرف الزائد هو "الكاف".

٦- ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ [ق: ١-٢] والحرف الزائد هو "بل".

وأما زيادة الضمير للتوكيد فأشهر ذلك ما يسميه النحاة ضمير الفصل ولكن من ذلك أيضًا ما نجده فى قوله تعالى:

١- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣].

٢- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: ٥].

وكل ما سبق من زيادة هو لتأكيد المعنى سواء أكان المعنى إيجابيًا أم نفيًا.

جـ - الحذف:

والقول فى الحذف كالقول فى الزيادة لا يترتب عليه ما قد يتطرق إلى ذهن البعض من دعوى نقص فى كلام الله يكمله العباد بل العكس نجد مبرر الحذف أن يتوافر من القرائن والأدلة على المحذوف ما يجعل ذكره حشوا كما سبق الكلام فى ذلك وبذلك يصبح الأسلوب قويًا بالحذف حذف الحرف أو حذف الكلمة أو حذف شطر الجملة أو حذف كلام يقتضيه المعنى وأن لم يذكر وذلك لوضوحه من ملابسات النص وسنتعرض لكل واحد من هذه الأنواع على حدة:

حذف الحرف:

أ- لقد وصلنا التراث العربى مكتوبًا ولم يكن فى الخط العربى علامات للترقيم ومن ثم خلا هذا الخط مما يدل على الاستفهام سوى حرف الاستفهام نفسه وعلى الرغم من أن الفصحاء كانوا يترخصون بحذف همزة الاستفهام جاعلين نغمة الكلام دليلاً على المحذوف حرص النحاة على ذكرها فى الجملة لانتهاء عصر الفصاحة وعدم اشتمال الخط على علامات تقوم دليلاً على الحذف. وهكذا أوجب النحاة ذكر حرف الاستفهام ولكن النص القرآنى نص فصيح وقد اشتمل على حذف الهمزة فى الآيات الآتية ونحوها:

* ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] والمعنى أو من ذريتى.؟

* ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٢٢] والمعنى أو تلك نعمة؟

* ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥] والمعنى أمثل الجنة..؟

ب - من القواعد المقررة فى النحو أن نزع الخافض يطرد فى أن وأن ويعتمد على السماع فيما عدا ذلك وقد حذف الخافض فى القرآن فى المجالين المطرد والسماعى ومن قبيل الثانى قوله تعالى:

* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القلم: ٧] أى بمن ضل.

* ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [القصص: ٨٥] أى بمن جاء.

ودليل الحذف فى الآية الأولى من شقين أولهما لأن أفعل التفضيل لا ينصب مفعولاً به ومن ثم تلزم الباء والدليل الثانى أن "أعلم" الثانية فى الآية وصلت إلى "من" بواسطة الباء. ودليل الحذف فى الآية الثانية هو نفسه أو الدليلين فى الأولى.

جـ - يقرر النحاة أن جملة الحال إذا كان فعلها ماضيًا اقترن بـ "قد" ومن ثم أكثروا القول فى قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء: ٩٠] ولكن هذه الظاهرة توجد فى آيات قرآنية أخرى مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ [يوسف: ٧١] أى قالوا وقد أقبلوا عليهم. وقد كان يجدر بالنحاة أن يراجعوا هذه القاعدة لتكرار حذف "قد" فى القرآن.

د – قد يتضح من القرائن الحالية ما يعيّن مكان حرف محذوف فتعد القرينة الحالية دليلاً على الحذف وعلى تقدير المعنى وتحديد مكان المحذوف وذلك كحذف الفاء فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢] فالقول بالحذف يحتمه أن الجملة لا تحتمل أكثر من جواب شرط واحد ولكنها تشتمل على "قلت" و"تولوا" وكلاهما صالح نحويًا أن يكون جوابًا للشرط إذا تعيّن العطف فى الآخر. غير أن قرينة معرفة القصة من السيرة النبوية تجعل "قلت" معطوفًا بفاء محذوفة على "أتوك" فيكون "تولوا" جوابًا للشرط.

حذف الكلمة:

قد تكون الكلمة المحذوفة ضميرًا عائدًا فيصبح مرجع الضمير هو دليل الحذف كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد: ٨] فإذا فهمنا من "ما" الأولى معنى الموصولية اقتضت ضميرًا رابطًا وكان التقدير "ما تحمله" أما إذا فهمنا منها معنى المصدرية كاللتين تليانها فلا موضع لتقدير الضمير لأن ما المصدرية لا تصلح مرجعًا ولا حاجة إلى الربط لأن العطف عطف مصادر مؤولة والتقدير: (الله يعلم حمل كل أنثى وغيض الأرحام وازديادها) وكذلك الأمر فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المجادلة: ٣] إذا التقدير "لما قالوه" فيكون الضمير محذوفًا أو "لقولهم" فلا حذف. ولكن الحذف يتعين فى نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [البقرة: ٤٨] أى لا تجزى فيه.. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] أى تعلمونه. وقوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص: ٧٦] أى تنؤ بها العصبة أولو القوة. وقد يكون القول بالحذف رعاية للصناعة النحوية التى تحتم تقدير ما لم يذكر من ركنى الجملة أو عامل لمعمول لا يوجد فى الجملة

ما يمكن تسليطه عليه أو ضميمة لكلمة ذات اختصاص يمتلك الضميمة أو معطوف عليه يتطلبه المعطوف وقد يكون هذا القول بالحذف لسبب آخر كمجاز الحذف. فمن قبيل القول بالحذف لتقدير ما لم يذكر من ركنى الجملة ما فى قوله تعالى:

* ﴿ كهيعص ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [مريم: ١-٢] أى هذا ذكر رحمة ربك.

* ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥] أى بلدتكم بلدة طيبة وربكم رب غفور.

* ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٧٨] أى فسبيله اتباع.

* ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] أى فقضاؤه عدة..

* ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦] أى فكفارته فدية..

* ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أى ففريضتهن نصف ما فرضتم.

* ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] أى فضماناتكم رهان مقبوضة.

* ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أى فالأفضل نظرة إلى ميسرة.

قيل القول بالحذف لتقدير عامل واجب الحذف يعمل فى منصوب ليس فى الجملة ما يمكن أن يسلط عليه ما نجده فى قوله تعالى:

* ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٧] أي سَنَنَّا.

* ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم: ٣٤] أي أقول قول الحق.

* ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ [طه: ٤] أي نزلناه تنزيلاً.

* ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٢٢] أي نجعلها آية أخرى.

* ﴿ وَجَٰهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨] أي نلزمكم ملة أبيكم.

* ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨] أي نريك.

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾ [لقمان: ٨-٩] أي نعدهم وعد الله.

* ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾ [فاطر: ٤٣] أي تستكبرون استكبارًا وتمكرون مكر السيئ ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: ٤] أي فإما أن تمنوا منا وإما أن تقبلوا فداء.

* ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥] أي كتبنا كتابًا مؤجلا.

ومن قبيل حذف ضميمة الكلمة المختصة التي تتطلب هذه الضميمة ما في قوله تعالى:

* ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [هود: ١١١] أى لما يوفوا أعمالهم. إذ المقرر أن "لما" من بين الجوازم التى تختص بالدخول على المضارع فتباشره دون فاصل بينهما ولا يعقل أن تكون داخلة على المضارع المذكور بعد اللام للفصل ولأن المعنى يناقض ذلك ولما كانت لما حرفًا يفتقر إلى مدخول ولا شىء يصلح أن يكون مدخولاً له فى الجملة أصبح لا مناص من القول بالحذف. وربما كان من قبيل حذف المعطوف عليه ما فى قوله تعالى:

* ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٩] أى ليفاضل بينهم وليوفيهم.

وأما ما ذكرناه من أمر مجاز الحذف فذلك مشهور من كلامهم عن قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢] أى واسأل أهل القرية وأصحاب العير. ونستطيع أن نسوق مثالا آخر على ذلك فى قوله:

* ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ [الرعد: ١٧] أى مثل الحق ومثل الباطل لأن الله يضرب الأمثال، والحق والباطل لا وجه لضربهما إلا أن يكونا مثلين.

وقد يكون المحذوف صفة أو موصوفًا ولا يدعى فيه الحذف إلا أن يقوم دليل على ذلك فمن قبيل حذف الصفة ما فى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩] أى كل سفينة صالحة بدليل قوله تعالى: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٧] أى المسجد الأقصى بدليل شهرة هذه التسمية وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤] أى كالأنعام الضالة بدليل بقية الآية.
وأما حذف الموصوف فمن شواهده قوله تعالى:

* ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] أى وآيات أخر.

* ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ [آل عمران: ١٣] أى وفئة أخرى.

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ٣] أى فامرأة واحدة.

* ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦] أى بتحية أحسن منها.

* ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٣] أى غلامًا صالحًا.

حذف شطر الجملة:

هنا أيضًا لا بد من وجود دليل على المحذوف إما لفظى وإما معنوى. فمن اللفظى حرف العطف "ثم" والفعل "تاب" فى قوله تعالى:

* ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ﴾ [التوبة: ١١٨] لأن الذى تعطف عليه التوبة لا بد أن يكون المغفرة "والتقدير" غفر لهم ثم تاب عليهم "ومن ثم يصبح قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ ﴾ هو دليل المحذوف. ومنه قوله تعالى:

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] إذ نجد "إنَّ" التى فى أول الآية قد استوفت اسمها دون خبرها وعطف عليها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ وفى ذلك دليل على المحذوف يمكننا به أن نقدر للخبر "لا يضرونه شيئًا" لأن معنى العزة يقتضى عدم التأثر بكفرهم. ومنه أيضًا قوله تعالى:

* ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٢٤] إذ يتضح من قوله: ﴿ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ أن الخبر المحذوف يمكن تقديره بلفظ "ناج" أو مغفور له" أو "طامع فى الرحمة"؟! وبخاصة إذا ضممنا إلى هذه القرينة اللفظية قرينة أخرى لفظية هى الاستفهام الإنكارى الذى يعزز ما فى الآية من وعيد فيتطلب عكس معنى قوله وهذا العكس هو الذى جرى تقديره. ومن هذا القبيل أيضًا:

* ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ لأن قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ يعين على تقدير الشق الآخر من مدخول همزة التعيين كما يعين على تدبر الخبر إذ التقدير: أفمن شرح الله صدره ناج أمن قسا قبله فويل... إلخ وهكذا نستعين لتقدير المحذوف بقرينة لفظية تدل عليه فتكون دليل الحذف. ومنه كذلك قوله تعالى:

* ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات: ١٧ والواقعة: ٤٨] إذا اشتملت الآية السابقة على دليل المحذوف والتقدير: أو آبائنا الأولون مبعوثون. ومنه أيضًا:

* ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] لأن التفصيل بقوله: منكم.... ومنكم يدل على دبيب الخلاف بينهم فيكون تقدير المحذوف: "تباينتم". ومنه قوله تعالى:

* ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠] لأن الطرف الآخر للمساواة ذكر بنصه فى جملة مستأنفة وجعل الأسبقين

أعظم درجة من الآخرين فلزم أن يكون التقدير: لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل. ومنه كذلك:

* ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ [القصص: ٤٧-٤٨] فقد ذكرت لولا فى الآيتين فكانت شرطية فى الأولى وتحضيضية فى الثانية وجواب الأولى محذوف يستعان على تقديره بقوله:﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ مما يدل على أن الله لم يصبهم بعذاب وإنما أنزل الرسول بالحق أى بالقرآن. فتقدير الجواب: لأصبناهم بالعذاب بدلاً من القرآن الذى يظهر به الحق. ومنه:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [يس: ٤٥-٤٦] فجواب إذا محذوف والتقدير إذا قيل لهم ذلك أعرضوا. ومنه قوله تعالى:

* ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٤-٢٥]. ففى الآية الأولى دليل المحذوف من الآية الثانية وهو جواب لولا إذا التقدير: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ما كففنا أيديكم عنهم. ومنه:

* ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ٣] لأن فى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ دليل على أن جواب "إذا" يمكن تقديره بلفظ "نرجع" أى نبعث.

أما فى سورة النور فقد حذف جواب لولا مرتين ثم تكررت بعد كل منهما ومعها الجواب مذكورًا فقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٠-١٤] فقد ذكر "لولا" مرتين فحذف جواب الأولى لدلالة جواب الثانية عليه. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٠-٢١] فحذف جواب الأولى لدلالة جواب الثانية عليه.

ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فكلمة غير والمقابلة بين الأرض والسموات تدل على أن المحذوف تقديره "غير السموات".

وكذلك قوله:

* ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] إذ يتعين

من اللفظ أن يكون التقدير مع العطف "ويتوفى التى لم تمت فى منامها" ومن ذلك أيضًا:

* ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: ١٩] أى ائن ذكرتم تطيرتم بمن ذكَّركم.

هذا شأن الدليل اللفظى على الحذف. ولكن الدليل قد يكون معنويًا أيضًا يقتضيه المعنى ولا يؤخذ من الكلمات والألفاظ. ففى قوله تعالى:

* ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩] لو اتخذنا اللفظ دليلا على الحذف للزمنا أن نقدر جملة الخبر نهياً عن ابتغاء العزة عن الكافرين ولكن الظاهر أن المعنى غير ذلك إذ الأولى أن يكون النهى لا حقًا للإنكار أو مستفادًا منه استفادة ضمنية ولكنه لا يكون سابقًا بما هو أضعف. وعلى ذلك يكون تقدير الخبر "مذلولون" أولى من تقدير جملة النهى. وهذا الخبر دليله المعنى وليس اللفظ.

ومن دلالة المعنى على الحذف قوله تعالى:

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٢] فقوله: ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ لا يصلح خبرًا لخلوه من الضمير الرابط ولا يصلح جملة معترضة على اعتبار ما بعده خبرًا لأن ما بعده عطاء لا تكليف ولا تخفيف ولو كان ما بعده مثلا: أولئك يسرنا عليهم الحساب لصلح قوله "لا تكلف إلخ" لأن يكون جملة معترضة. أما والحال هذه فلم يبق إلا أن نقدر للخبر جملة مثل "سنخفف عنهم" وهو المعنى الذى لم تعبر عنه "أولئك" وما بعدها ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى:

* ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا

إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٨-٩] فقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ يقتضى أن نقدر قبلة همزة التعيين ومدخولها وليس فى اللفظ ما يعين هذا الدخول إلا ما كان من معنى الآية التى سبقت ولو راعينا هذا المعنى لأصبح التقدير المقبول هو: أهذا أمن هو قانت.

ومن ذلك:

* ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] فقد استوفت "إن" شرطها وهو "استطعت" وجاء "لو" قبل استيفاء جواب "إن" وليس فى ألفاظ هذه الجملة أو تلك ما يشير إلى الجواب المحذوف ولكن المعنى يدل على هذا المحذوف والتقدير: أن استطعت فافعل.

ومن ذلك أيضًا:

* ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩ * إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٥٩] فقد جاءت "إِنَّا" قبل أن تستوفى "لو" جوابها وليس فى اللفظ ما يدل عليه ولكن المعنى يتطلب تقدير الجواب: "لكان خيرًا لهم". وأما قوله تعالى:

* ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فإنه يحتمل التمنى ولا يصلح شاهدًا إلا على احتمال الشرط فعندئذ يكون تقدير الجواب "لتصديت لكم". وفى قوله تعالى:

* ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ

أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ جاء قوله "وإن أريد" قبل أن تكتمل جملة الشرط الداخلة فى حيز الاستفهام وليس فى لفظ سابق ولا لاحق ما يشير إلى الجواب فلم يبق إلا أن يدل عليه المعنى وفى هذه الحال يكون تقدير الجواب: "أتجحدوننى" أو "أتحسدوننى على هذا الفضل". ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ إذ إن "لو" لم تستكمل جوابها وإنما جاءت "بل" دون نص على جواب "لو" وليس من ألفاظ الآية ما يدل على الجواب المحذوف ولكن المعنى يشير إلى جواب مقدر هو "لكان هذا" نخلص ما سبق بأن الحذف لا يتم إلا بدليل وأن هذا الدليل قد يكون لفظيًا وقد يكون معنويًا ويصلح المعنى لتضمين «لو» معنى النفى فيكون لتقدير: ما كان لقرآن أن يرى إلى هذه النتيجة بل لله الأمر جميعًا.

وفى قوله تعالى:

* ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] يدل المعنى على استنكار نسبة البنات إلى الله فيكون التقدير: "أو يجعلون له من ينشأ فى الحلية".

حذف كلام يقتضيه المقام:

حينما تكلمنا على حذف الحرف والكلمة وشطر الجملة كنا نتكلم عن حذف تم فى ضوء صناعة للنحو أما الحذف الذى تبدأ الكلام فيه الآن فذلك نوع منه يقتضيه المقام أى أنه ينتمى إلى سياق الأحداث التى تعبر عنها الآيات وليس إلى سياق التركيب اللغوى. والمحذوف من هذا القبيل أما أن يكون من جنس القول مثل يقول أو يقولون أو يقال لهم أو قائلا أو قائلين أو نحو ذلك وأما أن يكون من جنس الفعل وهذا أكثر النوعين طلبًا للانتباه عند التقدير لما يتسم به تقديره من بناء موقف عملى يقوم على ترابط الأحداث بعضها ببعض. فمن النوع الأول:

* ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠] أى يضربون ويقولون.

* ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٥] أى فتكون بها جباههم ويقال لهم:

* ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧] أى نظر بعضهم إلى بعض وتهامسوا.

* ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أى فيقال لهم أو لم تكونوا أقسمتم.

* ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨] أى وقيل لهم لقد جئتمونا.

* ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۞ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ٥٤] أى فأخرجنا وقلنا كلوا وارعوا.

* ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] أى وتتلقاهم الملائكة ونقول لهم..

* ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٢٢] أى أعيدوا فيها وقيل لهم:

* ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١] أى أن يتخذونك إلا هزوا ويقولون.

* ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢] أي ناسكو رؤوسهم وقائلون.

* ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٠-١٣] أي ولقد آتينا وقلنا اعملوا.

* ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨] أي جعلنا وقدرنا وقلنا سيروا.

* ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢] أي قالوا فقيل لهم هذا ما وعد الرحمن.

* ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] أي يسبحون ويستغفرون قائلين ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا فاغفر للذين تابوا.

* ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الجاثية: ٣١] أي فيقال لهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم.

* ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم

بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠] أى يوم يعرض أعداء الله على النار يقال لهم أذهبتم طياتكم.

* ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٤] أى يوم يعرضون يقال لهم أليس هذا بالحق.

* ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢١-٢٢] أى معها سائق وشهيد فيقال له: لقد كنت فى غفلة.

* ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨-٩] أى يطعمون ويقولون إنما تطعمكم لوجه الله.

وأما النوع الثانى من حذف ما يقتضيه المقام فدليله التسلسل المنطقى للأحداث لأن التقدير فيه يعتمد على ترتيب الأسباب والمسببات ومن ثم يوجد فى قصص الأنبياء وبخاصة آدم ويوسف وموسى وسليمان ومريم. فمن قصة آدم قوله تعالى:

* ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠-١٢١] أى فاستمع إليه فأطاعه فأكلا منها. وأما من قصة يوسف فهناك حذف فى عداد من المواضع تتمثل فيما يلى:

* ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا

﴿ مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢-٣٣] أى فلم يفعل ما أمرته به ودعا ربه قال رب السجن أحب إلى.

* ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ [يوسف: ٣٥-٣٦] أى فادخلوه السجن ودخل معه السجن فتيان رأى كل منهما رؤيا قصها على يوسف قال أحدهما...

* ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ [يوسف: ٤٦] أى فأرسلوه فذهب إليه فلما دخل عليه ناداه قائلا: يوسف أيها الصديق.

* ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [يوسف: ٤٩-٥١] أى وصدق تأويل يوسف للرؤيا فسر الملك بذلك وقال الملك ائتونى به فأرسلوا إليه رسولاً فلما جاء الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم فسال الرسول سيده عنهن فأرسل إليهن فأتى بهن فلما مثلن بين يديه قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه.

* ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦] أى وقال

الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فأتوه به فكلمه وسمع منه فرضي عنه فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم فأجابه إلى ما طلب وولاه أمر الخزائن وكذلك مكنا ليوسف.

* ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨١-٨٣] أي وأنا لصادقون قال ليس الأمر كما زعمتم بل سولت لكم أنفسكم أمرًا.

* ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: ٨٧-٨٨] أي فذهبوا يَتَحَسَّسُونَ من أَخَوَيْهم حتى وصلوا إلى قصر العزيز واستأذنوا فأذن لهم فلما دخلوا عليه قالوا يأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر.

وأما قصة موسى فيمكن أن نختار منها الشاهدين الآتيين:

* ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٢-١٣] أي وحرمنا فقالت فقبلوا فرددناه.

* ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه ٦٧ - ٧٠] أي قلنا

لا تخف وألق ما في يمينك فألقى فابتلعت عصاه حبالهم وعصيهم فبهتوا فألقى السحرة سجدا.

ويمكننا أن نسوق الشواهد التالية من قصة سليمان مع ملكة سبأ:

* ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢١-٢٢] أي وعاد الهدهد فدنا من سليمان فمكث غير بعيد.

* ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٨-٢٩] أي فذهب فألقى إليهم بالكتاب فقرأت وجمعت الملأ من قومها قالت يأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم.

* ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠] أي قال سليمان فأت به فذهب فأتى به وأقره عنده فلما رآه مستقرًا عنده قال هذا من فضل ربي.

أما من قصة مريم فالشاهد على هذا النوع من الحذف قوله تعالى:

* ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٢-٢٣] أي ثم ولدته فنظرت إليه فإذا هو غلام فلم يخفف ذلك من حزنها فناداها من تحتها ألا تحزني.

يتبين لنا من ذلك أن موضع هذا النوع من الحذف إنما هو قصص الأنبياء وأن المحذوف يقوم عليه دليل من المقام نفسه بحيث يمر القارئ بالآيات دون أن يفطن

إلى المحذوف وإنما يفطن إلى ذلك من يتصدى للسياق بالنظرة التحليلية. وإذا كان الأمر كذلك فلا خلاف فى أن الذكر يؤدى إلى الحشو لأن ما لا فائدة من ذكره حشو والقرآن معجز بلفظه ومعناه فهو منزه عن الحشو.

د - الفصل:

لبعض الكلمات اختصاص بمدخول معين ويصدق ذلك بصفة خاصة على الحروف والأدوات مما دعا النحاة إلى وصفها بالافتقار المتأصل أى باحتياجها بحكم أصل وضعها إلى ما تدخل عليه. ولكن هناك افتقارًا غير متأصل لأنه افتقار للباب وليس للكلمة فالمضاف والمضاف إليه مثل من أمثلة هذا الافتقار الذى يجب للباب ولكن الكلمة التى تحل فى موقع الإضافة قد تحل فى موضع المبتدأ أيضًا فإذا قلنا مثلا: "كتاب محمد" فإن "محمدًا" مفتقر إلى الكتاب حتى يكون مضافًا إليه مجرورًا ولكن افتقاره ليس بحكم أصل الوضع لأننا تستطيع أن نجعله مبتدأ فتقول: "محمد ذكى". فافتقار "المضاف إليه" متأصل وافتقار "محمد" غير متأصل. وهناك نوع من ارتباط الكلمة لا يقع تحت عنوان الافتقار ولكنك تلمح بين الكلمتين فى السياق علاقة خاصة تجعل إحداهما أقرب إلى أختها منها إلى بقية الكلمات فى الجملة فمن ذلك مثلا الفعل ومفعوله ثم صاحب الحال والحال ثم الموصوف والصفة ثم المعطوف عليه والمعطوف. فإذا فصل بين طرفى أى من هذه الأنواع بفاصل أحس السامع لهذا الفصل إما جمالا أو طرافة أو غموضًا ولبسا بحسب قوة الترابط بين الطرفين اللذين تم فصل أحدهما عن الآخر. ويقع الفصل فى أسلوب الذكر الحكيم فيكون جميلاً دائمًا على نحو ما نرى فيما نسوقه من الشواهد. فمن أمثلة الفصل بين المتلازمين أى بين الأداة المفتقرة ومدخولها ما نراه فى قوله تعالى:

* ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ ﴾ [الواقعة ٨٦-٨٧] أى فلولا ترجعونها أن كنتم غير مدينين.

ومن الفصل بين الفعل ومفعوله قوله تعالى:

* ﴿ قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ﴾ [الكهف: ٩٦] ويَعُدُّه النحاة من باب التنازع ولكن القول بالفصل أولى به فيكون المعنى آتونى قطرًا أفرغ عليه. ومثله قوله تعالى:

* ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [يس: ٣١] أى ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون وجملة كم أهلكنا للتكثير وقد فصلت بين الفعل وما سد مسد مفعوليه.

أما الفصل بين الحال وصاحب الحال فالشاهد عليه قوله تعالى:

* ﴿ إِنِّى وَجَّهۡتُ وَجۡهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] وقد سهل هذا الفصل أن الفاصل ليس أجنبيًا لأن للجار والمجرور من التعلق بالفعل ما للحال من الارتباط بالتاء المتصلة بالفعل نفسه فهذا أيسر أنواع الفصل حتى ليبدو وكأنه لا فصل.

ومن شواهد الفصل بين الموصوف وصفته قوله تعالى:

* ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِى بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وهذا من أجمل أنواع الفصل لأن الفاعل لو تقدم لعاد الضمير على متأخر لفظًا ورتبة ولو تأخر من طول الصفة لأصبح موضعه قلقًا ولضعفت الصلة بينه وبين فعله. ومنها أيضًا:

* ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [سبأ: ٣] أى بلى وربى عالم الغيب لتأتينكم. وإنما حَسَّن الفَصْلَ أن فى الكلام الذى يتلو ذلك ضميرا يعود على عالم الغيب فلو تأخر جواب القسم لفصل بين الضمير ومرجعه فضعف ارتباط أحدهما بالآخر، ومنها أيضًا:

* ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: ١] ويقال فى هذا ما قيل "لا ينفع نفسًا إيمانها" ومنها كذلك:

* ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠] وإنما جاء المبتدأ فى هذا الموضع لأن فى تقدمه ابتداء بالنكرة وفى تأخره عن الصفات ما يجعله قلقا ضعيف الارتباط بالخبر. ومنها غير ما سبق:

* ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧] أى مشارق الأرض التى باركنا فيها ومغاربها ولكن فى الفصل تقريب المغارب من المشارق وفى ذلك إظهارًا لعظمة الميراث لا يكون مع تأخير المغارب.

وللفصل بين المعطوف عليه والمعطوف شواهد منها:

* ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦]. فلو لم يتقدم إحسانًا فيفصل بين الوالدين وما عطف عليها لكان "بالوالدين" وما بعده معطوفًا على الضمير فى "به" ولكان "إحسانًا" المتأخر مفعولا لأجله. ولو تقدم الإحسان على الوالدين لكان عرضته للعطف على "شيئًا" فما أجمل هذا الفصل وما أعظم إعجاز القرآن. ومن ذلك أيضًا:

* ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ﴾ [غافر: ٧١] وإنما كان الفصل لأن السلاسل لا تكون فى الأعناق وإما تتدلى منها إلى الأيدى والأرجل لتصل ما بين غل وغل. ومن شواهد ذلك كذلك:

* ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أى إلاَّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه ولا مستأنسين لحديث ولكن إذا دعيت فادخلوه فإذا طعمتم فانتشروا. فالفصل بين

المتعاطفين جاء بجملة الاستدراك وهى تشتمل على كلام عن الطعام لا ينطبق على الاستئناس للحديث ومن ثم حسن الفصل.

هذا هو الفصل بأحد المعنيين: فصل أجزاء الجملة إذ يكون لأحدهما علاقة بما يتطلبه. أما الفصل بالمعنى الآخر فهو ترك عطف الجملة على الجملة وليس فى النحو ما يمنع من ذلك وإنما يعتمد الفصل هنا على مطالب الموقف الذى يصوره القرين وما أكثر ما يكون هذا الموقف موقف فزع وخوف أو مطلق انفعال ومن شواهد ذلك:

* ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٣] والجمل لا تقطع على هذا النحو إلا والمرء فى هلع من العذاب وكأن بين كل جملة منها والأخرى شهيق نفس مبهور. ومن شواهد ذلك أيضًا:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦] منها أيضًا:

* ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١] ومنها:

* ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨] ومنها أيضًا:

* ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١] ومنها أيضًا:

* ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣] ومنها:

* ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [يوسف: ٣٠] ومنها:

* ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [نوح: ٢٦-٢٨] ومنها قوله تعالى:

* ﴿ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴾ [إبراهيم: ٢١] ومن شواهد ذلك أيضًا:

* ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١] ومنها:

* ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [يونس: ٦٨] وكذلك:

* ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

* ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩] ومنها أيضًا:

* ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٤-٥] ومنها:

* ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦].

هـ - تراكيب خاصة:

سنتناول فى هذا العرض للتراكيب الخاصة ظواهر تركيبية تشتمل على توظيف خاص للقرائن اللفظية لم يسجله النحاة فى المطرد من قواعدهم وإنما عدوه فى غير المطرد فى الأغلب وسيكون تناولنا لهذه الظواهر بحسب كل قرينة فتتناول البنية فالتضام فالربط (ومنه المطابقة) فالرتبة فالإعراب وربما أشرنا إلى بعض الظواهر الأسلوبية من خلال ذلك.

فأما البنية فقد سبق أن أشرنا إلى أسماء قرآنية لمسميات مألوفة مثل بكَّة وسينين وميكال والياسين كما أشرنا إلى صفات ومصادر وأفعال قرآنية مثل كُبَّار وعُجَاب وكِذَّاب ويَهِدِّى ويخِصِّمُون وذلك تحت عنوان "بنية الكلمة" ونود أن نضيف هنا شواهد لظواهر أخرى مثل إدغام "نعم" فى "ما" فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم ﴾ [النساء: ٥٨].

وإدغام نون الرفع فى نون الوقاية فى قوله تعالى:

* ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٤].

فإذا نظرنا إلى التراكيب الخاصة من حيث التضام بين الكلمات (أى اختصاص كلمة بأخرى تدخل عليها أو اختصاص عنصر لغوى ما بموقع بعينه من مواقع الكلام كالفاء فى جواب الشرط واللام فى جواب القسم إلخ) فإذا نظرنا إلى هذه التراكيب وجدنا للقرآن الكريم من التضام ما لا يشيع فى غيره. فمن وصف النكرة بالاسم الموصول فى قوله تعالى:

* ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ [ق: ٢٤-٢٦] وقوله:

* ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٢-٣٣] وقوله:

* ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [الحديد: ٢٣-٢٤] وقوله جل شأنه:

* ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ [الهمزة: ١-٣].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [الأنعام: ٩٥] إلا أن نجعل "مخرج" معطوفًا على "فالق" فلا يكون هناك شاهد. وقوله تعالى:

* ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ [هود: ٩٨] وقوله جل شأنه:

* ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧] وقوله تعالى:

* ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩].

* ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٦].

ومنها دخول "لو" على الضمير والتأكيد ماذا قيل ولام الجواب فى قوله تعالى:

* ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] أى قل لو ملكتم لأمسكم.

* ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠].

ومنها الإخبار عن المبتدأ بالجملة الإنشائية كما قوله سبحانه:

* ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] وقوله:

* ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٨] وقوله:

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

ومن ذلك اشتمال الشرط على الشرط كما فى قوله تعالى:

* ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥] وكذلك الشرط فى حيز الخبر كما فى قوله تبارك وتعالى:

* ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ [يوسف: ٧٥] وقوله:

* ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] فهذا شرط فى حيز شرط وكلاهما فى حيز الخبر المنفى.

ومن ذلك أن يرد الظرف المكانى "بين" مضافًا إليه وهو نادر فى الشعر متعدد فى القرآن. كما فى قوله تعالى:

* ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] وقوله:

* ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

ومن ذلك دخول أداة الاستثناء (إلا) على جملة اسمية مصدرة بـ "إنَّ" كما فى قوله جل شأنه:

* ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ومنه زيادة "ما" بعد "أن" التى تسد مع ما بعدها مسد مفعولى ظن كقوله تعالى:

* ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤].

وكل ذلك من قبيل التضام.

وأما الربط فى الأسلوب القرآنى فيحتض أيضًا ببعض التراكيب ويحتفى بأساليب أخرى توجد فى غيره على قلة. ومن هذا النوع الأخير الإخبار بالذى والألف واللام وهو باب من أبواب النحو يقل تطبيقه فى الاستعمال وقد مثل النحاة له بقولهم (الذى يأتينى فله درهم) وموضع الملاحظة فى هذا التركيب أن الفاء الرابطة تقترن بخبر المبتدأ لما بين الموصول وأداة الشرط من رحم فى المعنى والمبنى فأما من حيث المعنى ففى كليهما نوع من الدلالة العكسية كما يتضح مما يلى:

الذى يأتينى فله درهم	أى	والذى لا يأتى فليس له
أن تأت فلك درهم	أى	وإن لم تأت فليس لك

هذه شركة فى المعنى وأما الشركة فى المبنى فتتمثل فى أن ثلاثة من الأسماء الموصولة تنقل إلى معنى الشرط وهى "مَنْ" و"مَا" و"أىّ" وبها تقوم لحمة فى المبنى بين البابين. من هنا لم يكن هناك غرابة فى اقتران الفاء بخبر الاسم الموصول على نحو ما تقترن بجواب الشرط. ومن شواهد ذلك قوله تعالى:

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١] وقوله تعالى:

* ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ ﴾ [النور: ٣] وقوله جل شأنه:

* ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٦٠] وقوله:

* ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد: ٤] وقوله سبحانه:

* ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد: ٨] وقوله تعالى:

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠].

أما فى غير باب الأخبار بالذى والألف واللام فهناك ظواهر تركيبية فى مجال الربط يعز وجودها فى غير القرآن أو ينعدم. فمن ذلك تعزيز الرابط بما يؤكده كتأكيد اللام التى تربط جواب "لو" بشرطها برابط آخر هو "إذا" كما فى قوله تعالى:

* ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِ ﴾ [الإسراء: ١٠٠] ومثله تقوية الرابط بضمير الفصل كما فى قوله عز شأنه:

* ﴿ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر: ١٠] فالرابط هو الضمير المستتر فى يبور وقد تقوى بضمير الفصل.

ومن ظواهر الربط فى القرآن، ربط جواب "لما" بإذا الفجائية كما فى قوله تعالى:

* ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧].

ومنه أيضًا الإشارة إلى غير مذكور فى الجملة كقوله تعالى:

* ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ ۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [فصلت: ٢٨] وقوله:

* ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣] فالإشارة الأولى والله أعلم إلى مضمون كلام سابق كالذى فى قوله تعالى: "ذلك ومن عاقب إلخ" والثانية إلى مصدر مفهوم من "صبر" و"غفر" ولكنه غير مذكور.

ومن ظواهر الربط فى القرآن الربط بالموصول سواء أكان ذلك الموصول اسميًا أو حرفيًا. وسواء أكان صريحًا أو مؤولاً. فأما الربط بالموصول الصريح فمنه قوله تعالى:

* ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ [العنكبوت: ٣٦] أى به وبغيره، وقوله تعالى:

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] أى أجرهم، وقوله:

* ﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ١٩] أى تنقذه. وكذلك:

* ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا فِى قِرۡطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام: ٧] أى لقالوا، فالذين كفروا فى موضع الواو من "قالوا" فهى تربط كما تربط الواو. وقوله:

* ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢] أى ثم نقول لهم. وقوله:

* ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] أى فلا تقعد بعد الذكرى معهم. وقوله تعالى:

* ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٠] أى وقعدوا وكذلك قوله تبارك وتعالى:

* ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٤٥].

هذه الشواهد السابقة تكشف عن الربط ثَمَّ بالموصول الاسمى الصريح. وهناك ربط يتم بالموصول الحرفى وهو "أل" التى تدخل على الوصف. كما فى قوله تعالى:

* ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] وقوله تعالى:

* ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣] أى لنهلكنهم. وقوله:

* ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧] أى إذ يقولون.

وقوله جل شأنه:

* ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ [الكهف: ٤٨-٤٩] أى فتراهم مشفقين. وقوله:

* ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٢٢] أى لا بشرى لهم. وقوله:

* ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٣] أى يطرهم. وقوله:

* ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٤٠] أى عاقبتهم وقوله:

* ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨] أى لهم.

وأما الربط بما يؤول بالموصول فمن شواهده:

* ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦] أى فقاتلوا الموالين للشيطان.

* ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢] أى فقاتلو الذين يأتم بهم الكفار.

* ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤] أى ويشف صدور المؤمنين أى صدوركم.

وإذا كان من طرق الربط فى العربية أن يتعلق الجار والمجرور بما يتطلبه إلا أن يكون حرف الجر زائدًا فإن الجملة القرآنية ربما بدئت بالجار والمجرور مع عدم الحاجة إلى متعلق أوصع تصيد المتعلق. فمن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١] وقوله:

* ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال: ٥] وقوله:

* ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٢، ٥٤] وقوله عز من قائل:

* ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾ [التوبة: ٦٩].

وإذا كان العطف من وسائل الربط بين المتعاطفين فربما جاء العطف فى الآية القرآنية دون أن يسبقه المعطوف عليه فيكون لمجرد التأكيد وللاستئناف كما فى قوله تعالى:

* ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] وقوله:

* ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل: ١١٣-١١٤] فقوله "فكلوا" لا يصلح للعطف على ما قبله ومن ثم تكون الفاء تأكيدًا للمعنى واستئنافًا.

والمطابقة وسيلة من وسائل الربط لأن بها يكون التشابه فى التكلم والخطاب والغيبة وفى الأفراد والتثنية والجمع وفى التعريف والتنكير وفى التذكير والتأنيث ثم بالعلامة الإعرابية فى بعض الحالات فهذه خمس نواحٍ إذا تطابق عنصران من عناصر الكلام فى واحد منها أو أكثر توثقت عرى الجملة وأحس السامع أن كلا من العنصرين ينتمى إلى الآخر وقد حدد النحاة مجالات المطابقة فقرروا أنها لازمة فى بعض التراكيب وغير لازمة فى بعضها الآخر. فتكون المطابقة مثلا بين المبتدأ والخبر وبين المنعوت والنعت وبين الحال وصاحب الحال وبين الموصول والضمير الذى يعود عليه من الصلة وهكذا. وفى تركيب القرآن رعاية للمطابقة فى معظم الأحوال ولكنه أيضًا يشتمل على عدد من التراكيب التى تستغنى عن الربط بالمطابقة فمن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤] أى خاضعة وقوله تعالى:

* ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦] أى رسولاً رب العالمين. وقوله:

* ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] أى اقتتلتا، وقوله تعالى:

* ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً ﴾ [المزمل: ١٨] أى منفطرة وقوله عز من قائل:

* ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] أى طائعتين.

والرتبة فى التركيب العربى نوعان محفوظة كرتبة الحرف مما دخل عليه الحرف وكرتبة الموصول وصلته والفعل وفاعله والمضاف والمضاف إليه والتابع والمتبوع والضمير ومرجعه وغير محفوظة كالمبتدأ والخبر وكالفعل ومفعوله وكرتبة كل من المفعولين بالنسبة للآخر. ولقد كان حرص النحاة على الرتبة المحفوظة عظيمًا لأنها تعد فى القرائن النحوية أما غير المحفوظة فهى مجال واسع لاختلاف الأساليب الفردية فكل متكلم له طريقته فى تقديم عنصر ما أو تأخيره فى الكلام. وللنص القرآنى طريقته الخاصة فى استعمال الرتبة إذ يكون حرصه عليها بمقدار ما يتعلق بها من أمن اللبس فإذا أمن اللبس استغنى عنها كما فى قوله جل شأنه:

* ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ [الكهف: ٣٨] أى لكن ربى هو الله. وقوله تعالى:

* ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ [البقرة: ٨٥] أى وإخراجهم هو محرم عليكم وقوله سبحانه:

* ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣] مرجع الواو مفرق بعضه سابق وهم الذين "كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق" وبعضه لا حق وهم أمة من أهل الكتاب يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون" فالسابقون واللاحقون "ليسوا سواء" والقرآن ينفرد بهذا الأسلوب فى الرتبة. ومن هذا القبيل قوله تعالى:

* ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ﴾ [هود: ٣٨] أى وكلما مر عليه ملأ من قومه ويصنع الفلك سخروا منه ففيه تقديم جملة الحال على صاحبها وعلى الفعل. وقوله جل وعلا:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم: ٤٨] أى فيبسطه فى السماء ويجعله كسفا كيف يشاء أى إن شاء بسطه فى السماء وإن شاء جعله كسفا فخرج منه الودق.

* ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الكهف: ٨٨] أى فله الحسنى جزاء ففيه تقديم الحال على صاحبها المبتدأ المتأخر. ومنه قوله تعالى:

* ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [طه: ٦٧] أى فأوجس موسى خيفة فى نفسه. ففيه عود الضمير على متأخر لفظًا ولكنه ستقدم رتبة وهذا شائع فى التراكيب العربية غير أنه يعد من قبيل التصرف فى الرتبة. يقول ابن مالك فى الألفية:

وشـــاع نحـــو خـــاف ربـــه عمـــر وشـــذ نحـــو زان نـــوره الـــشجر

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:

* ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٦] أى أتريدون آلهة دون الله أفكًا؟

فلفظ "أفكا" نائب عن المفعول المطلق ولكنه تقدم على الفعل. ومنه قوله تعالى:

* ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر: ٥٨] أى وما يستوى الأعمى والبصير ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والسىء فلفظ "ولا" الذى فى الآية رتبته التقديم بحيث يدخل على الذين آمنوا.

وربما أشرنا فى هذا المقام إيضًا إلى اللف والنشر المرتب فى قوله تعالى:

* ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣] أى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله فالرتبة هنا محفوظة وهى رتبه بلاغية نحوية.

وذلك عكس ما فى الآية الثالثة والعشرين من سورة الروم التى تشتمل على لف ونشر مشوش بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣] أى ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار.

ومن التراكيب القرآنية الخاصة ما نلاحظه من صور إعرابية معينة اختلفت عن مطلب القاعدة لم يعوزها أمن اللبس ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه: ٦٣] بتشديد نون "إنَّ" فى بعض القراءات وإنما أمن اللبس لأن اللام أبانت عن خبر أن فكشفت بذلك عن اسمها فالخبر هو الذى يقترن باللام إلا إذا كان ظرفًا أو جارًا ومجرورًا متقدمًا فيقترن اسم إن المتأخر باللام. ولما لم يكن هناك ظرف أو مجرور فى الآية عرفنا أن ما اتصل باللام هو الخبر فأمن اللبس حتى مع الاتساع فى الإعراب.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:

* ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ولعل أمن اللبس أولى مع إتيان "الصابرين" بالياء والنون منه مع رفعها بالواو والنون لأنها لو ارتفعت بالواو والنون لاحتمل المعنى أن يكون "الموفون" مبتدأ و"الصابرون" معطوف عليه والخبر "أولئك" وما بعدها وهو غير المعنى المقصود والله أعلم. ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢].

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩] فالصابئون معطوف على اسم إن مهما كان مشتملا على الواو والنون لأن أى احتمال آخر للمعنى فلن يستقيم فلا مناص من العطف فلما أمن اللبس بالقرائن الأخرى أصبح الإعراب أقل أهمية لحفظ المعنى. ومن ذلك قطع المفعول به بواسطة الإخبارية عن اسم إشارة مؤكد للربط فى قوله تعالى:

* ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سبأ: ٤] أى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة ورزقًا كريمًا. فالأصل فى الربط فى هذه الآية أن يتم بواسطة الضمير فى "لهم" ولكن "أولئك" جاءت لتأكيد هذا الربط.

ومن التراكيب الخاصة فى القرآن التكثير بـ "كأين" و"ما" التى تفيد الإبهام فمن الأول قوله تعالى:

* ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وقوله تعالى:

* ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج: ٤٥] وقوله جل شأنه:

* ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج: ٤٨] وقوله تعالى:

* ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. ومن الثانى قوله سبحانه:

* ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [ص: ١١].

وفى القرآن الكريم تضمين بعض العناصر اللغوية معانى بعض مع ما يتمشى مع ذلك من إعطاء العنصر المستعمل ما كان للمتروك من الوظائف النحوية. فمن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧] فالمعروف أن "استحب" لا يتعدى بعلى ولكن الذى يتعدى بها ويؤدى المعنى ذاته هو الفعل "فضل" ولا شك أن المعنى: فضلوا العمى على الهدى. ومغزى هذا أن الفعل "استحب" ضمن معنى "فضل" وجعل بحيث بحيث يؤدى وظائفه النحوية. ومن ذلك أيضًا:

* ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠] والمعروف أن المفعول الثانى لا تخذ يأتى اسمًا فإذا جاء وصفا فهو منقول إلى الاسمية فيقال مثلا: اتخذه أخا واتخذه حارسًا أو وزيرًا ولا يقال اتخذه راكبًا أو قائمًا أو قاعدًا. ومن الواضح أن لفظ "مهجورًا" هنا لم يتحول إلى الاسمية فلم يبق إلا أن يكون الفعل "اتخذوا" ضمن معنى "جعلوا". ومن هذا القبيل:

* ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ [النمل: ١٩] ضمن "ضاحكًا" معنى "عاجبا" أو "متعجبًا" لأن "ضحك من كذا" يفيد معنى السخرية وهو غير المقصود وإنما المقصود التعجب مما قالت النملة. ومن ذلك تضمين "هل" معنى "هلا" فى قوله تعالى:

* ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٣٩] ومعنى قد فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١].

أمن اللبس فى القرآن:

من طبيعة أية لغة أن تبدو فى صورة نظام ذى وحدات متشابكة العلاقات قليلة العدد ولكنها واسعة الاحتمالات لدى أداء المعنى بسبب تشابك العلاقات والعلاقات فى اللغة من نوعين:

علاقات وفاقية تعبر عن اتفاق وحدتين من وحدات النظام فى أمر ما وعلاقات خلافية تتمثل فى الفروق بين وحدة وأختها من وحدات النظام سواء أكان هذا النظام نظام الأصوات أم نظام الصرف أم نظام النحو. وواضح أن الاتفاق فى أمر من الأمور يؤدى إلى الاطراد ولكنه من جهة أخرى مدعاة إلى عدم التمييز بين الأمرين الذين حدث بينهما الاتفاق. ولقد عبر القرآن عن حيرة بنى إسرائيل فى اختيار إحدى الأبقار بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ أما الفروق فهى مناط تمييز وحدة من وحدة أخرى. ويمكن التعبير عن ذلك بعبارة بسيطة مثل: "الاتفاق مدعاة اللبس والفروق يؤمن بها اللبس".

وإذا نظرنا فى تراكيب النحو العربى وجدنا من خلالها مبدأ شاملا يمكن التعبير عنه بأنه: "تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد"[(١)] من تعدد وظائف

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٣.

الأشياء قول موسى: ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ أو نعدد المعنى المعجمى للكلمة الواحدة[1]. ونستطيع على سبيل المثال أن نسوق "ما" وهى مبنى معين يمكن أن يتعدد معناه فتكون ما موصولة أو نافية أو استفهامية أو تعجبية أو مصدرية أو زائدة أو مبهمة إلخ. ويمكن للمصدر المضاف أن تكون إضافته إلى فاعله أو إلى مفعول وللصفة بعد المتضايقين أن تكون للمضاف أو للمضاف إليه وهكذا ما لم تقم قرينة مانعة من إرادة المعنى الآخر. وقد يحدث فى غير القرآن أن يأتى الكلام ملبسًا ثم لا ينتبه صاحبه إلى اللبس فيمضى الكلام على صورته متعدد احتمالات المعنى فإذا ظفر النحوى به قال: "فيه إعرابان" ومغزى ذلك أن فيه لبسًا لعدم وجود قرينة معينة لمعنى واحد: فمن ذلك مثلا:

لبس النمط	١- بارك الله له فى ماله وولده	(لا يدرى إن كان ذلك خبرًا أو دعاء)	الخبر والإنشاء
إضافة مقدرة	٢- أنت أولى بالإنصاف	(هل المصدر على معنى الفاعل أو المفعول؟)	الإضافة للفاعل والمفعول
تعدد معنى اللام	٣- اشتريت مزرعة لزيد	(هل اشتراها من أجل زيد أو كانت لزيد فاشتراها هو؟)	الملكية والتعليل
احتمال صاحب الحال	٤- عاودته مقتنعًا بذلك	(من المقتنع)	احتمالات صاحب الحال
احتمال العطف	٥- ذهبت إلى أبناء زيد وعمرو	(هل ذهب إلى عمرو أو إلى أبناء عمرو؟)	احتمالات واو العطف
احتمال عود الضمير	٦- مات المجاهد فى سبيل وطنه	(هل مات فى سبيل وطنه أو جاهد فيه؟)	احتمالات تعليق المجرور

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٣.
قد يكون من غرض العبارة القرآنية أحيانًا أن تعمم المعنى فتعمد إلى وسيلة حذف القرينة كما فى لفظ: القرء.
أو فى تركيب: وترغبون أن تنكحوهن.

احتمال الإعراب	٧- أحببت يوم الجمعة	(هل اليوم هو المحبوب أو هو ظرف الحب؟)	احتمالات المفعولين
احتمال الوصفية	٨- دار الكتب المصرية	(هل المصرية هي الدار أو الكتب؟)	احتمالات النعت بعد المتضايفين
احتمال تقدير الضمير	٩- زيارة الأصدقاء تسعد النفس	(هل الأصدقاء زائرون أو مزورون؟)	الإضافة للفاعل والمفعول
احتمال الفاعل	١٠- رجا التلميذ الأستاذ أن يقرأ النص	(أيهما القارئ؟)	احتمالات الإضمار وعود الضمير
احتمال عود الضمير	١١- أخبر زيد عمرا أن أباه قادم	(أبو من؟)	احتمالات عود الضمير
احتمال الحرف المحذوف	١٢- رغب زيد أن يغنى	(فى أم عن؟)	احتمالات تقدير الحرف المحذوف

وإذا أنعمت النظر فى الأمثلة السابقة (وهى أمثلة لا شواهد) وجدنا أنها يمكن أن تخضع لنوع من التصنيف فمثلاً ٢، ٩ يعودان إلى وظيفة المصدر كما أن ٣، ٦، ١٢ تعود إلى وظيفة حرف الجر وأن ٥، ٨ يعودان إلى الاتباع بعد المركب الإضافى وأن ٤، ١٠، ١١ يعود إلى تردد الضميرين الفاعل والمفعول وهكذا. وليس فى واحدة من هذه الأمثلة ما يمكن أن يعيَّن معنى واحد له إلا ٨ الذى يمكن تعيين مدلوله بقرينة من خارج التركيب لأن المعروف أن الدار هى المصرية وأنها تشتمل على كتب مصرية وأخرى غير مصرية أما التركيب نفسه فلا يشتمل على قرينة مقالية.

ولكن الأمر مختلف فى أسلوب القرآن إذ يعمد النص القرآنى إلى إيراد ما يؤمن به اللبس فيتضح معه المعنى ويذهب تعدد الاحتمالات. وقد يكون هذا الإيضاح واحدًا مما يلى:

١- قرينة خارجية.

٢- آية قرآنية أخرى غير التى فى التركيب.

٣- احتراس بلفظ معين فى الآية نفسها.

أ - لبيان معنى نحوى لأحد الأبواب.

ب - لبيان معنى معجمى لإحدى المفردات.

ولقد استخرجت من القرآن الكريم شواهد لهذه الظاهرة من حيث وجدت التركيب النحوى يسمح بأكثر من احتمال للمعنى ولكن القرآن يحول دون اللبس بقرينة خارجية أو آية أخرى أو بلفظ معين فى الآية كما شرحت منذ قليل. وكانت الأسباب الداعية إلى اللبس (فى التركيب لا فى القرآن) تعود فى جملتها إلى تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد أو تعدد المعنى المعجمى للكلمة الواحدة. ونبدأ ببيان اللبس الناشئ عن تعدد معنى الكلمة المفردة.

١- معانى كلمة كافة:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].

لكلمة "كافة" معنيان:

الأول: كافة = اسم فاعل من كف يكف + تاء المبالغة كالتى فى "علامة" و"فهامة" و"همزة" و"لمزة" والمعنى أن النبى يكف الناس عن الشرك.

الثانى: كافة = جميعًا وعلى هذا المعنى يشتمل التركيب على تقديم الحال وهى لفظ "كافة" على صاحبها وهو "الناس".

وتخلو الآية بالمعنى الأول من النص على عموم الرسالة الإسلامية وهو ما يشتمل عليه المعنى الثانى ويشهد لإرادة المعنى الثانى قوله تعالى فى آية أخرى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ ﴾ [التوبة: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

٢- معانى كلمة "بدا":

يمكن أن يراد بكلمة "بدا" أحد المعنيين الآتيتين:

أ- ظهر وعن.

ب- سكن البادية.

فإذا وردت هذه الكلمة فى النص القرآنى اتبعها القرآن بما يُعَيِّن أحد المعنيين فحين أراد المعنى الأولى قال تعالى: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ﴾ [هود: ٢٧].

وحين أراد المعنى الثانى قال سبحانه: ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

٣- معانى كلمة رأى:

يمكن أن يقصد بكلمة رأى أن تكون بصرية أو ظنية أو حلمية فعلى المعنى الأول تكون "رأى" بمعنى أبصر وعلى الثانى تصبح بمعنى كان له رأى وعلى الثالثة حلم. والرأى مصدر فيهما ولكن الرؤية خاصة بالمعنى البصرى فى الأغلب والرؤيا فى معنى الحلم وإذا وردت مشتقات هذه المادة فى القرآن خصص القرآن معناها بحيث يذهب عنها اللبس كما يتضح فى قوله تعالى:

أ- ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ [آل عمران: ١٣] فلما وردت كلمة يرونهم مثليهم احتملت البصرية والظنية ولما كان المعنى على البصرية دون الظنية نص على ذلك بقوله "رأى العين" ليذهب اللبس.

ب- ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨] ففى قوله تعالى: ﴿ تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ ﴾ لا يحتمل اللبس لتعين إرادة المعنى البصرى ولكن فى قوله: ﴿ إِنِّى

بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ احتمال لم يذهب به إلا قوله: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ فالخوف يتضمن رأيًا ظنيًا. وكذلك ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [هود: ٢٧].

جـ - ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ [يوسف: ٤٣] وفى أرى هنا احتمال ذهب به قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ ﴾.

هنا تبدأ القول فى احتمالات الوظائف النحوية بعد أن فرغنا من بعض الشواهد على معانى المفردات. وفيما يلى طائفة من صور متعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد واحتباط النص القرآنى دون نتائج هذه التعدد.

٤- احتمالات مقول القول:

أ - فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢] ليس فى التركيب ما يحول نحويًا بين ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ وبين أن تكون جزءًا من مقول القول ولذا فرض القرآن سكتة قصيرة فى القراءة بعد لفظ ﴿ مَّرْقَدِنَا ﴾ يتعين معها أن يكون ما بعدها استئنافًا وليس جزءًا من قولهم.

ب- قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٦٥] هنا أيضًا ليس فى التركيب النحوى ما يحول دون أن تكون "إن" وما بعدها من مقول القول ولذا اشتملت التلاوة على وقف لازم على لفظ "قولهم" يتعين به أن يكون ما بعده استئنافا.

٥- معانى اللام:

بالإضافة إلى تعدد معانى اللام إذا كانت حرف جر نجد لها معانى أخرى غير ذلك كأن تكون لام أمر مثلا. والله تعالى يقول: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]. فيحتمل لفظ ﴿ لِتَعْلَمُوٓا ﴾ معنى التعليل ومعنى الأمر ولكن المعنى الأول يرجحه ذكر السبب قبل اللام بقول تعالى: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ فذلك التنزل إنما كان يقصد الأعلام.

٦- احتمالات المعطوف عليه:

أ- قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [النساء: ٧٥] فيمكن أن يكون المعطوف على لفظ الجلالة هم المستضعفين من الأنواع الثلاثة أو من الرجال فقط وقد عطف عليهم النساء والولدان ويرجح المعنى الأول قوله تعالى فى سورة النساء ١٢٧: ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ ﴾.

ب- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩] يمكن من الناحية الصناعية الصرف أن نعطف ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الثانية على ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الأولى وتحل سخرية الله عليهما ويمكن أن نعطف ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الثانية على ﴿ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾ فتحل السخرية على الذين الأولى فقط وهو المعنى المقصود لأن المعنى الأول يمتنع يكون الذين لا يجدون إلا جهدهم لا يسخرون من المطوعين بل يغبطونهم لقدرتهم على التطوع. وقد عفا الله عمن لا يجدون إلا جهدهم بقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يُسْخر منهم. بذلك يتعين المعنى الثانى وهو العطف على ﴿ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾.

﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٢٤] قارن: ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

[التوبة: ١١٢] إذ لم يكن هناك داع للعطف لاجتماع الصفات فى موصوف واحد إلا فى الحالة الأخيرة حيث تعددت الوظيفة بين الأمر والنهى.

٧- معانى الواو:

أ - قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧] يحتمل فى معنى الواو من قوله ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ أن تكون عاطفة على لفظ الجلالة أو استئنافية ولكن يشهد للمعنى الثانى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ وهم أهل العلم وإنما كان تذكرهم إيمانهم الذى اعترفوا به.

ب - قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨] يسمح التركيب النحوى للواو من قوله ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أن تكون عاطفة على لفظ الجلالة فيكون المعنى "شهد الله والملائكة" وأولو العلم" أو على الضمير فيكون المعنى الذى يتنزه الله عنه ولهذا احتاط النص القرآنى من اللبس بإيراد الحال وصاحبها مفرد لاستعداد فقال ﴿ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ وبعدها ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

جـ - قال تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦] من المقرر فى معانى الحروف أن الواو قد تأتى بمعنى (أو) ولو صرفنا الواو التى عطفت السبعة إلى هذا المعنى لكان المطلوب صيام ثالثة أيام إذا تم الصيام فى أيام الحج أو سبعة إذا تم بعد الرجوع ولكن هذا المعنى غير المقصود ولذلك جاء قوله تعالى بعد ذلك ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ لتجمع السبعة إلى الثلاثة وتخص الواو بمعنى المشاركة وتنفى معنى التخيير.

٨- الربط بالسابق أو اللاحق:

قد تصلح الكلمة فى جملة بعينها أن ترتبط بكلمة أخرى سبقتها فى الجملة أو

كلمة ثالثة تأتى بعدها فيختلف معنى الجملة اختلاف هذا الربط النحوى. وفى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤] لا يمنع مانع نحوى أن يكون لفظ ﴿ أَنفُسَهُمْ ﴾ تأكيدًا معنويًا للناس أو أنى يكون مفعولا مقدمًا ليظلمون ولما كان المعنى الثانى هو المقصود عززه النص القرآنى بآيات أخرى تشهد له منها قوله تعالى: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٧].

٩- الصفة النائبة عن المفعول المطلق تتشابه مع الحال أو مع نعت المنصوب أو المفعول:

هذه الأمور من قبيل واحد منصوب وقد يحدث أن تختلط فى الهم أحيانًا فإذا ورد من ذلك شىء فى القرآن جاء معه ما يزيل التشابه ويعين المعنى فمن ذلك:

أ – قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٣] ففى ﴿ قَلِيلًا ﴾ و﴿ كَثِيرًا ﴾ احتمال المفعول الثالث للفعل "أرى" وهو المعنى المقصود واحتمال آخر غير مراد هو الغيابة عن المفعول المطلق والمعنى على الأول يريكهم قليلين وعلى الثانى يريكم مرات قليلة. ولكن الاحتمال الثانى ينتفى بنص الآية التالية التى تشتمل على قوله تعالى: ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾.

ب – فى قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٤] يحتمل التركيب فى ﴿ كَثِيرًا ﴾ أن تكون نائبة عن المفعول المطلق من ﴿ وَٱدْعُوا۟ ﴾ أو أن تكون نعتا للثبور. والذى يعين المعنى الثانى ما سبق من قوله تعالى: ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا ﴾.

١٠- اتفاق بنية اللفظين:

قد تتفق صورة اللفظين ويختلف معناهما الوظيفى أو المعجمى فينشأ بينهما الجناس ويحيط بهما اللبس فإذا ورد من ذلك شئ فى القرآن كان للنص من القرائن الحالية أو المقالية ما يعيّن معنى واحدًا للكلمة، وستضرب لذلك أمثلة اثنان منها لا

اتفاق الصورة واختلاف المعنى الوظيفى والثالث لاتفاقها مع اختلاف المعنى المعجمى.

الأول: قال تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩] والمعروف أن لفظ ﴿ تَقَاسَمُوا ﴾ يصلح فعلا ماضيًا كما يصلح أن يكون أمرًا فلو كان ماضيًا لأعرب بدلاً من "قالوا" وتعلق به الجار والمجرور بعده أو كان الجار والمجرور بداية مقول القول. وإذا كان أمرًا فهو ابتداء مقول القول وليس للجار والمجرور إلا أن يتعلق بالفعل.

ويشهد لإرادة المعنى الثانى دون الأول أن منطوق الآية كشف عن قصة التدبير والمكيدة التى يدل عليها قولهم ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ﴾ وإذا كان الأمر كذلك فإن على كل منهم أن يقسم ألا يشى بالآخرين ومن هنا طُلب القسم والاستيثاق من الكتمان.

الثانى: قال تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ [النمل: ٣٩] وقال أيضًا: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠] وفى النصين نجد لفظ ﴿ ءَاتِيكَ ﴾ تصلح فعلا مضارعًا فاعله مستتر ومفعوله الكاف وكذلك تصلح اسم فاعل مضافا إلى الكاف، والذى يرشح المعنى الأول أنهما كانا يعرضان إيقاع حدث لم يقع ويناسبه الفعل المضارع أما اسم الفاعل المضاف فإنه يدل على وقوع الحدث فعلا وعلى هذا جاءت قصة الحوارين الكسائى وأبى يوسف القاضى بمحضر الرشيد.

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧] ويصلح لفظ بأيد لمعنيين أحدهما الأيدى (جمع يَدٍ) والثانى الأَيْدُ (وهو القوة) ومنه التأييد أى التقوية ويشهد للمعنى الثانى أن الله إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون. وأما قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥] أى بدون عون أو وكيل.

١١ - الاحتراس بعد التسوية:

أ - قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٥] فقد سوى بين الفريقين فلم يعين من منهما له عاقبة الدار ثم حدد صاحب العاقبة الطيبة عندما أومأ إلى وصف القوم بالظلم.

ب - قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] فقد تساوت الاحتمالات فى صدر الآية فلم يعرف من الذى يخرج خصمه فلما التبس الأمر جاءت بقية الآية لتعين المعنى المقصود.

١٢ - احتمالات صاحب الحال:

أ - قال تعالى: ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام: ٧٩] فإذا نظرنا إلى التركيب من الناحية النحوية البحتة أمكن أن يكون صاحب الحال هو التاء فى وجهت أو لفظ وجهى ولكن المعنى الأولى يتعين عند قراءة قوله تعالى: ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝ حُنَفَآءَ ﴾ [الحج: ٣٠].

ب - قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يونس: ١٠٥] احتمالات صاحب الحال هنا ثلاثة: الضمير المستتر فى "أقم" ويعززه الكاف من "وجهك" ثم لفظ "وجهك" ثم لفظ "الدين" ويعزز المعنى الأولى توجيه النهى بقوله "ولا تكونن" إذ يكون أَمَرَهُ بشىء ونهاه عن ضده أى أمره أن يكون حنيفًا ونهاه أن يكون مشركًا.

١٣ - تعليق الجار والمجرور:

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾ [الأحزاب: ١٦].

أ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا

﴿كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠] فيمكن من جهة الصناعة الخالصة أن تعلق الجار والمجرور "منهم" بحال مقدرة من "الذين" وتكون "من" بمعنى البعضية وأن نعلق الجار والمجرور بالفعل "سخروا" وهو المعنى المطلوب الذى يشهد عليه قوله: "به يستهزئون" لأن المستهزئين هم الساخرون وفعلهم مبنى للمعلوم ولكن فعل الرسل مبنى للمجهول.

١٤- التباس النعت والخبر:

أ - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]. لو وقفنا عند تركيب الآية الأولى فقط لقام احتمال أن يكون "الذين آمنوا" مبتدأ مستأنفًا وما بعده خبر ولكن عطفه على الله ورسوله فى الآية الثانية أبطل هذا الاحتمال وبذلك أمن اللبس.

ب - قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠] وليس فى التركيب ما يحول من حيث الصفة أن يكون "الذين خسروا" صفة للأبناء غير أن المعنى لا يستقيم مع وجود قرينة على غيره لأن تشبيه معرفتهم بالنبى إنما هو بمعرفتهم لأبنائهم مطلقًا وليس بأبنائهم الذين خسروا أنفسهم ولسنا نعرف من أبنائهم من خسر نفسه ومن لم يخسر نفسه حتى يكون مشبهًا به أما المراد فهو أن تكون الذين خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره "أولئك". أو أن «الذين» الثانية وصلتها نعت للأولى أو بدل منها.

جـ - قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] يحتمل التركيب أن يكون "الرحمن" نعتا لربنا أو خبرًا عنه وعلى الأول يكون "المستعان" خبرًا وهو المعنى الذى تدل عليه قرينة الحال لأن الموقف موقف استعانة لا تسبيح.

١٥- الحذف والذكر:

أ - قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء: ١٢٧] أن عدم ذكر حرف الجر بعد "ترغبون" مقصود ليعم الفعل حالتين من حالات يتامى النساء ذوات الأموال فالواحدة منهن أما أن تكون جميلة فيكون المعنى "وترغبون فى" أو قبيحة دميمة فيكون المعنى "وترغبون عن" وهو فى كلتا الحالتين يحبسها عن زواج غيره لرغبته فى الاستئثار بالتصرف فى مالها.

ب - قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٤] يحتمل التركيب من الناحية النحوية الصرف تقديرين: الأول أن تكون "الذين" مرجعا للواو فى يدعون فيكون المفعول به مبهمًا والمعنى "يدعون غيره" والثانى أن يكون الذين مرجعا لضمير مفعول محذوف والتقدير" والذين يدعونهم من دونه" وهذا هو المعنى المراد لأن دلالة الواو فى "يستجيبون" تتصرف إلى مدلول الضمير المحذوف لا المذكور وهو المطلوب ولا ينبغى للواو أن تعود على "غيره" لاختلافهما جمعًا وإفرادًا (انظر رقم د أيضًا).

جـ - قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] كرر لفظ البنات مع العمات والخالات لئلا توهم العبارة أن العمات والخالات حلال له.

د - قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠-٢١] يجعل هذا تذييلا للنقاش فى (ب).

١٦- بنية الكلمة:

أ - قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٢] ويلاحظ أن لفظى "قيامًا" و"قعودًا" يصلحان جمعا لقائم وقاعد كما يصلحان مصدرين للفعلين "قام" و"قعد" على الترتيب وفى كلتا الحالتين يعربان حالا ولكن الذى يحدد المعنى على إرادة الجمع هو قوله "وعلى جنوبكم" لأن ذلك يجعل المعنى على تحديد البيئات أى قائمين وقاعدين ومضطجعين وهذا أولى وأوجه من المعنى الآخر.

ب - قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقد كان يمكن للسامع أن يفهم "بُشْرًا" بمعنى "بُشْرَى" لولا أمران:

الأول التنوين فى "بُشْرًا" مما يصرفها عن معنى ألف التأنيث المقصورة لأن المقصورة لا تنون عند إرادة التأنيث وأن نونت فيما عدا ذلك مثل فَتى وعَصًا.

والثانى أن ما يتلو هذا اللفظ "يُعَدُّ شرحًا له فالرياح البشر جمع بشور وهى التى حددت الآية معناها بأنها: ﴿ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾.

١٧- إياك أن .....:

فى التراكيب العربية تركيب يسمى التحذير يبدأ بإياك أن تفعل أى أحذرك من أن تفعل وقد تنقلب صورة الكاف بحسب المدلول فيقال أياكما وأياكم وأياكن إلخ.

وقد كان يمكن لولا اشتمال الآية على ما يدل على غير ذلك أن يؤدى التركيب إلى إفهام التحذير فى قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة: ١] فإن وصفه سبحانه وتعالى بالربوبية وإثباتها له يحول دون نسبة الواو خطأ إلى معنى الاستئناف ومن ثم دلالة ما بعدها على التحذير.

١٨ - إعادة الضمائر:

أ - قال تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧] وقد انزاح اللبس بتكرار الوالدين والأقربين لأنه لو جاء بضميرهم فقال "مما تركوا" لاحتمل عود الضمير إلى الرجال.

ب - قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٠] يصلح الضمير فى "بذنوبهم" أن يعود فى الصناعة على الوارثين أو على الموروثين ويمنع المعنى الثانى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨] فلا يؤخذ امرؤ بذنب غيره.

جـ - قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] التركيب يحتمل من حيث الصناعة أحد أمرين على النحو التالى:

الأول: ولينصرن الله من شاء نصره من عباده.

الثانى: ولينصرن الله من أطاعه من عباده.

١٩ - احتمالات الإضافة:

أ - قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] فى التركيب مبتدأ مقدر بعد الفاء فى "فاخوانكم" وهذا المقدر محتمل أن يكون ضميرًا أى فهم إخوانكم كما يحتمل أن يكون المبتدأ "فآباؤهم" فعلى الأول هم الأخوان وعلى الثانى آباؤهم الأخوان والمراد الأول لأن المقام مقام الحاق الأبناء لا تكليف الآباء. وهذه قرينة حالية. وهناك قرينة أخرى مقالية هى قوله "فإن لم تعلموا".

ب - قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ

أوتوا ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٠] يحتمل التركيب عطف "من اتبعن" على التاء فى أسلمت وهو المعنى المراد ولكنه أيضًا يصلح فى الصنعة أن يعطف على لفظ الجلالة ويمنع ذلك أن الآية تدعو إلى سؤال أهل الكتاب والأميين أن يكونوا ممن اتبعه وأن يسلموا وجههم لله. ومن ثم يكون من شأن أتباعه أن يسلموا وجههم لله سبحانه وتعالى وليس من شأنه أن يسلم وجهه لأتباعه أو لغير الله مطلقًا.

جـ - قال تعالى: ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ [الأنعام: ٩٩] يحتمل التركيب أن يعود الضمير على نبات كل شيء أو إلى الثمر نفسه ولكن يشهد للمعنى الثانى أن الاستعمال جرى بنسبة الينع للثمر لا للنبات فيقال: اينعت الثمرة ولا يقال: أينع النبات.

٢٠- احتمالات معانى "ما":

أ - يقول الله تعالى: ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨] ولو أخذنا التركيب الأخير من الآية وهو قوله: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ بمفرده لكان من وجهة النظر الشكلية قابلاً لأن تكون "ما" موصولية أو نافية. ولكن الجزء الأول للآية من جهة وما يعرف للأبرار من استحقاق الخير عند الله يحولان دون اعتقاد معنى النفى بالنسبة إلى "ما".

ب - قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩] ولو أخذنا قوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ وعزلناه عن سياق الآية لاحتملت "ما" أن تكون نافية وكان المعنى: ولم تنفقوا شيئًا يستحق أن يخلفه الله. ولكن الذى يحدد معنى الشرط للفظ "ما" أمران:

الأول أن المقام مقام بيان ارتباط بسط الرزق وقدره بمشيئة الله وليس مقام ترتيب الإخلاف على الإنفاق لأن الله تعالى قد يخلف من المفقود والتالف إلخ.

الثانى أن اختتام الآية بقوله: "وهو خير الرازقين يناسب إرادة الإخلاف لا الإمساك وإذا أريد الإخلاف فالمناسب أن تكون "ما" شرطية كما هو واضح.

جـ - قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧] تحتمل "ما" فى التركيب أن تكون نافية أو شرطية ويحول دون معنى النفى أن نفى السؤال لا ينسجم مع إعادة الضمير على الأجر وإعادته إليهم لأنه لم يسأله ولم يأخذه وبذلك يكون فى عبارة "فهو لكم" ما يؤيد معنى الشرط لأنه جواب الشرط.

د - قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦] يصلح المعطوف على "ما تلوته" أن يكون "وما أدراكم" وأن يكون "ولا أدراكم" ولكن الأول يحتمل النفى والتعجب فأزاح القرآن اللبس بالعطف بواسطة "لا" وهى لا تحتمل إلا النفى فى هذا الموضع.

هـ - قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٢] يحتمل التركيب من حيث الصناعة أن تكون ما تعجبية وأن تكون استفهامية ولكن الذى يعين الاستفهام فى الآية هو وجود الجواب واشتماله على تحديد مكانهم وعلة سبقه: وبهذا أزاح القرآن اللبس.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

حرجا:	مفعول به	أو لأجله؟
	يجدوا متعد لمفعول واحد	يجدوا لازم أى يُكِنُّوا مَوْجِدَةً

وجد: قد يلزم أو يتعدى لواحد أو يتعدى لاثنين.

الاعتراض فى القرآن:

الاعتراض إدخال عنصر فى مجرى السياق المتصل لا ينتمى إلى هذا السياق ويكون بجملة تسمى الجملة الاعتراضية، ولكون هذه الجملة لا تنتمى إلى سياق الكلام لا يكون لها محل من الإعراب لأنها لم تحل محل مفرد من مفردات هذا النص. وللاعتراض وظيفة بلاغية هى المبادرة بإبلاغ معنى قد يرد على الكلام بدونه مِمَّا لا يرد عليه فى وجوده. وأمثلة ذلك كثيرة فى القرآن الكريم يمكن أن نورد منها ما يلى:

١- الله سبحانه عالم بكل شىء فهو: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] وهو تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد: ٨] ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ [فاطر: ١١].

ومن ثم لم يكن مفتقرا إلى أن تخبره امرأة عمران حين وضعت مريم أنها وضعتها أنثى لأنه أعلم بما وضعت: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٣٦] فقوله والله أعلم بما وضعت اعتراض داخل على كلامها الذى هو ﴿ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ ووظيفة الاعتراض هنا المبادرة بالتنبيه على أن الله غنى عن استقاء المعلومات لأنه يعلم كل شىء.

٢- لقد أمد الله المسلمين فى بدر بالملائكة فنصرهم ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ١٠] والله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] وإذا كان الأمر كذلك فإن النبى ليس له من الأمر شيء. ومن ثم كان الاعتراض فى سياق النص فى قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ۝ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٧-١٢٨] فالله تعالى إنما أنزل الملائكة وحقق النصر للمسلمين لأحد هذه الأسباب ولما لم يكن المسلمون أو النبى ﷺ هو الذى حقق النصر بنفسه كما يظن الآخذون بمعطيات الحواس بادر القرآن بالاعتراض ليرفع هذا الوهم حتى من ذهن النبى نفسه.

٣- وقد يكون الغرض من الاعتراض البدار با زجاء البشرى بالفرج فى مقام الضيق كما فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فلقد ذكر الله طوائف المتقين فجعل منهم الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والذين إذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا على ما فعلوا فكان من المناسب بالنسبة للطائفة الأخيرة أن يبادر النص بالبشرى لطمأنة القلوب التائبة فيأتى بالجملة المعترضة قبل تمام الكلام.

٤- حدد الله سبحانه وتعالى المحارم من النساء فى سورة النساء [٢٣-٢٤] ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ بقوله: ففى

هذا السياق اعتراضان:

أ - "فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم".

ب - "إن الله كان غفورًا رحيمًا".

فالأول لدفع توهم أن ابنة الزوجة تحرم مطلقًا لأن عبارة "اللاتى دخلتم بهن" قد لا تثير انتباه السامع فيعمم الحكم فجاء الاعتراض لدفع ذلك وإنما لم يعترض بعد قوله: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ بقوله مثلا فإن لم يكونوا من أصلابكم فلا جناح عليكم لسببين: الأول أن الإسلام منع التبنى وقال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥] والثانى أن قصة زيد أبن حارثة جاءت بتفصيلها فى القرآن لتبين هذا الحكم فلم يكن هناك داع للاعتراض فى هذه الآية.

أما الاعتراض الثانى فقد جاء لبيان الحكم فيما قد سلف فبين أن الله غفور رحيم بالنسبة لما سلف من هذه المخالفات.

٥- وقد يكون الاعتراض للتنديد والإنكار كما فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٧٢-٧٣]. فهؤلاء المبطئون ينتهزون كل فرصة للتخلص من تبعات المشاركة فى الغزوات ويطمحون مع ذلك فى الفوز بما يفوز به المسلمون من نصر وغنيمة. وهذا موقف لا نصيب له من الأمانة وحسن الخلق وبخاصة إذا علمنا أنهم يظهرون المودة للمسلمين ويمنحهم المسلمون المودة أيضًا فبين الفريقين فى ظاهر الأمور مودة. فإذا قال هذا الصنف من الناس ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ فإن ذلك أمر يستدعى الاستنكار فما الذى منعه أن يكون معهم والمودة قائمة والجهاد مفروض على كل مسلم بهذا جاء الاعتراض بين فعل القول ومقول القول.

٦- أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ فى الآية الرابعة والثمانين من سورة النساء بأمرين: أن يقاتل فى سبيل الله وأن يحرض المؤمنين وقد أراد بالنسبة للأمر الأول أن يطمئنه إلى أنه غير مسئول عن الخالفين من المسلمين ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠] فحسب النبى أن يباشر القتال بنفسه أما بالنسبة للمسلمين فيجزئه أن يحرضهم على القتال. لهذا قال تعالى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء: ٨٤] فجاء الاعتراض بين المتعاطفين.

٧- وقد يكون الاعتراض لتكذيب زعم كاذب كالذى نراه فى آيات سورة النساء (١٥٥-١٦١) عندما تعددت المتعاطفات وكان من بينها زعم اليهود أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فجاء الاعتراض لتكذيبهم ثم عادت الآيات لإ كمال المتعاطفات وذلك قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ وهنا يأتى الاعتراض الأول بقول تعالى: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ويستمر العطف:﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ثم يأتى الاعتراض الآخر: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ ثم يلخص كل المتعاطفات السابقة بوصفها بأنها ظلم ويعاود العطف عليها فيقول: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٥-١٦١].

٨- وقد يكون الاعتراض بقصد تأكيد الإجمال بواسطة التحديد كما فى قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ ولما كان هذا المنزل قد ذكر على وجه الإجمال فقد جاء الاعتراض بقوله: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ ليبين المحتوى وأن ما اشتمل عليه القرآن هو من علم الله. ثم عاد إلى العطف على لفظ الجلالة فقال: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

٩- وصى الله رسوله أن يتلو على الناس ما حرم الله عليهم فكانت المحرمات هى الشرك وقتل الأولاد وقربان الفواحش وقتل النفس وقربان مال اليتيم وقد جاء الاعتراض عند النهى عن الشرك بقوله :وبالوالدين إحسانًا" وعند النهى عن قتل الأولاد بسبب ما يعانيه الآباء من الإملاق بقوله: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ثم جاء الاعتراض بالفاصلة بعد النهى عن قتل النفس إلا بالحق فقال: "ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون" ونص الآية فى جملتها كما يلى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

فالاعتراض الأول ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ لدفع الظن بأن الإحسان إلى الوالدين إشراك لهما مع الله. والاعتراض الثانى وعد لمن يعانى الأملاق فيقتل أولاده لهذا السبب أن الله سيرزقه ويرزق أولاده أيضًا ويرزق عياله والثالث وهو ﴿ ذَٰلِكُمْ

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ للفاصلة والرابع وهو ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ للمطالبة بحسن القصد بقطع النظر عما يقع من غير قصد. والخامس ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ للفاصلة.

١٠- يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] أن فكرة التبديل فى ذاتها غير مستحبة إلا أن يحيط بها من الأمان ما يجعلها مقبولة وذلك لأن الكتب السابقة قد لحقها التبديل وكان ذلك موضع سخط من الله تعالى كما قال فى القرآن الكريم. ومن هنا تطلب الموقف بعد إيراد الفعل "بدلنا" فى الآية أن يرد معه ما يشير إلى أن هذا التبديل غير ذلك فجاء الاعتراض بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾.

١١- عندما أشار الله سبحانه فى سورة ص إلى الحميم والغساق الذين أعدهما للطاغين فى جهنم جاء بالجملة المعترضة "فليذوقوه" ليكون ذلك أبلغ فى تهديدهم ووعيدهم وذلك بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٥-٥٨].

١٢- قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

ابتدأ الله تعالى بالحق ثم عززه بتأكيده بجملة اعتراضية تقدم مفعولها للاهتمام به فكأنه يقول الحق ولا أقول إلا الحق لأملأن ففائدة الجملة المعترضة هنا التأكيد.

١٣- لم يُقدر المشركون الله حق قدره وحين بين القرآن هذه الحقيقة جاء بجملة معترضة تشير إلى قدره سبحانه وتعالى قبل أن ينزهه عما يشركون فكان مما يدل على عظمة هذا القدر ما جاء فى الجملة المعترضة ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا

﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهكذا جرت الآية على النحو التالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

١٤- عندما يأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يأتى بعد ذلك التأكيد بأن ما وعده الله من جزاء الصابرين يوم الحساب حق وأنهم يوفون أجرهم بغير حساب ثم يعود النص إلى الأمر بعد الصبر بالاستغفار والتسبيح فيقول الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

١٥- إذا روى القرآن لما يقوله المنافقون بألسنتهم من التصديق برسالة النبى ﷺ ويريد أن ينسب الكذب إلى نواياهم دون قولهم فإن ذلك يأتى عن طريق الاعتراض الذى يحول دون انصراف التكذيب إلى ما قالوه من تصديق النبوة وهذا غاية فى البلاغة. يقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

ثم يبادر الله بتصديق هذه الحقيقة فيقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ ثم يكذب نوايا المنافقين لأنهم يقولون ما لا يضمرون فيقول: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

١٦- أراد الله سبحانه أن يؤدب المسلمين بأدب الإسلام فى تعاملهم مع رسول الله ﷺ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ وأراد منهم إذا دعوا إلى طعام إلا يبكروا فى الحضور انتظارًا لنضجه وألا يبقوا بعده لمجرد الاستئناس بالحديث فقال: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ ولكنه قبل أن يعطف قوله ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ اعتراض بجملة يبدء

بها المطلوب منهم فقال: ﴿ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ ﴾ ثم يبين لهم أن النبى ﷺ كان يتأذى بمن يبقى فى بيته دون داع فقال ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وعلى النحو التالى تجرى الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١٧ - قال تعالى: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩].

أى هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك.

الالتفات:

الالتفات ظاهرة من ظواهر المطابقة وعدمها أو قل إن شئت أنه ضرب من الترخص فى المطابقة والمعروف أن المطابقة تكون فى الأمور الآتية:

١ - الإفراد والتثنية والجمع.

٢ - التكلم والخطاب والغيبة.

٣ - التذكير والتأنيث.

٤ - التعريف والتنكير.

٥ - العلامة الإعرابية.

ولكن الموضوع الذى ندرسه لا يشمل الترخص فى مطابقة التعريف والتنكير ولا فى مطابقة العلامة الإعرابية وإنما يقتصر على المحاور الثلاثة الأولى التى مسرحها الضمائر كما يبدو فيما يلى:

	تكلم		خطاب		غيبة	
	تذكير	تأنيث	تذكير	تأنيث	تذكير	تأنيث
إفراد	أنا	أنا	أنتَ	أنتِ	هو	هى
تثنية	نحن	نحن	أنتما	أنتما	هما	هما
جمع	نحن	نحن	أنتم	أنتن	هم	هن

فليس مما تتميز به الضمائر إعراب ولا تعريف وتنكير لأنها جميعًا تعد من قبيل المعارف. وينبغى أن نشير هنا إلى أن القاعدة النحوية أن يعامل الاسم الظاهر فى المطابقة معاملة ضمير الغائب المفرد إن كان مفردًا والمثنى أن كان مثنى والجمع إن كان جمعًا.

ولكن الالتفات إن كان انتقالا من أحد محاور المطابقة المبينة منذ قليل إلى محور آخر فمن الممكن أن ينتقل من مفهوم اجتماعى إلى مفهوم اجتماعى آخر مع اتحاد المحور النحوى لأن المحور النحوى قوامه المعانى العامة كمطلق الغيبة ومطلق الحضور ومطلق التذكير والتأنيث ومطلق المتكلم والخطاب والغيبة ولكن الفهم الاجتماعى قد ينقلنا فى خلال المعنى النحوى الواحد من مفهوم إلى مفهوم آخر كما فى قوله تعالى فى سورة البقرة:

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧] ثم يعلق ظرف الزمان "إذ" بالفعل "اذكروا" عددًا من المرات على النحو التالى:

* ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ٤٩].

* ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠].

* ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥١].

* ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣].

* ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٥٤].

* ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥].

* ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ [البقرة: ٥٨].

* ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

* ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ [البقرة: ٦١].

* ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ [البقرة: ٦٣].

* ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧].

ثم يلتفت النص من جماعة مخاطبين إلى جماعة مُخَاطَبِينَ آخرين فينتقل من مخاطبة بنى إسرائيل إلى مخاطبة المسلمين فلم يحدث تغير فى محاور المطابقة (الجمع والخطاب) ولكن حدث الالتفات فى المقصود الاجتماعى (بنو إسرائيل والمسلمون) فقال تعالى ملتفتًا عن بنى إسرائيل إلى المسلمين:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقد يكون فى النص الواحد التفات نحوى والتفات اجتماعى جنبًا إلى جنب كما فى قوله تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ [البقرة: ٢٤-٢٥] فقد كان الالتفات النحوى من الجمع فى "تفعلوا" إلى الإفراد فى "وبشر" وكلاهما خطاب أما الالتفات الاجتماعى فقد كان من الكافرين إلى النبى ﷺ وهذا كثير فى الالتفات وعليه عدد من الشواهد التى نوردها فى هذا المقام. كما فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٠٧-١٠٨] ففى الآية عدول عن خطاب المفرد إلى خطاب الجماعة والمفرد المسئول بعد الهمزة هو النبى ﷺ فقط والجماعة المسئولون بعد "أم" هم المسلمون دون النبى. فتحقق الالتفات نحويًا واجتماعيًا. ومنه أيضًا قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجر: ٢٤] فقد تحقق الالتفات نحويًا بالفرق بين "منكم" و"ربك" واجتماعيًا بأن المقصود بقوله "منكم" جميع الخلق وبقوله "ربك" النبى ﷺ وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨-٩]. فالالتفات النحوى فى هذه الآية يتمثل فى الاختلاف بين الكاف فى "أرسلناك" والواو فى "تؤمنوا" كما يتمثل الالتفات الاجتماعى فى أن المقصود بالأول النبى ﷺ وبالثانى الناس المخاطبون برسالته والمطالبون بالإيمان بالله ورسوله وبالتعزيز والتوقير والتسبيح لله سبحانه وتعالى.

وأُسَمّى الالتفات نحويًا فقط حين يتحد المدلول وتختلف الضمائر التى تشير إليه. وهذا أيضًا كثير شائع فى القرآن وربما كان أكثر شيوعًا من سابقه بدليل أن

الدارسين الذين لم يفرقوا بين هذين النوعين يفهمون "الالتفات" دائمًا هذا الفهم النحوى الخالص فيما أعلم ولا يرد على بالهم أن يكون الالتفات اجتماعيًا فقط كما فى آيات البقرة التى أوردناها أول الشواهد فقد اتحد ضمير جماعة المخاطبين ولكن المخاطبين اختلفوا فكانوا فى البداية بنى إسرائيل (اذكروا نعمتى) وفى النهاية فيما عدا ذلك من شواهد الالتفات. أما شواهد الالتفات النحوى الخالص فهى كما يلى:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧] فقد عاد على الوجوه ضمير المؤنثة الغائبة أولا وضمير جماعة الغائبين ثانيًا والوجوه واحدة فى الحالتين والمراد أصحاب الوجوه.

٢- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦] المقصود المشركون فى الحالتين ولكن الضمير الذى أشار إليهم هو ضمير جماعة الغائبين فى "ألم يروا" والذى أشار إليهم ثانيًا ضمير جماعة المخاطبين فى "لكم". اتحد المدلول واختلفت الضمائر.

٣- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [يونس: ٢٢] انظر إلى اختلاف الضميرين فى "كنتم" و"بهم" والمدلول واحد.

٤- قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٥-١٦] قارن "لعلكم" و"هم" أو "تهتدون" و"يهتدون" والمدلول واحد.

٥- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ

﴿ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ [طه: ٥٣] أى أخرجنا أَصْنَافًا شَتَّى فمرجع الضمائر فى جميع الحالات هو الله سبحانه وتعالى ولكن وازن بين "الذى جعل" و"سلك" و"أنزل" و"أخرجنا".

٦- قال تعالى: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ [طه: ١٠١] قارن "أعرض" و"يحمل" و"خالدين" و"لهم". والمدلول واحد وقد يقول قائل أن "من" موصول يصدق على المفرد كما يصدق على الجمع وهذا صحيح فى الجملتين ولكنه "التفات" فى الجملة الواحدة.

٧- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩] لاحظ "كان" و"كنا" والمدلول واحد.

٨- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٣] قارن "آيات الله" و"رحمتى" فالمدلول واحد والضمائر مختلفة.

٩- قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠] لاحظ: "خلق" و"ألقى" و"بث" ولكن "أنزلنا" و"أنبتنا".

١٠- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١] قارن "يقنت" و"تعمل".

١١- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾ [فاطر: ٢٧] لاحظ "أنزل" و"أخرجنا". والمدلول واحد.

١٢- قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى: ٤٨] تأمل: "الإنسان" - "فرح" - "تصبهم" "أيديهم" - "الإنسان".

١٣- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الزخرف: ١١] لاحظ "أنزل" و"أنشرنا".

١٤- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٩-٧١] انظر: "آمنوا" و"كانوا" ثم ادخلوا" و"أنتم وأزواجكم" ثم "عليهم" ثم "وأنتم فيها خالدون". المدلول واحد والاختلاف فى الغيبة والخطاب.

تكرار مطلع الآية:

يحدث أحيانًا أن تبدأ الآية بكلمة أو عبارة مكونة من كلمات ثم يعاد ذكر ذلك بعينه لغرض ما كإرادة التأكيد أو لاستحضار المطلع بعد أن طال الكلام بعده إلى حد ما ـ فمن التكرار لإرادة التأكيد قوله تعالى:

١ - ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] والتكرار هنا بالإشارة إلى المطلع "بفضل الله وبرحمته" لا بإعادة الذكر وقد أكدت الإشارة الفضل والرحمة إذ جمعتها فجعلتها مشارًا إليه واحدًا ثم تقدمت الإشارة وقبلها حرف الجر على الفعل الذى تعلقا به. ولا يخفى ما للتقديم من دلالة على الاهتمام والتوكيد.

٢- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: ١٤] أعاد اليوم وسعه الظرف المقطوع بالتنوين عن الإضافة إلى جملة "تقوم الساعة" فكأن التقدير

(يوم تقوم الساعة يوم إذ تقوم الساعة يتفرقون) فحذفت "تقوم الساعة" الثانية وعوض عنها بالتنوين للدلالة على حذفها وهذا التكرار للتأكيد كما هو واضح.

٣- ومثله قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٧] والتقدير فيه كالتقدير فى الآية السابقة والتكرار للتأكيد.

أما التكرار بسبب طول مطلع الآية فلتذكير السامع بكلام سابق لولا تكراره لضعفت الرابطة فى المعنى بينه وبين ما يأتى بعده لطول العهد به فيكون التكرار فى هذه الحالة لتنشيط الذاكرة ولتقوية الرابطة بين أول الكلام وآخره. وشواهد ذلك فى القرآن كثيرة نورد منها ما يلى:

١- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩]. طال الكلام بعد المطلع بوصف الكتاب بنعتين غير مفردين وبعطف جملة منسوخة بكان ولها مكملات متعددة فكان الأمر بحاجة إلى تكرار "لما" ومدخولها فتكررت واستعيض عن الكتاب ونعوته الطويلة بعبارة واحدة قصيرة هى "ما عرفوا".

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] انظر كيف طال المطلع بما تعلق به من الجوار والمجرورات ثم بجملة الاستدراك والتفصيل حتى أصبح التذكير بالمطلع من مطالب ربط أجزاء الجملة فجاء التكرار ليذكر السامع بما كان فى بداية الآية من "لو" ومدخولها.

٣- قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨] طالت

صلة المفعول به وهو "الذين" بسبب ما عطف عليها حتى أصبح الجار والمجرور "بمفازة" ضعيف الارتباط بالفعل حسب "فى بدء الآية بل أصبح عرضة لتوهم تعلقه بالفعل "يفعلوا" وهو غير مراد ومن ثم جاء تكرار المطلع لينقذ العلاقة بين الجار والمجرور وبين متعلقة الذى فى بداية الآية فالتكرار كما ترى إنما جاء بسبب طول المطلع.

٤- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٥-١٦١]. فلقد أوردت الآية عدة أسباب لتحريم الطيبات على بنى إسرائيل وكانت أحلت لهم وهذه الأسباب هى:

النقض والكفر وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف والكفر مرة أخرى وقولهم البهتان على مريم وقولهم إنهم قتلوا عيسى عليه السلام فهذه سبعة أسباب كافية لأن يطول بها مطلع الآية وفوق ذلك أن جملتين معترضتين جاءتا فى سياق الكلام أحداهما بعد السبب الرابع والأخرى وهى جمل متعددة جاءت بعد السبب السابع ولهذا عندما أرادت الآية أن تكرر المطلع لخصت الأسباب السبعة بلفظ "ظلم" وقالت: "فبظلم من الذين هادوا... إلخ" ثم عطفت على لفظ الظلم أسبابًا أخرى

هى الصد عن سبيل الله وأكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل فتلك عشرة أسباب استوجبت عقاب الدنيا بتحريم الطيبات وعقاب الآخرة بالعذاب الأليم. وواضح أن التكرار هنا إنما جاء بسبب طول المطلع. وتلخيص الأسباب بكلمة "ظلم" يشبه ما سبق من تلخيص اسم الإشارة لفضل الله ورحمته وتلخيص "ما عرفوا" لعبارة "كتاب من عند الله مصدق لما معهم".

٥- قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] فلما طال فعل الرؤية الأول بمفعوله وتمييز المفعول وما عطف على المفعول من شمس وقمر ناسب ذلك أن يتكرر الفعل لتقوى بتكراره عبارة "لى ساجدين" وقد جرى تلخيص الكواكب والشمس والقمر بالضمير فى "رأيتهم".

٦- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠] انظر إلى تكرار إن واسمها بعدما طالت المجرورات والظروف المتعلقة بالغفران والرحمة وذلك لإحكام ترابط الكلام. ومثله أيضًا ما يلى:

٧- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٩] ويقال فى هذا ما قيل فى سابقه.

٨- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٤-٢٥] طالت الجملة المضافة إلى "يوم" فتكرر بقوله يومئذ".

٩- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦]

جاء عطف جملة على الجملة التى أضيف إليها الكلام فطال الكلام فتكرر اليوم فى قوله "يومئذ".

١٠- قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

ولكن التكرار قد يتعدى اللفظ إلى المعنى أحيانًا كما فى قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦]. فاللفظ الأول "من كفر" ولكن الثانى "من شرح بالكفر صدرًا" وقد جاء التكرار لطول الكلام الملحق بالمطلع.

التفصيل:

يأتى التفصيل بعد إجمال المذكور أو انطلاقًا من إجمال المفهوم فمثال المذكور أن تقول مثلاً اختلف الفقهاء فى حكم كذا فتأتى يذكر الفقهاء مجملاً ثم تريد التفصيل ولك فى ذلك أن تأتى بأما فتقول أما مالك فقد رأى كذا وأما الشافعى فقال كذا وقد تأتى بحرف الجر "من" ومجروره إذا لم يكن ذكر الأسماء مطلوبًا فتقول فمنهم من قال كذا ومنهم من قال كذا أو تقول: ففريق يرى كذا وفريق يرى كذا أو تقول: فأبو حنيفة يرى رأيا وأحمد يرى رأيا آخر أو تقول فمنهم المبيح ومنهم المانع أو فمنهم المبيح والمانع أو تقول فهذا يبيح وهذا يمنع أو تقول غير ذلك وقد وردت هذه الطرق جميعًا فى القرآن الكريم وسنورد الشواهد على كل طريقة منها فيما يلى:

أ- أما وأما:

١- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ

مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤].

٢- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٥-٦].

٣- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٦].

٤- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

٥- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل ٥-١٠].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥].

فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها.

إما أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح.

٦- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٨-٩].

ب – منهم ومنهم:

١- قال تعالى: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ

خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠١].

٢- قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٧].

٣- قال تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

٤- قال تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥].

٥- قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٤٠].

٦- قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٢-٤٣].

٧- قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

٨- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل: ١٠].

٩- قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

١٠- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

١١- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر: ٧٨].

١٢- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٣].

جـ- "من" وبعدها حرف العطف:

١- قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٧].

٢- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٥].

د- هذا وهذا:

١- قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا

كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

٢- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

٣- قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥].

٤- قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٢].

هـ- فريق وفريق:

١- قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧] (لا ذكر لحرف الجر "من" فى هذا التفصيل وهذا هو الفرق بين هنا وبين جـ ١).

التمثيل:

يمكن التعبير عن التمثيل بطرق مختلفة منها ربط الطرفين بالكاف أو بلفظ مثل أو بلفظ "مثل" بدون الكاف أو معها "كمثل" أو بعبارة تفيد "ضرب المثل" نحو "ضرب مثل" ببناء الفعل للمجهول أو "ضرب الله مثلا" أو بعبارة "مثل كذا كمثل كذا" أو بالاستعمال كلمة من مادة (ش ب ه) نحو أشبه أو يشبه أو شبيه إلخ. والقرآن ثرى بظاهرة التمثيل يتخذها وسيلة من وسائل الدعوة والتهذيب والزراية بأعمال الكفار وأعداء الإسلام من أهل الكتاب. ويتخذ التعبير عن التشبيه فى القرآن صورًا كثيرة نستطيع أن نختار منها ما يلى:

أ – ضرب الله مثلا كذا وكذا هل يستويان:

١ - قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٥].

٢- قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦].

ب – ضرب الله مثلا لكذا كذا:

١ - قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

٢- قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١١-١٢].

جـ - مثل كذا كمثل كذا:

١ - قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٧-١٩].

٢- قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ

سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٣- قال تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٤- قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٦- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٧].

٧- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

٨- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

د- مثل كذا ككذا:

١- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٢٤].

٢- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

٣- قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

٤- قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

هـ- كذا كمثل كذا:

١- قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

٢- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: ١١ -١٧].

و – مثل كذا = صفة كذا:

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥].

الإيجاز والتلخيص:

المراد بالإيجاز أن تأتى بالعبارة القصيرة الجامعة لمعنى يتطلب إيضاحه كلاما أطول لما له من تشعب الجوانب استحقاق البسط. والمراد بالتلخيص إيراد الأحداث الجسام ذات التفاصيل الكثيرة فى عبارات متتابعة قصيرة تشير كل عبارة منها إلى أخذ هذه الأحداث فيأتى السياق على صورة تلخيص موجز لأحداث عظيمة. والنوعان موجودان فى القرآن الكريم ففيه جوامع الكلم وفيه تلخيص الأحداث الجسام. فأما جوامع الكلم فتبدوا فى مظهرها وإيقاعها وكأنها قواعد سلوكية عامة لها من القواعد قصرها وشمولها وصدقها بإطراد فى كل المواقف.

وأما التلخيصات فإنها تلقى إلى قارئها وسامعها بالأحداث متتابعة متلاحقة فيحس وكأن أنفاسه تسرع فى إيقاعها مع توالى الأحداث ويبهره حسن العرض وجمال الإيقاع. وفيما يلى شواهد لكل من هاتين الظاهرتين: ظاهرة الإيجاز وظاهرة التلخيص:

أ – من شواهد الإيجاز:

١ – ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

٢- ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ [الأنعام: ٦٧].

٣- ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ [التوبة: ٧٤].

٤- ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: ٩١].

٥- ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٦- ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [يونس: ٣٢].

٧- ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: ٢٨].

٨- ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

٩- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

١٠- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١١- ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨].

١٢- ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾ [النساء: ٧٨].

١٣- ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٥].

١٤- ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

١٥- ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ [الرحمن: ٤١].

١٦- ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦].

١٧- ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ [الحج: ٦٠].

١٨- ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ [النحل: ١٢٦].

١٩- ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢].

ب – من شواهد التلخيص:

١ - ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

٢ - ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

٣ - ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

٤ - ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦-١٣٨].

٥ - ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠-٩٢].

٦ - ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ

مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١].

٧- ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٢-٢٧].

٨- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥].

٩- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

ترتيب الأشياء:

قد تتعدد النعوت أو يتعدد الخبر أو تتعدد الحال أو يتعدد المعطوف وقد يكون بعض ذلك أطول من بعض فقد يكون النعت مفردًا أو شبه جملة أو جملة وقد يكون المفرد عاملا فيما بعده وقد تكون الجملة ذات ركنين أو يكون لها مع الركنين

مكملات من المفردات أو أشباه الجمل أو الجمل الفرعية ويتنوع كل ذلك بتنوع أنماط اللغة. فإذا تعددت الأشباه على هذا النحو فإن أشيع ما يأتى عليه الأسلوب القرآنى أن يقدم قصار الأشباه على طوالها وقد يوردها عند كثرتها مرتبة من القصير إلى الطويل إلى الأطول ولكن فى القرآن من الأسلوب ما هو أقل شيوعًا وفى ذلك لا يرعى القرآن ترتيب الأشباه بهذه الطريقة لسبب من التتابع فى الزمان أو فى الاهتمام أو غير ذلك من الأسباب. وسنورد فيما يلى شواهد على هذه الظاهرة الأسلوبية (ظاهرة ترتيب الأشباه) من سورتى البقرة وآل عمران ونكتفى بالنظر فيهما عن النظر فى غيرهما فيما عدا شاهدين نبدأ بهما لأنهما كانا سببًا فى انتباهنا إلى هذه الظاهرة:

أ - النعوت:

١ - قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨].

فالترتيب هنا = وصف + شبه جملة + جملة.

٢ - قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

الترتيب = وصف + جملة.

٣ - قال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

الترتيب = شبه جملة + جملة.

٤ - قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ

وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

الترتيب = جملة قصيرة + جملة طويلة.

٥- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴾ [البقرة: ٦٨].

الترتيب = وصف + وصف + وصف له متعلق.

٦- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٩].

الترتيب = وصف مفرد + وصف رفع فاعلا + جملة.

٧- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

الترتيب = شبه جملة + وصف تعلق به شبه جملة.

٨- قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

٩- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

الترتيب = شبه جملة + جملة قصيرة + جملة قصيرة + جملة طويلة لاشتمالها على جملة حالية.

ب – صلة الموصول:

١٠- قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

الترتيب = فعل لازم تعلق به جار ومجرور + فعل متعد ناصب للمفعول.

١١- قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

الترتيب = موصول حرفى + موصول اسمى.

جـ – المعطوفات:

١٢- قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦].

الترتيب = مبتدأ مؤخر مفرد + معطوف عليه تعلق به جار ومجرور.

١٣- قال تعالى: ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الترتيب = مفرد + موصول وصلته.

١٤- قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

١٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [البقرة: ١٦١].

ثانيًا فى حيز خبران = مضاف إليه مفرد + معطوف على نية الإضافة + معطوف آخر مؤكد.

١٦- قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

الترتيب = تركيب إضافى فى خبره عطف لمفرد = تركيب إضافى فى خبره عطف لمفرد + عطف لموصوف بموصول صلة جملة + عطف لما المصدرية وسما دخلت عليه من جمل متعاطفة + تركيب إضافى فى خبره معطوف على المضاف إليه موصوف بصفة طويلة.

وإنما كانت "ما" مصدرية لأن المصادر الصريحة تحف بها من كلا الجانبين فكأن ما وما بعدها فى تأويل (الإنزال فالإحياء والبث).

١٧- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

الترتيب = مفرد + مفرد + تركيب إضافى + موصول وصلته الجملة.

١٨- قال تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] وكل ذلك صفات متعاطفة للذين اتقوا الذين يقولون ربنا آمنا.

الترتيب = مفرد + مفرد + مفرد + مفرد تعلق به جار ومجرور.

١٩- قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

الترتيب = اسما فاعل أضيف إلى مفعوله + مثله وقد تعلق به جار ومجرور هو الياء + مثله والمجرور موصول وصلته + اسم فاعل أضيف إلى مفعوله لموصول بجملة طويلة.

٢٠- قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

الترتيب = حال مفردة + حال تعلق بها جار ومجرور.

٢١- قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

الترتيب = جملة تبدأ بالأمر بشيء وتنتهي عن عكسه + جملة تأمر بذكر الله لأنه منَّ على عباده المتخاصمين بأمور هي: تأليف القلوب + الصيرورة إلى الأخوة + الإنقاذ من النار ولكل واحد من هذه المعاني جملة أطول من سابقتها.

٢٢- قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

الترتيب = جملة مثبتة + جملة منفية وكلتاهما بسيطة + جملة تشتمل على جار ومجرور + جملة شرطية + جملة شرطية أخرى أطول منها.

٢٣- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

الترتيب = جملة بسيطة فعلها لازم + جملة بسيطة فعلها متعد + جملة اشتملت على جار ومجرور.

٢٤- قال تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الترتيب = وصف + وصف + جملة.

٢٥- قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢].

الترتيب = جملة بسيطة + جملة اشتملت على جار ومجرور.

د – الخبر:

٢٦- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الترتيب = وصف + تركيب إضافى.

هـ - حالات لم يراع فيها اعتبار الطول والقصر:

٢٨- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٧١].

الترتيب غير قائم لأن جملة "تثير الأرض" تفسير للوصف "ذلول" فهما صفة واحدة للبقرة وهى أطول من تاليتها "ولا تسقى الحرث" وربما كانت مساوية للصفة الأخيرة وهى "مسلمة لاشيه فيها" لأن المسلمة هى التى لا شيه فيها فهما صفة واحدة.

٢٩- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] (انظر أيضا إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل وقد جعلها فى الفصل) فقوله "مثابة للناس" أطول من لفظ "أمنا" وربما يسره أن الجار والمجرور على نية التكرار أى "وأمنا للناس" وحذف الثانى لدلالة الأول عليه.

٣٠- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فأقصر صفات الرسول هما الأولى والأخيرة وبينهما صفتان أطول منهما وربما يسر ذلك أن الجار والمجرور يمكن تعليقه بلفظ "رسول" على تأويل "مرسل" وأن التزكية إنما تأتى نتيجة لاحقة للتلاوة وللتعليم فالترتيب ذو طابع منطقى بدليل أننا لو تصورنا الفاء فى مكان الواو من "ويزكيهم" لصح المعنى.

٣١- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

فالعطية الأولى جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها.

والعطية الثانية أزواج مطهرة.

والثالثة رضوان من الله.

فأقصرها الوسطى وأطولها الأولى وربما يسر ذلك أن الوسطى لا تتصور إلا فى الأولى وأن الثالثة أعم منهما فتدل على نعم أخرى لم تذكر.

التعميم:

للتعميم وظائف أسلوبية هامة تجتمع على اتجاه واحد هو الإبهام واجتناب إبراز شىء مما يحسن عدم الإشارة بذكره لغرض أسلوبى ما. ومن شأن هذا الإبهام أن يولد انطباعات غير محددة من التفخيم والتضخيم والظنون التى تحيط المعنى بهالة معينة لا تكون له عند التخصيص والتعيين. وللتعميم وسائل أسلوبية يوصل إليه من خلالها منها التنكير واستعمال الاسم الموصول بدلاً من أسماء الذوات واستعمال ألفاظ التشبيه مع الإشارة والاكتفاء بذلك عن المشبه به وكم الخبرية وكأين ورب والواو التى بمعناها وربما أضيف إلى ذلك الحذف البيانى الذى لا يوجد معه دليل ملفوظ على المحذوف إلخ.

فمن التنكير ما يوجد في النص القرآني من الابتداء بالنكرات مثل ويل نحو قوله تعالى:

١ - ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

٢ - ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ٢].

٣ - ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [ص: ٢٧].

٤ - ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢].

٥ - ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٦٥].

٦ - ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المراسلات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩].

٧ - ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١].

٨ - ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١].

وقد يتأخر المبتدأ النكرة فلا يفقد إيحاءه المترتب على التنكير من تعميم وإبهام وتضخيم نحو قوله تعالى:

٩ - ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠].

١٠ - ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧].

١١ - ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة: ١٩].

١٢ - ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥].

١٣ - ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦].

١٤- ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

وليس الأمر خاصًا بالمبتدأ فقط إذ قد يكون النكرة فاعلا أو مفعولا أو اسم إن أو اسم كان أو محملا بمعنى نحوى آخر غير المعانى السابقة نحو قوله تعالى:

١٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

١٦- ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

١٧- ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢].

١٨- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

١٩- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

٢٠- ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة ٣٢] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤].

وأما التعميم بواسطة استعمال الاسم الموصول فيأتى من أن الموصول عام بحكم معناه الذى يدل على مطلق غائب وهذا الإطلاق هو الذى سوغ الفاء فى خبره كما لو كان هذا الخبر جواب شرط وذلك نحو:

"الذى يصنع الخير فله حسن العاقبة" فمعنى الذى فى هذا المثال معنى "كل من" أو "كل الذى" ولكن حتى حين ينتفى معنى الشمول الذى يعبر عنه "كل" يبقى العموم لمعنى الموصول وفرق بين الشمول والعموم. وفى الشواهد الآتية استعمال الموصول للتعميم:

٢١- ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣] لاحظ أيضا التعميم فى "مثل قولهم" وهو ما سميناه الاكتفاء بالأداة والمشبه به عن المشبه.

٢٢- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ [البقرة: ١١٨].

ففى الشاهدين السابقين عزوف عن ذكر الموصوفين والاستغناء بوصفهم بالموصول مع أنهم معرضون لذلك وذلك للتعميم.

٢٣- ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٢٤- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١].

٢٥- ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣].

٢٦- ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

٢٧- ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١].

٢٨- ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡ ﴾ [النساء: ١٥].

٢٩- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥].

٣٠- ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ ﴾ [النساء: ١١٢] ﴿ كَلَّآ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٩] وأيضا: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

٣١- ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴾ [يونس: ٨٠].

٣٢- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [الرعد: ٢١].

٣٣- ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ [النحل: ١١٨].

٣٤- ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨].

٣٥- ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠] ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

٣٦- ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ [النجم: ٥٣-٥٤].

٣٧- ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١٣-١٤].

٣٨- ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧].

٣٩- ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾ [الأحقاف: ١٧].

٤٠- ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦].

٤١- ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٨-٣٩].

٤٢- ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨].

٤٣- ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء: ٩١].

٤٤- ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٨٩].

٤٥- ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١].

٤٦- ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة: ٦٣].

٤٧- ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥] هروب من الشخص إلى المبدأ.

٤٨- ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

٤٩- ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٣٦].

٥٠- ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومن قبيل الإشارة إلى المشبه به دون ذكره ما نلاحظه في الشواهد التالية من سورة الأنعام حيث نجد التعبير عن المشبه يأتى دائمًا فى صورة جملة فعلية وإليك الشواهد على ذلك:

٥١- ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ [الأنعام: ٥٣].

٥٢- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

٥٣- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥].

٥٤- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

٥٥- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

٥٦- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

٥٧- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

٥٨- ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وإنما جاءت الإشارة فى كذلك إلى حال ثم وصفها أو الإيماء إليها من قبل وفى تكرار القول فيها حشو لا يجوز على القرآن. وقد يكون التعميم باستعمال "كم" و"كأين" نحو قوله تعالى:

٥٩- ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٧].

٦٠- ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٦١- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٦٢- ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥].

٦٣- ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج: ٤٥].

٦٤- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

٦٥- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١٣].

٦٦- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الطلاق: ٨].

ومن وسائل التعميم الشرط مع استعمال "من" و"وما" و"أى" وذلك كثير فى القرآن ومنه قوله تعالى:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾ [البقرة: ١٨١].

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٨٢].

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٢].

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٤].

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٥].

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤].

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النساء: ٢٥].

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ [النساء: ٣٠].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤].

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩].

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥].

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣].

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٢].

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النساء: ١٣٤].

﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأما وقوع النكرة فى سياق النفى فإنه يعمم النفى ويصرفه عن جميع أفراد مدلول النكرة وذلك الشأن فى القرآن كذلك ومنه:

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة: ٣٢].

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣].

﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥].

وأما الحذف البياني فمنه قوله تعالى:

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] أى بفعل الفحشاء.

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أى فهو لتزكية أنفسكم.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٤] أى بعض أموالهم.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أى حكم البيع مثل حكم الربا.

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨١] أى جزاء ما كسبت.

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أى أجر ما كسبت وأثم ما اكتسبت.

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] أى الدين الصادق.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٢٣] أى من معرفة الكتاب.

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ [آل عمران: ٢٥] أى جزاء ما كسبت.

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠] أى عدل نفسه.

٢ - أساليب القرآن:

إذا كان هناك نصان أحدهما صواب وفى الثانى خطأ فالفرق بينهما فرق فى صحة

التركيب أما إذا كان ثمة نصان يتفقان فى أن كليهما صواب ويختلفان فى طريقة الوصول إلى المعنى فالفرق بينهما فرق فى جمال الأسلوب. وقد توجد الصحة بدون الجمال أما الجمال فلا وجود له بدون الصحة أى أن الصحة شرط ضرورى للجمال. ولقد كان كلامنا حتى هذه اللحظة منصبًا على دراسة الصحة وقد تبين لنا من هذه الدراسة أن الذى يتحقق فى النص القرآنى هو أمن اللبس وهو تاج الدراسات اللغوية ومطلبها أما آراء النحاة وقواعدهم التى ربما اختلفت فيها الأقيسة والاجتهادات فلا ينبغى أن تكون مطابقتها مطلبًا من مطالب القرآن لسببين أولهما أن القرآن أنزل قبل ظهور النحاة والثانى أن القرآن يسع النحو ولا يسعه النحو أو بعبارة أخرى: كل قاعدة نحوية لها شاهد فى القرآن وليس لكل جملة قرآنية قياس فى النحو. فالقصور هنا فى أقيمة النحو وليس فى تراكيب القرآن لأن النحو قعَّد لبعض اللغة دون بعض أى قعَّد للمطرد منها وأهمل غير المطرد على رغم اعترافه بفصاحته.

ونريد الآن أن نجاوز عرفية التركيب إلى خصوصية الأسلوب. وللأسلوب جانبان: أولهما اختيار العبارة وهو يتمثل فى تفضيل تركيب صحيح على تركيب صحيح وكلمة مناسبة على كلمة مناسبة وتفضيل الفصل على الوصل أو التقديم على التأخير والثانى تفضيل صورة على صورة أخرى وكلتاهما مناسبة أو اختيار مضمون للمعنى دون مضمون آخر وكلاهما يؤدى الغرض. وسنحاول فى دراستنا لأساليب القرآن ألا نفصل فصلا حاسمًا بين هذين الجانبين وإنما نختار من كل منهما ما يبدو لنا عندما يبدو. ولن نحاول أن نسوق أحكامًا قيمية على الأسلوب القرآنى اكتفاء بعرض النص بصورة ربما مكنت القارئ من الوصول بنفسه إلى الحكم.

ذلك أن تدخلنا بالرأى والذوق الفردى بين النص والقارئ قد يحرم القارئ من

الوصول إلى آفاق فى التذوق لم نصل نحن إليها وأن يرى بنفسه ومضات لم تلتقطها أبصارنا أو بصائرنا من الزاوية التى نظرنا منها نظرتنا الخاصة إلى النص.

وسنعرض فيما يلى للأدلة القرآنية ما كان منها حسيًا وما كان عقليًا ولطريقة الرد القرآنى على مزاعم المنكرين ومواقفهم ثم لظواهر أسلوبية أخرى قد تتصل بنمط العبارة أكثر مما تتصل بمضمون الفكرة.

الأدلة القرآنية:

ينقسم الدليل القرآنى إلى نوعين أحدهما عقلى يحاول أن يصحح مسار التفكير ويظهر مزالق الخطأ فى أحكام الناس على الأوضاع والعلاقات والثانى حسى يلفت المعارضين إلى شئ يقع فى متناول إحدى الحواس بحيث يرى أو يسمع أو يذاق أو يلمس أو يشم فكان ينبغى للاتصال المباشر بينه وبين الحاسة أن يؤدى إلى تداعى الأفكار بشأنه والوصول من ذلك إلى استخلاص مغزى وجود هذا الشئ ومصدر وجوده ولكن التداعى والاستخلاص لم يقعا وبذلك أصبح الإدراك الحسى مقصورًا على الانطباع وقاصرًا عن الفهم. ومن هنا يسعى الدليل العقلى إلى الإفحام ويسعى الدليل الحسى إلى الإفهام.

الأدلة العقلية:

لا يسمى الدليل العقلى منطقيًا بالمعنى الدقيق إلا إذا كان صوريًا بحيث تتحقق لصورته الشروط المنطقية التى تشترط للأقيسة من إتيان المقدمات على صورة خاصة توصل إلى نتيجة حتمية وبهذا المعنى تنقسم الأقيسة المنطقية إلى حملية وشرطية إلخ أضف إلى ذلك أن للجدل أصولا لابد أن تراعى حتى يستحق الاستدلال أن يكون منطقيًا. أما إذا لم تتوافر هذه الصورية للدليل فإنه يسمى الدليل الخطابى. وليس الدليل الخطابى أقل شأنًا من الدليل المنطقى الصورى بل إنه قد يفضله فى المواقف العملية ويكون مفضولاً له فى المواقف النظرية التى تلتزم

المنطق. وفيما يلى طائفة من الأدلة العقلية من النص القرآنى وكلها ذات طابع خطابى:

١ - اجتمع عدد من أحبار اليهود ونصارى نجران عند النبى ﷺ فتنازعوا فى نسبة إبراهيم عليه السلام فقال الأحبار أنه كان يهوديًا وقالت النصارى أنه كان نصرانيًا فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ فكون إبراهيم أقدم عهدًا من نزول التوراة والإنجيل دليل على أنه لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ثم يقول ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ولكن دين إبراهيم كان الحنيفية والإسلام استمرار لهذه الحنيفية ومن ثم ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ فإذا كان الأمر كذلك فقد اتضحت نصية النزاع فى إبراهيم ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

٢ - لم يرض إبراهيم عليه السلام عبادة قومه للأصنام فقال لأبيه أتتخذ الأصنام آلهة ثم تأمل أجرام السماء يبتغى منها إلهًا ولكنها لم تقنعه بألوهيتها بسبب تغيرها بين الظهور والأفول فاهتدى بعين الله إلى أن خالق هذه الأجرام هو المستحق للألوهية وتصدى له قومه يحاجونه فى الله ويخوفونه من بطش آلهتهم. وفى ذلك يقول الله تعالى: [الأنعام: ٨٠-٨٢] ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ الدليل على أنه أولى بالشعور بالأمن منهم إذ يقول: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ

عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ثم لا يدع هذا السؤال عرضة لمغالطاتهم فيبادر بالإجابة عليه فيقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

٣- زعم الكافرون أنهم يعبدون آلهة من خلق الله ليقربوهم إلى الله زلفى ونسوا أن كل ما خلقه الله من شأنه أن يعبد الله ويسبح بحمده ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ فلو كانت هذه الآلهة معبودة لهؤلاء الكفار فهى أولى أن تتجه بالعبادة إلى خالقها سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٢-٤٤] فإذا كانت السموات السبع والأرض ومن فيهن يسبحون بحمد الله ويعبدونه فإن آلهتكم هذه تدخل تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ فهى تعبد الله أيضًا. وهكذا تلزم الحجة هؤلاء الكفار إذ أولى بهم أن يعبدوا الله وأل يعبدوا من يعبد الله.

٤- كان المشركون دائمًا فى شك من صلاحية البشر أن يحمل رسالة الله إلى خلقه. وربما كان ذلك لمعرفتهم بالنقص الذى فى أنفسهم وهم بشر فحين قاسُوا بشرية الرسول على بشرية أنفسهم غرهم القياس عن أن الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده ويفضل بعضهم على بعض. أضف إلى ذلك أن الرسول ينبغى أن يكون من جنس من أُرسل إليهم وهم بشر فلابد للرسول الذى يُرْسَل إليهم أن يكون من البشر ليكون قادرًا على التبليغ والإقناع والوعظ وتحمل الأذى. والله سبحانه وتعالى يقول لهؤلاء الناس: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ

يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴾ [الإسراء: ٩٤ -٩٥] ولكن هؤلاء الكفار ليسوا من الملائكة فلا يرسل إليهم ملك: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩].

٥- إذا اختلفت الإرادة اختلف المراد وإذا تعلق اختلاف المراد بشيء واحد بعينه فإما أن تتغلب إرادة على إرادة فيكون أحد المُرِيدَيْن صاحبَ القدرة على الشئ ويكون الآخر عاجزًا فينتفى التكافؤ والتناظر وإما أن تتعارض الإرادتان وتتساوى القدرتان فَيُفْسِد أحد القادِرَيْن ما فعله الآخر فلا يتم لأحدهما عمل. ويصدق هذا الكلام على دليل وحدانية الله سبحانه وهو معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٦- وهذا الدليل نفسه قائم بالنسبة لمزاعم من ينسبون إلى الله سبحانه وتعالى ولدا لأن الولد سر أبيه وإن ابن الإله لابد أن يكون إلهًا ولو كان لتعددت الآلهة وورد عليها اختلاف الإرادة الذى رأينا عواقبه فى الدليل السابق: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٧- سورة الشعراء سورة تعداد آيات الله فأولها: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ وقد أوردت السورة العبرة فى عدد من قصص الأنبياء وهم موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب وجاءت بعد كل قصة من ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أما محمد ﷺ فآية رسالته القرآن وكان ينبغى للمكذبين أن يروا ذلك من خلال ما فى الكتب السابقة من بشارة به وبرسالته وما أنزل الله عليه من كتاب: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٩١ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ

ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٩١-١٩٧].

٨- مع عجز الكفار عن الإتيان بمثل القرآن وعلى رغم معرفتهم بأن النبى ﷺ ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه ظلوا يطلبون نزول آية على النبى ﷺ والآية بين أيديهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١] وإنما كان رحمة لأنه هداية ولأن الآية كانت قرآنا ولم تكن عذابًا كالذى نزل بغيرهم من الأمم.

٩- أيهما أيسر: إصلاح ما فسد أم إنشاء ما لم يكن. الجواب أن الإصلاح أيسر من الإنشاء ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] وهذا هو مدار الدليل الذى يرد فى خاتمة سورة يس يروى أن أبى بن خلف جاء إلى النبى ﷺ وفى يده عظم بال جعل يفتته ويرمى به للهواء ويقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار فنزل قول تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٧٨-٨١].

١٠- ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ولو فرضنا جدلا أن ذلك ممكن لما كان هذا الولد من جنس ما ادعاه المشركون مَلكا أو إنسانًا ولاصطفى الله من

خلقه ما يشاؤه هو لا ما يدعيه عليه المشركون تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٣-٤] ولأمر ما نرى الآية تسبح الله بالوحدانية والقهر.

١١- يقص القرآن قصة رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه وينصح قومه بالتروى ويتدبر الأمور فلقد جاء موسى إلى فرعون وقومه بالنذر والبشائر فكادوا له وأرادوا قتله فوقف هذا الرجل المؤمن يبصر قومه بالاحتمالات المختلفة ونتائجها. فقال: هناك احتمالان: إما أن يكون موسى كاذبًا وإما أن يكون صادقًا ولا ثالث لهما فإن كان كاذبًا فدعوه لكذبه ولا تقتلوه لأن الكذب لا يُعَاقَب بالقتل وإن كان صادقًا فلا تقتلوه لأنكم إن قتلتموه أصابكم الله بعذابه حسبما وعدكم موسى من قبل فلا خير لكم فى قتله على أى الاحتمالين: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ [غافر: ٢٨-٢٩].

١٢- هذا الدليل من قبيل ما سبق فى رقم ٩ والله تعالى يسوقه لمنكرى البعث يتصورونه مستحيلا لما فيه من صعوبة بزعمهم ومن عبث سبحانه الله وتعالى عن ذلك. لهذا يسوق الله إليهم سؤالا إنكاريًا يتضمن فى طيه موازنة بين الخلق الأول والبعث أو الخلق الجديد. فمن لم يعى بالخلق الأول وهو بدء

وانشاء فلا ينبغى أن يعجزه الخلق الجديد وهو جمع للأجزاء. ومن ثم يقول عز شأنه: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥].

١٣- الإنسان يصل إلى المدركات عن طريق الحواس فتكون بها المعرفة والعلم فإذا أراد الوصول بعلمه إلى غير المحسوسات جعل المحسوس خطوة من خطوات التجريد فأنشأ للمحسوسات صورًا كلية وأدرك علاقات المحسوسات بعضها ببعض وقاس ما غاب منها على ما حضر ووصل من الربط بين معلومين إلى مجهول فأصبح هذا المجهول معلومًا. فالأصل الحواس وهى ذات حدود وقيود تجعل علم الإنسان محدودًا مقيدًا. والله سبحانه لا يشبه خلقه ومن ثم لا يقال أنه "وصل" إلى العلم لأن العلم صفة من صفات ذاته فلا يطرأ عليه بعد جهل والله سبحانه خلق الخلق فهو أولى بمعرفة ما خلق ثم هو لطيف لا يرى ولا يرد عليه التقييد بالحس كما يتقيد به الخلق وهو خبير يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فإذا كان الأمر كذلك أفيعجزه سبحانه أن يعلم أمور خلقه ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

١٤- لم يكتف اليهود بأن يقولوا عزير ابن الله ولا النصارى بقولهم المسيح ابن الله حتى جعلوا أنفسهم أبناء الله وأحباءه ولو كانوا أبناءه لما صح أن يكلفوا كما يكلف العقلاء من البشر ولما جاز عليهم أن يحاسبوا فيثابوا أو يعاقبوا لأن صلتهم بالله سبحانه وتعالى عن ذلك ستكون صلة الابن بالأب فإذا كان الابن استمرارًا لأبيه فإنهم حينئذ آلهة مثله ولكن أولئك يعذبون بذنوبهم فليسوا آلهة وإنما هم بشر: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

١٥- إذا كانت الجنة ثوابًا للصالحين من عباد الله وقد جعل فيها الحور والولدان فإن النار عقاب للعاصين وقد جعل معهم فيها الأصنام التى كانوا يعبدونها فأصبحت: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ الناس للعقاب والحجارة للإهانة لها بعد أن زعموها آلهة ليكون ذلك أشد إيلامًا للكافرين. فلو كانت هذه الأصنام آلهة ما تصور العقل إحراقها بالنار لأن الإله لا يُعَاقَب. ومن هنا تتجه الحجة على الكافرين بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠].

١٦- ما فائدة إله لا يملك شيئًا فى الأرض ولا فى السماء ولا يسمع من يجأر له بالدعاء ولو سمع (جدلاً) ما أحار إجابة ولا أطاق استجابة؟ هذا هو محور الدليل الذى فى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ ثم يعدهم الله بالخذلان يوم القيامة لأن الآلهة التى ادعوها ستبرأ منهم ومن شركهم يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

١٧- لم يقنع المشركون بالتكذيب حتى جازوه إلى العبث فكانوا إذا سمعوا آيات الله طلبوا من النبى ﷺ تغييرها أو تعديلها لتناسب أهواءهم ولتقوم الحجة بهذا التبديل على أنها ليست من عند الله. فرد الله مكرهم بالنص على أن الآيات إنما تأتى بمشيئة فلو شاء الله ما نزل القرآن ثم بثبوت صدق نبيه قبل الرسالة

إذ كانوا يلقبونه الصادق والأمين فلا وجه لكذبه بعد البعثة: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٦].

١٨- يتكلم الناس أفرادًا وهيئات محلية أو دولية فى الوقت الحاضر عن أخطار الإنفجار السكانى فى العالم ويدعون إلى تنظيم الأسرة أو تحديد النسل لأنهم يرون أن الأمور لو تركت على علاتها فستصل البشرية ذات يوم إلى أعداد لا يمكن لخيرات الأرض أن تكفيها فتفسد الحياة على الأرض ويأكل الأقوياء أقوات الضعفاء وتختل الموازين التى يقوم عليها نظام الحياة. ولكن الله سبحانه يدفع الناس بعضهم ببعض فيحارب بعضهم بعضًا فيقتله ويُعدى بعضهم بعضا فيميته ويخطِّط بعضهم لمنع ميلاد بعض ويقف بعضهم دون إفساد بعض: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] وهذا الدليل القرآنى أقرب ما سقناه من قبل إلى الأدلة المنطقية لأنه يشبه أن يكون قياسًا شرطيًا على الشكل الآتى:

لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض

ولكن (الأرض لم تفسد لأن الله يدفع

إذًا) الله ذو فضل على العالمين.

فلو رفعنا من هذا القياس ما بين الأقواس لبقى منطوق الآية.

١٩- كل عمل إنسانى فهو عرضة للنقص فلا كمال إلا لله وحده. لهذا السبب قامت المعرفة الإنسانية فى صورتها البدائية على التجربة والخطأ فلما أراد الإنسان أن يتجنب الخطأ قَدْرَ الإمكان لجأ إلى اختراع المنهج العلمى وجعله آله للملاحة الفكرية فى الســول وعلى الرغم من الإنسان على هذه الآلة المنهجية ما يزال يخطئ ويصحح خطأ. أما القرآن فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ينبغى لهذا الكمال المعروف للقرآن أن يكون دليلاً على مصدره الإلهى وعلى أنه ليس من كلام البشر ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ثم يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

٢٠- عُرف النبى ﷺ بأنه لم يكن قارئًا ولا كاتبًا فلما جاءه الوحى فى غار حراء وقال له جبريل عليه السلام: "أقرأ" كان جوابه: "ما أنا بقارئ" وكان هذا الجواب نفيًا لنسبة القراءة إليه ولم يكن رفضًا للقراءة التى أمره بها جبريل أى أن يعنى جواب عليه الصلاة والسلام: "لست أعرف القراءة". ولم تجر العادة ممن كان هذا شأنه أن يؤلف بنفسه كتابًا فإذا ألفه فإن فَرَحه بالإنجاز لا يسمح له بأن ينسب هذا الكتاب إلى مصدر آخر. ومعنى كل ذلك أن أُمَية النبى ﷺ لا تتناسب مع الإتيان من عنده بالقرآن ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

الأدلة الحسية:

إذا كان الدليل حسيًا فمن الضرورى أن يكون إدراكه أو إدراك أثره بالحواس فما الذى كان فى متناول حواس الإنسان مما يمكن أن يتخذ دليلاً على صدق الرسالة وصحة مضمونها؟ كانت هناك مشاهد يراها الإنسان كل يوم ويلابسها فى معيشته وتعتبر من مكونات بيئته ومن ثم كان عُرضة لأن يألفها والإلف يُخَدِّر الانتباه فما

كان للسموات والأرض والنجوم والكواكب واختلال الليل والنهار والرياح والبحر والفلك والجبال وحيوانات البيئة والحياة والموت وغيرها مما ألفه الإنسان فى صباحه ومسائه أن تثير عنده فكرة أو تبعث عبرة.

ولهذا جاء القرآن ليحض الناس على أن يفكروا فيما يرون ويسمعون عسى ذلك أن يقودهم إلى فهم السر الكامن وراء هذه المدركات قرب خافٍ بذاته أن يتضح بأثره ولا شك أن الكون كله أثر من آثار الله سبحانه وتعالى. وسنحاول فيما يلى أن نفصل هذه الأدلة بتقسيمها إلى أنواع وذكر الآيات الداخلة تحت كل نوع.

١ - السموات والأرض:

أ - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

ب - ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

جـ - ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

د - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

هـ - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥].

و - ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴾ [ق: ٧-١١].

ز - ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢].

ح - ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۝١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾ [نوح: ١٥-٢٠].

ط - ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ۝١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴾ [النبأ: ٦-١٦].

ى - ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ك - ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ [الملك: ٣].

٢- النجوم والكواكب:

أ- انظر ١-أ.

ب - ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢].

جـ - ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

د - ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥].

هـ - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧].

٣- اختلاف الليل والنهار:

أ- انظر ١ - أ.

ب - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٧].

جـ - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣].

د - ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس: ٣٧].

٤- الريح والماء:

أ- انظر ١ - أ.

ب - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

جـ - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٨-٥٠].

د - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٣-٥٤].

هـ - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٦].

و - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٨-٥١].

ز - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

ح - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٢١].

ط - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٤].

ى - ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس: ٤١-٤٢].

ك - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢].

٥- الجبال:

أ - ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٥-١٦].

ب - انظر ٤ - ز.

جـ - ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨].

د - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحج: ١٨].

هـ - ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

و - ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ: ٧].

٦- الخلق والحياة والموت:

أ - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

ب - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠].

جـ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٠-٢٢].

د - ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

هـ - انظر ١ - ك.

و - ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

ز - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

ح - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

ط - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

ى - ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢].

ك - ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر: ٨٢].

ل - ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [محمد: ١٠].

م - انظر ١ - ب.

ن - انظر ١ - جـ.

س - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٠].

ع - انظر ١ - ك.

٧- نعم الله على عباده:

أ - انظر ١ - أ.

ب - انظر ٢ - ب.

جـ - ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٦-٦٩].

د - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

هـ - ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠].

و - ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠].

ز - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢-١٣].

٨- الاستدلال بمشاهد أخرى من البيئة:

أ - انظر ١ - جـ و.

ب - ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

جـ - ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١].

د - ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٣-٣٦].

هـ - انظر ٧ - د.

و - ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

ز - ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ح - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩].

٩- الوحدة والاختلاف فى المخلوقات:

أ - ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

ب - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

جـ - ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور: ٤٥].

د - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

هـ - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

و - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

ز - انظر ١ - ك.

١٠- الاستدلال بالمقارنة:

أ - ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل: ١٧].

ب - ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل: ٧١].

جـ - ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

د - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠].

هـ - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

و - ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾ [الصافات: ١١].

ز - ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمن: ٥٧].

ح - ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠].

ط - ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

ي - ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ك - ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣].

٢- النجوم والكواكب:

أ- انظر ١ - أ.

ب - ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢].

جـ - ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

د - ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥].

هـ - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧].

٣- اختلاف الليل والنهار:

أ- انظر ١- أ.

ب- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٧].

جـ- ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣].

د- ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس: ٣٧].

٤- الريح والماء:

أ- انظر ١- أ.

ب- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

جـ- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٨-٥٠].

د- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٣-٥٤].

هـ - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٦].

و - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٨ - ٥١].

ز - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

ح - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٢١].

ط - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٤].

ى - ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس: ٤١-٤٢].

ك - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢].

٥- الجبال:

أ - ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥-١٦].

ب - انظر ٤ - ز.

جـ - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

د - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

هـ - ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

و - ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧].

٦- الخلق والحياة والموت:

أ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

ب - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠].

جـ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٠-٢٢].

د - ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: ١٧-١٨].

هـ - انظر ١ - ك.

و - ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦].

ز - ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

ح - ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

ط - ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

ى - ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢].

ك - ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟

أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [غافر: ٨٢].

ل - ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴾ [محمد: ١٠].

م - انظر ١ - ب.

ن - انظر ١ - جـ.

س - ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾ [النحل: ٧٠].

ع - انظر ١ - ك.

٧- نعم الله على عباده:

أ - انظر ١ - أ.

ب - انظر ٢ - ب.

جـ - ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٦-٦٩].

د - ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

هـ - ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

و - ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

ز - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢-١٣].

٨- الاستدلال بمشاهد أخرى من البيئة:

أ - انظر ١ - جـ، و.

ب - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

جـ - ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

د - ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٣-٣٦].

هـ - انظر ٧ - د.

و - ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا

ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

ز - ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ح - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

٩- الوحدة والاختلاف في المخلوقات:

أ - ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

ب - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

جـ - ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

د - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

هـ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

و - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ

وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

ز - انظر ١ - ك.

١٠ - الاستدلال بالمقارنة:

أ - ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

ب - ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

جـ - ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

د - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

هـ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

و - ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ [الصافات: ١١].

ز - ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المؤمن: ٥٧].

ح - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [الملك: ٣٠].

ط - ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

الردود القرآنية:

لقد رأينا عندما عرضنا الأدلة التى يستدل بها القرآن أن بعضها عقلى وبعضها حسى ثم رأينا أن العقلى يغلب عليه طابع الدليل الخطابى ولكنه فى بعض الحالات يقترب شيئًا ما من ترتيب الدليل المنطقى دون أن يتقيد بصورية هذا الدليل ثم رأينا أيضًا أن الدليل الحسى يتجه إلى حاستى السمع والبصر يحثهما على استيعاب آيات الله فى خلقه وفهم حكمته فيما يفعل وأن يصل الناس من ذلك إلى اعتقاد صدق الرسالة والرسول. والملاحظ فى كثير من الأحيان أن تساق الأدلة ردًا على سؤال منكر أو عناد جاحد أو إفك كاذب ولكن الدليل لا يتحتم فيه أن يساق فى معرض الرد وإنما يأتى فى بعض الحالات حكاية عن نبى سابق كحين يروى قول إبراهيم: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢] أو قول الرجل المؤمن من آل فرعون: ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ [المؤمن: ٢٨]. ويساق فى حالات أخرى لبيان آيات الله كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ويتضح ذلك أيضًا من تكرار قوله تعالى فى سورة الشعراء:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

وتكرار قوله فى الروم وفصلت والشورى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ وكل ذلك من قبيل الاستدلال على أن واهب النعم مستحق للعبادة. ومغزى هذا أن الدليل قد يقع فى

سياق الرد أحيانًا ولكن ذلك لا يلتزم فيه. ويقال فى هذه الحالة أن الرد اشتمل على الدليل ولكن الرد يغلب فيه ألا يشتمل على دليل وفى هذه الحالة يأخذ واحدة أو أكثر من الصور الآتية:

١- التكذيب المباشر.

٢- قلب الدعوى.

٣- التعجيز.

٤- الجواب.

٥- التعليق.

٦- التوجيه.

٧- القول بالموجب.

٨- الاعتذار.

٩- السؤال.

١٠- السخرية.

١١- الإنكار.

١٢- التوبيخ.

١٣- الوعد.

١٤- الوعيد.

١٥- البراءة.

١٦- التنزيه.

١٧- الدعاء.

والجدير بالذكر فى هذا المقام أن الردود تأتى فى السور المكية والسور المدنية على حد سواء وهى فى السور المكية موجهة إلى المشركين وفى المدنية موجهة إلى المنافقين وأهل الكتاب. ويعكس الرد فى كلتا الحالتين موقفًا إيجابيًا من مزاعِمَ مدعاةٍ أو أعمال مقترفة بأيدى هؤلاء أو أولئك. وسنورد فيما يلى طائفة من الردود الصريحة الخالصة لغرض بعينه من الأغراض التى سقناها منذ قليل وهى التكذيب المباشر والقلب إلخ ثم نسوق بعد ذلك ردودًا أخرى تجمع بين اثنين أو أكثر من هذه الأغراض.

أولاً: الردود الخالصة لغرض واحد:

أ – التكذيب المباشر:

١- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

٢- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣].

٣- ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

ب – قلب الدعوى:

٤- ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

٥- ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧].

٦- ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ [التوبة: ٧٤].

٧- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٨-٩].

جـ - التعليق:

٨- ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣].

٩- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧].

١٠- ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

١١- ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

١٢- ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٢].

١٣- ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٧-٤٨].

١٤- ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠].

١٥- ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

١٦- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١١-١٢].

١٧- ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

١٨- ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٣-٥٤].

١٩- ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٢٩-٣١].

٢٠- ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الملك: ١٨].

د- الاعتذار:

٢١- ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

٢٢- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ [الرعد: ٣٦].

هـ - الإنكار:

٢٣- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]

٢٤- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٤].

٢٥- ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ۝ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٨-٨٩].

٢٦- ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ١٣٣].

٢٧- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

٢٨- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١].

٢٩- ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٧-١٨].

٣٠- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

٣١- ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٦٦-٦٧].

٣٢- ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٤١-٤٣].

و – السخرية:

٣٣- ﴿ وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

ز – الوعيد:

٣٤- ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

٣٥- ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [هود: ٨].

٣٦- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

٣٧- ﴿ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٦-٨].

٣٨- ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٦-٦٧].

٣٩- ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤].

٤٠- ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ٩٤].

٤١- ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

٤٢- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٦].

٤٣- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ [النحل: ٦٢].

٤٤- ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٢-١٠٤].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ [الكهف: ١٠٥-١٠٦].

٤٥- ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا

فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ۝ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤-١٣٥].

٤٦- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ
يُنصَرُونَ ۝ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ
يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٨-٤٠].

٤٧- ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ
سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧].

٤٨- ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [الحج: ٦٨-٧٠].

٤٩- ﴿ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ
مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٢].

٥٠- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ
ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ۝ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴾ [الفرقان: ٢١-٢٢].

٥١- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ
رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ [النمل: ٧١-٧٢].

٥٢- ﴿ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ
ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾
[العنكبوت: ٥٤-٥٥].

٥٣- ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٣-٣٤].

٥٤- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

٥٥- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٨-٢٩].

٥٦- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ﴾ [سبأ: ٣١].

٥٧- ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٦-١٧٩].

٥٨- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المؤمن: ٦٩-٧٤].

٥٩- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمن: ٨٤-٨٥].

٦٠- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾
فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦-٢٨].

٦١- ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ
وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ
ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ
أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾ [القمر: ٢٣-٢٨].

٦٢- ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾
وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ
﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ
ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الواقعة: ٤٥-٥٦].

٦٣- ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا
كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات:
١٠-١٤].

٦٤- ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر:
٢١-٢٣].

٦٥- ﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا
يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٤-٢٦].

ح – التنزيه:

٦٦- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦].

٦٧- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

٦٨- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ۝ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦٠-٦١].

٦٩- ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٩].

ط – الدعاء:

٧٠- ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٨].

٧١- ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧].

٧٢- ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥-٤٦].

٧٣- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

ى - الحجة:

٧٤- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

٧٥- ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥١].

ثانيا: الردود التى تمزج بين عرضين أو أكثر:

٧٦- ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾

قلب ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾

قلب ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

قلب ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ ﴾

وعيد ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]

٧٩- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾

تكذيب ﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ﴾

تكذيب ﴿ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾

وعيد ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾

وعيد ﴿ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢-١٣]

٧٨- ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾

تكذيب ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾

تعليق ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾

تعليق ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا ﴾

﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٣-١٤]

٧٩- ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

تكذيب ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾

تعجيز ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]

٨٠- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾

تعجيز ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾

تعجيز ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

تعليق ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس: ٣٨]

٨١- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾

تعجيز ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾

تعجيز ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

تعليق ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

سؤال ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣-١٤]

٨٢- ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾

تعجيز ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾

تعليق ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾

تعليق ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾

تعليق ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]

٨٣- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾

تنزيه ﴿سُبْحَانَهُ﴾

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾

﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾

توبيخ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

توبيخ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾

تنزيه ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾

تنزيه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٥٧-٦٠]

٨٤- ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾

حجة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾

تنزيه ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٢]

٨٥- ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾

وعيد ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾

تنزيه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨-١٥٩]

٨٦- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴾

توبيخ ﴿ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾

وعيد ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٩]

٨٧- ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾

اعتذار ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

اعتذار ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

اعتذار ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾

تعليق ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

وعيد ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾

وعيد ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

وعيد ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥٦]

٨٨- ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾

سخرية ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

جواب ﴿ بَلَىٰ ﴾

وعيد ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴾

وعيد ﴿ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١]

٨٩- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾

حجة ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾

سخرية ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

حجة ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٩١-٩٢]

٩٠- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾

﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

وعيد ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾

وعيد ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾

تعليق ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٤-٢٥]

٩١- ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾

حجة ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾

توبيخ ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾

سخرية ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾

جواب ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾

توجيه ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١]

٩٢- ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾

إنكار ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى

ساخر ٱلْأَرْضِ ﴾

تنزيه ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]

٩٣- ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾

توبيخ ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

قول ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾

بالموجب

إنكار ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾

وعيد ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١]

٩٤- ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

جواب ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾

سخرية ﴿ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾

سخرية ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ

عَلَيْهِمْ ﴾

جواب ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾

تنزيه ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

تنزيه ﴿ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦]

٩٥- ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قَالُوٓا أَءِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ لَقَدْ
وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

سؤال ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾

سخرية ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾

سخرية ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

سؤال ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾

سخرية ﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

سؤال ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

سؤال ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾

سخرية ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾

إنكار ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾

تعليق ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾

تكذيب ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨١-٩٠]

٩٦- ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾

تعليق ﴿ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾

توبيخ ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾

سخرية ﴿ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾

تعليق ﴿ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [النور: ٤٧-٥٠]

٩٧- ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾

إنكار ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾

إنكار ﴿ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾

تعجيز ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ ﴾

تعجيز ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

سخرية ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾

سخرية ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

تعليق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٤٧-٥٠]

٩٨- ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾

حجة ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾

حجة ﴿ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾

سخرية ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وعيد ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾

وعيد ﴿ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

وعيد ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾

وعد ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾

وعد ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٧-٥٩]

٩٩- ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

سؤال ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾

تعليق ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [الروم: ٢٩]

١٠٠- ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ﴾

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾

توبيخ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾

تعليق ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم: ٣٦-٣٧]

١٠١- ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾

إنكار ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾

تعليق ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾

وعيد ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

وعيد ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

وعيد ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣]

١٠٦- ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

إنكار ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾

توبيخ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

توبيخ ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾

توجيه ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢١-٢٢]

١٠٧- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

توبيخ ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]

١٠٨- ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ
وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾

﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

وعيد ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

وعيد ﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾

تعليق ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٤-٣٧]

١٠٩- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾

وعيد ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾

سخرية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾

تعليق ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾

تعليق ﴿ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾

وعيد ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٥-٢٨]

١١٠- ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ
وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾

﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾

وعيد ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾

حجة ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ﴾

توبيخ ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

١٠٢- ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾

تكذيب ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾

إنكار ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾

توبيخ ﴿ مَا لَكُمْ ﴾

توبيخ ﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

توبيخ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾

تعجيز ﴿ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ ﴾

تعجيز ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٧]

١٠٣- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

توبيخ ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

حجة ﴿ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾

حجة ﴿ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾

تنزيه ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾

تنزيه ﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

وعيد ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾

وعيد ﴿ إِنِّى عَـٰمِلٌ ﴾

وعيد ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [الزمر: ٣٨-٤٠]

١٠٤- ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾

إنكار ﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾

تنزيه ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾

تنزيه ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

وعيد ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]

١٠٥- ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾

سخرية ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾

وعيد ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠]

١٠٦ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾

وعيد ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٢-١٦]

١١٠- ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾

إنكار ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ﴾

تعليق ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾

توجيه ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾

وعد ﴿ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾

توجيه ﴿ وَذَكِّرْ ﴾

تعليق ﴿ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٥]

١١٢- ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾

سخرية ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾

وعيد ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾

وعيد ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

وعيد ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

وعيد ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

وعيد ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٣-٤١]

١١٣- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾

وعيد ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

تنزيه ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾

تنزيه ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾

وعيد ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

وعيد ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾

١١٤- ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾

....

إنكار ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

إنكار ﴿ مَا لَكُمْ ﴾

إنكار ﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾

تعجيز ﴿ سَلْهُمْ ﴾

تعجيز ﴿ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾

إنكار ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ ﴾

تعجيز ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ ﴾

تكذيب ﴿ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [القلم ٢٥-٤١]

وعيد ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾

وعيد ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ﴾

وعيد ﴿ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾

توجيه ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾

توجيه ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم: ١٨-٤٨]

١١٥- ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾

سخرية ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾

جواب ﴿ كَلَّا ﴾

سخرية ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٦-٣٩]

١١٦- ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾

إنكار ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾

إنكار ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴾

إنكار ﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾

إنكار ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

دعاء ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [البلد: ٦-١١]

١١٧- ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾

سؤال ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾

سؤال ﴿ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴾

إنكار ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾

جواب ﴿ كَلَّا ﴾

وعيد ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾

سخرية ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾

وعيد ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾

وعيد ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾

جواب ﴿ كَلَّا ﴾

توجيه ﴿ لَا تُطِعْهُ ﴾

توجيه ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ٩-١٩]

١١٨- ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾

قلب ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾

الدعوى

تعليق ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨]

١١٩- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾

وعيد ﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾

تعليق ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦]

١٢٠- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾

سخرية ﴿ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾

وعيد ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٩]

١٢١- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾

اعتذار ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ﴾

اعتذار ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾

اعتذار ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾

اعتذار ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾

حجة ﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓ﴾

سخرية ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥-١٦]

١٢٢- ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾

﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾

﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾

جواب ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ﴾

جواب ﴿إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾

وعيد ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٢-٥٣]

١٢٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾

﴿وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾

سخرية ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾

اعتذار ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]

١٢٤- ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾

جواب ﴿بَلَىٰ﴾

وعد ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾

تعليق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]

١٢٥- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾

وعيد ﴿ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٦]

١٢٦- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾

حجة ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ﴾

تعليق ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٢]

أكذوبة الغرانيق يدحضها النص القرآنى

مما توارثناه من أقوال السلف عبارة يُصَدِّقها علم اللسانيات الحديث وبخاصة علم النص، تلك هى قولهم: "القرآن يفسر بعضه بعضًا". فالباحثون المحدثون فى علم النص يصرون على قيام التكافل بين أجزاء النص الواحد، وعلى إمكان التكافل بين نص ونص، ويسمون ذلك مبدأ التناص intertextuality، ومعنى ذلك أن النص الواحد يفسر بعضه بعضًا وأن نصا ما يمكن أن يفسر نصًا آخر. ولقد انتفع المفسرون بتطبيق هذا المبدأ فى تفسير آيات القرآن الكريم أيما انتفاع. فكثيرًا ما يحددون معنى آية على ضوء ما تقوله آية أخرى. مثال ذلك:

١- من قواعد النحاة أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وفى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٠٠] تتطلب هذه القاعدة أن يعود الضمير فى "أصبناهم بذنوبهم" على "أهلها" وبذا يكون الخلف قد عُوقب بذنوب السلف. ولما كان ذلك يتعارض مع آية أخرى فى القرآن الكريم هى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] امتنع التفسير بحسب قاعدة النحاة وعاد الضمير على "الذين يرثون الأرض"، فَفَسَّرت الآية الأخيرة الآية السابقة.

٢- ومن قواعدهم أيضًا أن العطف من وسائل الربط وأكثر ما يدل العطف على الربط حين يتوالى المتعاطفان بلا فاصل. وفى قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ يمتنع عطف الملائكة على الضمير رغم توالى

اللفظين وذلك لأن هذا العطف يفيد معنى يتعارض مع قوله تعالى فى آخر الآية: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾. فالقرآن يفسر بعضه بعضًا بحكم "التناص" بين الآيتين فى المثال الأول وبين جزئى الآية الواحدة فى المثال الثانى.

ولكن المفسرين رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة قصروا فى بعض الحالات دون الوصول إلى الكشف عن علاقة التناص على رغم بروزها بحيث لا يستدعى الكشف عنها كثيرًا من الجهد، وذهبوا يلتمسون التفسيرات البعيدة عن العقل والمفتقرة إلى شروط النقل.

ومن ذلك مثلا:

١- قولهم فى تفسير سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتۡ ﴾ إن الله أنطق بهذه العبارة طفلا فى المهد. على الرغم من اشتمال النص على قوله تعالى: ﴿ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ ﴾ مما يدل على أن هذا الكلام بما فيه من سبر وتقسيم قد دار بفكر الزوج بعد استماعه إلى التعارض بين الاتهام والرد، فحضور الزوج وشهوده ذيول الواقعة وإنهاؤه النظر فيها بطلب الكتمان من يوسف: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾ والاستغفار من امرأته ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ ﴾ يجعله هو المقصود بأنه ﴿ شَاهِدٌ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾، ولا حاجة إلى القول بوجود شاهد خارق للعادة.

٢- ومن ذلك أنهم صمتوا عن ذكر السبب فى إرسال يوسف إلى السجن من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءته مع وجود هذا السبب وذكره فى النص لمن شاء أن يُذْكره. فعندما أيقن العزيز من براءة يوسف ونهاه عن إذاعة خبر الواقعة بقوله: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾ لم يمض وقت طويل قبل أن يشيع الخبر ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٌ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾. عندئذ تردَّد العزيز بين أحد احتمالين كلاهما يدعو فى رأيه إلى إلقاء يوسف فى السجن. فإما أن يكون يوسف هو الذى أفشى الخبر فاستحق

العقوبة، وإما ألاّ يكون ففى سجنه إيهام بأنه المذنب والمعتدى وفيه حفظ لسمعة بيت العزيز.

٣- وقالوا فى نهى يعقوب لأبنائه عن أن يدخلوا من باب واحد إنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا أحد عشر رجلا لرجل واحد. ودون ذلك ملاحظتان:

أ- أن أهل المدينة لم يكونوا يعرفون أن هؤلاء لرجل واحد.

ب - وأن هؤلاء كانوا جماعة من البدو الذين تبدو عليهم الحاجة والتقشف فلا ترقبهم عيون الحساد.

أما دلالة النص فتعطى السبب الحقيقى بقول الأب لأبنائه: "لتأتننى به إلا أن يحاط بكم" فالخوف من أن يحاط بهم فيؤخذوا جعل الأب ينهاهم عن الدخول من باب واحد لأنهم إذا أخذوا وقد دخلوا من باب واحد أخذوا جميعًا. أما مع الدخول من أبواب متفرقة فإنه إذا أخذ البعض نجا البعض الآخر.

وهناك موضع آخر عجز فيه المفسرون عن الوصول إلى دلالة التناص هو موقفهم المتردد فى فهم المكيدة التى دبرها أعداء الإسلام باختراعهم فرية الغرانيق إذ تردد المفسرون بين القبول والنفى والاعتذار دون أن يفطنوا إلى عطاء النص الذى يكشف عن معنى آخر لا صلة له بهذه الأكذوبة التى اخترعها خيال مريض. لقد اختلف موقف أفراد المفسرين من هذه القصة كما ذكرنا، وسنورد فيما يلى موقف كل منهم بعد إيراد نص القصة المفتراة كما عرضها الواحدى فى أسباب نزول القرآن:

١ - يقول الواحدى: "قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ قال المفسرون(*): لما رأى رسول الله ﷺ تَوَلِّىَ قومه عنه وشق عليه ما رأى من

(*) ذكر محققو الكتاب منهم الطبريَّ وصاحبَ الدُّر المنثور والبغويَّ والخازنه والقرطبيَّ والفخرَ الرازيَّ وابن كثير وابن العربى وأبا جعفر النحاس وابن سعد والقاضى عياضًا والقارى والشهابَ الخفاجىَّ وصاحبَ مجمع الزوائد وفتح البارى والبغدادىَّ وابن المبارك والشيخَ محمد عبده فى بحث له ملحق بتفسيره لسورة الفاتحة.

مباعدتهم عما جاءهم به تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على إيمانهم. فجلس ذات يوم فى نادٍ من أندية قريش كثيرٍ أهله، وأحب يومئذ ألا يأتيه من الله تعالى شىء يَنْفِرُون عنه وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ: ألقى الشيطان على لسانه لِما كان يُحَدِّثُ به نفسه ويتمناه: تلك هى الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله ﷺ فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخر السورة فسعد المسلمون بسجوده وسجد جميع من بالمسجد من المشركين(*) فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليدين المنيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذا حِفْنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها".

٢- ويقول ابن كثير: ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق.. ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح(*). ثم يورد الروايات التى تتضمن أن النبى ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى. ثم سجد وسجد معه المشركون، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾. ثم يروى ابن كثير عن البغوى أجوبة حكاها عن الناس من ألطفها فى نظره أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ.

٣- ويقول القرطبى: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى "تمنى" أى قرأ وتلا. و"ألقى الشيطان فى أمنيته" أى قراءته

(*) لماذا؟ أكان فى طقوسهم ما يتطلب ذلك؟.

(*) يراعى هذا!.

وتلاوته، وقد تقدم فى البقرة (أى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾).

الثانية: قال العلماء إن هذه الآية مشكلة من جهتين: إحداهما أن قوما يَرَوْن أن الأنبياء صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وغير مرسلين، وغيرهم يذهب إلى أنه لا يجوز أن يقال نبى حتى يكون مرسلا. والدليل على صحة هذا القول قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ ﴾ فأوجب للنبى ﷺ الرسالة....".

الثالثة: الأحاديث المروية فى نزول هذه الآية وليس منها شىء يصح. وكان مما تُمَوِّه به الكفار على عوامهم قولهم: حق الأنبياء ألاّ يعجزوا عن شىء فلم لا يأتينا محمد بالعذاب وقد بالغنا فى عداوته... روى الليث عن يونس عن الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: "قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فلما بلغ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ سها فقال: "إن شفاعتهم ترتجى".. إلخ. ثم يروى عن ابن عطية قوله: "وهذا الحديث الذى فيه الغرانيق العلا وقع فى كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخارى ولا مسلم ولا ذكره فى علمى مصنف مشهور".

٤- ويشير النسفى إلى مضمون القصة ثم يقول: وهذا القول غير مرضى لأنه لا يخلو إما أن يتكلم النبى عليه السلام بهذا عمدًا وإنه لا يجوز لأنه كفرٌ ولأنه بعث طاعنًا للأصنام لا مادحًا لها، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبى عليه السلام جبرًا بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ ففى حقه أولى. أو جرى ذلك على لسانه سهوًا وغفلة وهو مردود أيضًا لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى... فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عن قوله ومناة الثالثة الأخرى

فتكلم الشيطان بهذه الكلمات... فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذى تكلم بها.

٥- وفى معانى القرآن للنحاس: روى الليث عن يونس عن الزهرى قال: أخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن النبى ﷺ قرأ بمكة: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ سها فقال: فإن شفاعتهم ترتجى. فلقيه المشركون والذين فى قلوبهم مرض فسلموا عليه فقال: إن ذلك من الشيطان. فأنزل الله جل وعز ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ إلى آخر الآية.

٦- ويقول أبو حيان فى البحر المحيط: "وذكر الله مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه، وأنه ما منهم أحد إلا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك إليهم وإلقائه فى نفوسهم؛ كما أنه ﷺ كان من أحرص الناس على هدى قومه، وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبهًا يثبطون بها عن الإسلام". ثم يقول فى تفسير: ثم يحكم الله آياته: "أى معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ليجعل ما يلقى الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب وللقاسيه قلوبهم وليعلم من أدنى العلم أن ما تمنى الرسول والنبى من هداية قومه وإيمانهم هو الحق. وهذه الآية ليس فيها إسناد شىء إلى رسول الله ﷺ ؛ إنما تضمنت حال من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنوا". ثم يقول: "والعجب من نقل هذا وهم يتلون فى كتاب الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾. وقال الله تعالى آمرًا لنبيه: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ . وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ

أن ثَبَّتْنَكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾ فالتثبيت واقع والمقاربة منفية. وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾، وقال: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾. وهذه نصوص تشهد بعصمته".

إذا نظرنا إلى موقف العلماء السابقين من هذه القصة وجدنا ما يلى:

أ – منهم من رواها ولم يعقب فكأنه يقبلها كما هى كالواحدى والنحاس.

ب – ومنهم من يطعن فى القصة إما من حيث صحة الوجه الذى رويت به كابن كثير وإما من حيث منافاتها لكافة الاحتمالات كالنسفى وينتهى كلاهما إلى قبول أن يكون الشيطان هو الذى نطق بذكر الغرانيق.

جـ – ومنهم من رفض الأحاديث المروية فى هذا الصدد كالقرطبى مشيرًا إلى ما لاحظه غيره من أن هذا الحديث لم يدخله البخارى ولا مسلم ولا ذكره مصنف مشهور.

د – ومنهم من رفض القصة كلها مستعينًا بنص الآية: بقوله: وهذه الآية ليس فيها إسناد شئ إلى رسول الله ﷺ، إنما تضمنت حال من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنوا".

فما وجه الصواب فى كل ذلك؟

وكيف يدل النص القرآنى بوضوح على أن هذه القصة كلَّها إفك وافتراء أريد به الكيد للإسلام بالإيحاء بأن القرآن من إنشاء محمد ﷺ جاوبه تبعًا لهواه الشخصى وأنه نتيجةٌ للأمانى التى انكشف بعضها هنا وغاب البعض الآخر بعدم الرواية؟.

ذكرنا من قبل أن القرآن نص مترابط بعضه وثيق العرى ببعض بحيث يفسر بعضه بعضا وإذا كان النقاد يمتدحون النصوص بقيام الوحدة العضوية فى النص فما أوضح هذه الوحدة فى القرآن الكريم. فإذا علمنا ذلك وأيقنّاه انفتح أمامنا اتجاهان يمكن أن نتوجه من خلالهما إلى دلالة النص القرآنى على بطلان هذه

الأكذوبة: أولهما الاتجاه إلى استنباط البطلان من نصوص آيات قرآنية خارج سورتى الحج والنجم، والثانى الاتجاه إلى دلالة النص فى هاتين السورتين اللتين لجأ المفترون إلى تحريف آياتهما.

فأما من حيث دلالة النص القرآنى فى عمومه على أن القصة كلها اختلاق فإن القرآن الكريم يشتمل على الآيات الدالة على أن النبى ﷺ كان يتمنى أن يهدى الله قومه إلى الإيمان برسالته. يتضح ذلك فى إصراره على دعوتهم وتحمل الأذى منهم ثم الدعاء لهم مع ذلك بالهداية "اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون". وإن القرآن الكريم ليتدرج بالإشارة إلى هذه الأمنية والإصرار على تحقيقها من مجرد التنبيه إليها إذ يقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ أو يقول: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ إلى النصح بعدم تجاوز الدعوة إلى ما هو إجبار وإكراه ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ثم إلى الاستفهام الناهى عن ذلك ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ ثم إلى النهى الصريح عن الحزن عليهم وقد أعرضوا عنه ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ وكذلك ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ إلى أن ينتهى إلى الإنكار المشوب باللوم فى قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾. ومعنى هذا أن النبى كان يتمنى أن تلاقى دعوته قبولا فى نفوس قومه، وأن هذه الأمنية توقٌ ورغبةٌ فى نفسه وليست بمعنى التلاوة كما تكلف ذلك طائفة من المتكلفين. فالأصل فى الألفاظ أن تدل على مدلولاتها بالمعنى الأصلى، وألا يصرفها عن هذا المعنى الحقيقى إلا أن توجد قرينة مانعة من إرادة هذا المعنى. وهذه القرنية مظنتها بيئة الكلمة فى النص ولا نلتمس بالتكلف فى أسفار الشعراء لا سيما بالشاهد الوحيد الذى لا يدعمه فى الشعر العربى شاهد آخر.

أما قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ فشبيه بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ أى أنهم لا يعلمون الكتاب حقًا ولكنهم

يحرفـونه عن مواضعه وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فلا شاهد فى الآية.

وأما من حيث الاتجاه إلى آيات سورتى الحج والنجم فدعنا أولا نتناول ما يدل عليه النص فى سورة الحج. ورحم الله أبا حيان فلقد كان الوحيد بين من ذكرنا من المفسرين الذى اتجه إلى الدلالة اللفظية إذ تنبه إلى اجتماع النفى والجر على النكرة وما يفيده ذلك من إرادة العموم فى قوله تعالى: ثم فهم من ذلك أن محمدًا ﷺ لم يسند إليه بخصوصه شئ من مفهوم الآية وإنما هى عامة فى الأنبياء. وفَهْم أبى حيان هذا مبنى على الجانب النحوى من جوانب النص. ولكن فى النص جانبًا آخر هو مبدأ "التناص" أى تكافل أجزاء النص بحيث يفسر بعضه بعضا وهذا الجانب لم يشر إليه أبو حيان ونودّ نحن أن نكشف عنه فى هذه العجالة. فدلالة النص فى سورة الحج ليست محصورة فى حدود الآية المذكورة وحدها وإنما تمتد إلى ما قبلها وإلى ما بعدها من الآيات ذات الصلة تبدأ دلالة النص قبل هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿ وَإِن
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣)
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ
وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ (٤٦)
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا
تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (٤٨)
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٥١)
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ
ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى
ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ

بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾.

هذه هي بيئة الآية في النص وهي تشير إلى الحقائق الآتية:

١- لا تعجب لتكذيب قومك لرسالتك فقد كَذَّبت الأقوام السابقة أنبياءهم.

٢- لقد قضى الله على المكذبين وما أكثر القرى التي قضى الله عليها لهذا السبب.

٣- كان ينبغي أن يعلموا بأمر هذه القرى وقد ساروا في الأرض بلا قلوب تعقل ولا آذان تسمع لأن في قلوبهم عمى.

٤- إنهم يستعجلونك بالعذاب ولكن الله يملي لهم حتى إن يومًا عند ربك يساوي ألف سنة بسبب هذا الإملاء لهم وسيأتيهم العذاب فلن يخلف الله وعده.

٥- وقد أمليت لكثير من القرى ثم أخذتها ولن يكون هؤلاء بدعا من المشركين.

٦- بصِّرهم برسالتك وأنك نذير مبين من آمن به نجا ومن كفر به وعانده وتحداه أن يُنزِّل عليه العذاب فمصيره إلى النار.

٧- لا تأس عليهم فذلك شأن الناس من قبلك مع أنبيائهم.، كانوا إذا تمنى الرسول هداية قومه ألقى الشيطان الشك في قلوب قومه فيبطل الله كيد الشيطان بالإبقاء على الدعوة وبالإيمان بها في قلوب البعض ممن أوتي العلم بصدق الدعوة.

٨- ذلك بأن الله يحوّل الشك في قلوب مرضى القلوب إلى فتنة تحول دون إيمانهم ويهدي الذين أوتو العلم إلى أن الرسالة هي الحق فيؤمنوا وتخضع قلوبهم.

٩- وسيظل الكافرون يجادلون حتى قيام الساعة أو حتى وقوع العذاب بهم.

هذا هو النص المتكامل الذي ينبغي أن يفهم المعنى بحسبه. أما بتر النص فإنه ييسر لأصحاب الفتن أن يكيدوا كيدهم للإسلام والقرآن. والمؤسف حقًا أن تراثنا

عوّدنا على تقبل الشرح باستعمال معانى المفردات إذ يقول الشارح أو المفسر عند إرادة التفسير: قوله "كذا" أى كذا وكذا، فيربط المعنى باللفظ المفرد دون تعويل على دلالة النص فى عمومه ولا على تكافل أجزائه. ولقد كان من نتيجة ذلك أن تسرب كثير من سوء الفهم إلى نصوص التراث على نحو ما رأينا من بعض مفسرى آية الحج هذه.

والأمر بالنسبة لآية النجم أكثر إثارة للعجب والدهشة، لأن الأمر هنا يتعلق بنص أقصر وأكثر دلالة على إرادة الكيد مما رأينا فى آية الحج. فسياق آية النجم وما بعدها يأبى إباء تامًا أن يتسق مع هذه القصة المفتراة. يقول النص فى سورة النجم: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾. ولو أنّ النبى ﷺ قرأ ما نسبوه زورًا إليه لجاء النص على الوجه التالى: "أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. تلك هى الغرانيق العلى. وإن شفاعتهن لترتجى. ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذًا قسمة ضيزى. إن هى إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى". كيف يستقيم الكلام بهذه الصورة؟ بل كيف ترتجى شفاعتهن وهن لسن إلا أسماء سَمَّوْها ما أنزل الله بها من سلطان؟ لقد رأينا كيف وقع بعض المفسرين فى الرّضوخ لهذه الفرية وحاولوا إما التصالح معها أو الاعتذار عن مضمونها إلا أبا حيان فإنه أنكرها وردها فى ضوء الدلالة النحوية لعموم النفى.

وفى القصة المزعومة أن النبى ﷺ حين فرغ من القراءة سجد وسجد معه من قريش من مكان حاضرًا أثناء التلاوة. ثم تبالغ الرواية فى الدقة فتنص على أن شيخين من شيوخ قريش لم يستطيعا السجود لسنهما فأخذا حفنة من البطحاء سجدا

عليها ذانكم هما الواليد بن المغيرة وأبو حيحة سعيد بن العاص. فلماذا سجد هؤلاء وأولئك.

أم لأن القرآن أخبرهم أن آلهتهم مجرد أسماء سموها لم ينزل الله بها من سلطان؟

أم لأنه قال: إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس؟

ثم كيف يكون الوليد بن المغيرة بين الساجدين وقد سمع الآيات تصفه بالبخل إذ يقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰٓ ﴾؟ أليس مما هو أشبه بمنهجية الوليد وكبريائه أن يغلظ القول عندئذ للنبى ﷺ إذ إنه لابد قد علم أن هذا الكلام قد سيق له هو دون غيره.

مطابع آمــون

٤ ش الفيروز متفرع من إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٢٧٩٤٤٥١٧ - ٢٧٩٤٤٣٥٦